



مطبوعات الجمع العلمي



# بحر بلاغية

تأليف

الدكتور أحمد محمد مطلوب

بغداد

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

$$3.7 \times 10^{-4}$$

$$3.7 \times 10^{-4}$$

$$3.7 \times 10^{-4}$$

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

ما كنت أعرف أن البلاغة علم ذو أصول حتى دخل غايث صباح يوم  
استاذ تسمويه الزبية وبنوه الوقار . وأخذ يطوف بنا في مسائل لم نلقها ،  
فإذا نحن أمام اتجاهات البلاغة تلمس المؤثرات وتقف على الآخرين والحقا  
والمفسرين والأدباء والفلاسفة وأصحاب الكلام ، وإذا نحن نردد الشعر الرقيق  
وقد اختاره الاستاذ أمثلة للكلمة المذبذبة ، ونعظف قواعد التشبيه والاستعارة  
والكتابة والتم " بأصول الخبر والانتقاء ، والتقديم والتأخير ، والمحفف والمذكر ،  
والنمط والوصل ، والابجاز والاطناب والمساواة ، وتطالع الى ألوان البديع  
فأقرين ماذا حينا ومستأنسين بها حينا آخر . وكان ذلك أول تجربة أمر بها ،  
وقد حبب اليّ الاستاذ هذا العلم أو هذا الفن ، وجعاني أقدم رسالة التخرج  
في « ضياء الدين بن الاثير » الناقد البلاغي الكبير ، وأحصل على مرتبة  
الامتياز الخاصة . وكانت في الوقت نفسه أطالع على خطوات الاستاذ وهو  
يعتق مع الاستاذ الدكتور مصطفى جواد - رحمه الله - كتاب « الجامع  
الكبير » لابن الاثير .

كان ذلك عام ١٩٥٣م وكان ذلك الاستاذ الدكتور جميل سعيد - رحمه الله -  
الذي وجدت فيه حبا لطلابه وحرصا على مستقيمتهم . وكان لتشجيعه الز كبير في  
توجيهي نحو البلاغة والنقد ، وشاء الله أن تجد استاذة جالية تأخذ بيدي وهي  
الدكتور فسيحة القاماري - حفظها الله - التي كانت أما رؤوما وإن اكمل بتوجيهها  
دراستي العليا في القاهرة برسالتين : الأولى « البلاغة عند السكاكي » والثانية  
« التزوي في وشرح التلخيص » . وكان هذان الكتابان منطلقني في البحث  
والتأليف . تسرت لي الطريق لا ألوي على شيء ، وكان زادي الإرادة القوة  
وتقني بالله . وكان عليّ وأنا الغد " السر أن أنقل حريصا على الطريف والتأنيدي وأن

أجمع الرواة الأدب لاكتسب ذوقاً لاتضع في تكوينه قواعد البلاغة والنقد وحدها، وأخرجت أكثر من خمسين كتاباً - تأليفاً وتحقيقاً - ونشرت أكثر من مائة بحث علمي فيها من الأصالة وروح الأمة ورسالتها الخالدة ما جعل الناس بها ينتفعون . وسارت فاثلاً بين صفحات تنوّر الكتب وآراء تتردد في الندوات . وقد نادى خاتمي قبلي فيما استجلب لهم مستجيب لأنهم لم يكونوا مخلصين للكلمة ولم يتواضعوا أمام العلم وكانوا فيما كتبوا أو التقوا من المدّعين .

لقد سرى البحث في دمي وكان لسعاً يفيض لا شجرة ميتة تعفول في جنباتها الرياح ، وكانت البلاغة والنقد ما أحببت وأسرّ انصرفت اليهما كل الانصراف فكان الساج أغزر ، ولكن صوت الأمة ونداء الوطن حينما يرتعان يندفع اليهما من آمن بربه وأمنه وأرضه . وكان ما كان ، ومن يقدر علمي أن يطنّ لبب الثورة في قلبه إذا تأجج ! لقد اندفعت في الطرق القوم فإذا أنا في خضم الحياة أعدل من أجل أمي ووطني وأذود عنهما وأشر القصائد والمقالات وأضع الكتب في غير البلاغة والنقد ، والآتي النصب من أجل أن تقر هيون الآباء ويسعد الأبناء . ولكنني - على الرغم من ذلك - لم أنس ما بدأه قبل ثلث قرن ، وأصدرت كتاباً في البلاغة والنقد ، وما أنا اليوم أصدر هذا الكتاب الذي سمّيته « بحوث بلاغية » وأضع فيه بعض ما كتبت في السنوات الأخيرة عن مصادر البحث البلاغي ، والقصاحة عند الجاحظ ، والأساليب البلاغية ، والفنون البلاغية ، والبلاغة بين المنطق والتفوق ، وأثر القرآن في البلاغة ، وبديع القرآن الكريم ، وأثر الحديث في البلاغة ، وأثر المفاتيح النبوية في البلاغة ، وأثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية .

لقد أريد بهذه البحوث أن تظهر بعض جوانب البلاغة العربية التي أصابها الحيف ممن تنكروا لأصالة أمتهم وغلّوا بها عن السوء وأنكروا أهميتها في التعبير والتصوير ، واندفعوا وراء بعض الاتجاهات التي لا تخدم اللغة ولا تنوّر الأساليب . ولي هيؤلاء أن البلاغة روح اللغة وأنها السيل

المخضّي الى الأدب الرائع والنقد القويم ، وأن كبار النقاد في الغرب قد عادوا اليها وأقروا بإدائها من أثر في نقد الأدب وتعليقه ، وما الدعوة الى « علم الأسلوب » إلا انتصار لها بل هو البلاغة بثوب جديد .

إن البحث في البلاغة العربية معين لا ينضب ، وإن دارس القرآن الكريم والأدب العربي ومصنف المختارات والنقاد الأدبي لن يستغنوا عنها ، لأن أهدافها واسعة ، وبداها بعيد ، بخلاف بلاغة الأقوام الأخرى . وقد أدرك القدماء هذه الحقيقة وهم يبحثون في إعجاز القرآن الكريم ، وينقدون الأدب ، ويقولون الأئمة ، ويضمون المختارات . وأجدر\* بخدثهم أن يولسوا هذا الفن اهتماما كبيرا ، وأن يجددوا فيه وهم يستشرفون القرن الحادي والعشرين ، وأن تكون لهم أصول عربية في النقد والبيان . وآخر ما أختتم به هذه المقدمة قوله تعالى :

« رَجَا لَا تَسْرَخْ\* قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ\* لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . رَجَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيثَاقَ » . إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم\* وقود النار . كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ\* والذين من قبلهم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْضَرِهم الله\* يَذْوِبهم ، والله شديد العقاب . قل\* للذين كفروا سَعَتُ عَذَابِي وشَحْشَرُون\* الى جهنم ويرتس المهاد\* .

وما التوفيق الا من عند الله

الدكتور احمد مطلوب

عضو الجمع العلمي - بغداد

لمرة رمضان ١٤١٦هـ

٢١ كانون الثاني ١٩٩٦م



## ( ١ )

### مصادر البحث البلاغي

الأهداف :

نشأ البحث البلاغي عند العرب بعد أن نزل القرآن الكريم ، وامتدت  
دعرة الاسلام الى باقع العالم ، وكانت نشأته تدبر الى جانب نشأة علوم اللغة  
العربية وبتطور بتطورها عبر القرون . ومن أهم الأسباب التي دفعت الى هذا  
البحث اهتمام المسلمين بكتابهم العظيم ، فقد وجدوا فيه غير ما النوء في كلام  
العرب ووجدوه معجزة كبرى تعبدى الله به الانس والجن على أن يأتسوا بشئله  
ولو كان بعضهم لبعض ظاهرا . ولكي يبرهنوا على اعجازه وديسوا آياته  
واسلوبه ويستنبطوا الأحكام منه التجبروا الى البلاغة باحثين قانونا وموضحين  
أقسامها . وكان هذا الغرض من أهم الأهداف التي دفعتهم الى البحث  
والتأليف فيها ؛ لأن « الانسان إذا أنغل عالم العربية وأغل بمعرفة الفصلحة لم  
يتع عاسه باعجاز القرآن من جبهة ماأخسه الله به من حسن التأليف وبراعة  
التركيب وما شحته من الأيجاز البديع والاختصار اللطيف ، وضفته من الحلوة  
وجاله من رونق الطلاوة مع سهولة كله وجزالتها وعدوتتها وسلاستها ، الى  
غير ذلك من معاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها » (١) .

ورقت الى جانب الغرض الديني فافعان آخران هما : الغرض التعليمي  
أي تعليم الناشئة لغة القرآن الكريم ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب

١ نشر في مجلة « الجامعة » التي تصدرها جامعة الموصل في العراق العدد  
( ٨ ) ايار ١٩٨١ .

(١) كتاب الصناعات ص ١ .

بأنهم شئى وأدنى ذلك الاتصال الى لسان اللغة ودخول الحق فيها . والنقدي  
 النقدي أي تميز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين القوائد والخطب  
 والرسائل ، وتوصل بهذا الغرض رواية الأدب ومعرفة الجيد الذي يرمي  
 والرديء الذي ينبغي أن يطرح ، وقد أشار أبو هلال العسكري الى الهدفين  
 التعاليمي والنقدي بقوله : « ولهذا العام بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب  
 معروفة ، منها أن صاحب العربية إذا أدخل بطلبه وفحص في اللسان فئاته  
 لفضياته وعلقت به رفاعة فوته على " على جميع محاسنه وعسى سائر فضائله ؛  
 لانه إذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر رديء ونظ حسن وآخر قبيح وشعر  
 نادر وآخر بارد ، بأن جهله وطير نقصه . وهو أيضا إذا أراد أن يصنع قصيدة  
 أو ينشئ رسالة وقد فاته هذا العلم ، رجع الصفر بالكدر وخلف الغمركر " بالعمر  
 واستعمل الوحشي العكر ، فجعل نفسه ميزاة للجاهل وعبرة للعاقل . . . . . وإذا  
 أراد أيضا تصنيفه كلام منشور أو تأليف شعر منظوم وتخطى هذا العلم سوء  
 اختاراه له وقبعت آثاره فيه فأخذ الرديء المذبول وترك الجيد المتيقن فذل  
 على قصور نفسه وتأخر معرفته وعلمه » . (٢)

كانت هذه الأهداف : خدمة القرآن الكريم وتيسير إعجازه ، وتعليم اللغة  
 العربية وثقافتها ، وانتقاء الأدب وتقدمه — دائما قويا حثيثا — العرب للخوض  
 في دراسة البلاغة والتأليف فيها ، وكانت هذه الأهداف غرض المؤلفين جميعا  
 ولا يخلو كتاب من كتب البلاغة والإعجاز من الإشارة إليها . وقد تضافرت  
 جهود كثيرة على وضع أسس البلاغة وأصولها ، وذلك تعددت مصادر بحثها  
 وتنوعت مناهج درسيها ، ومن أشهر الذين بحثوا فيها : علماء إعجاز القرآن الكريم ،  
 والمفسرون والأصوليون ، والغريبون والنحاة ، والشعراء والكتاب ،  
 والفلاسفة والمثلكون ، والمختصون والشرائح ، وأصحاب البدييات . وكانت  
 كل طبقة من هؤلاء تلتق في كثير من الأسس والنتي في أهداف والخدمة العامة ،  
 وإن كان رجالها يختلفون في تصورهم كالمبحث البلاغي أحيانا .

## اعجاز القرآن :

كان تأثير كتاب الله واضحاً في اتخاذ مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرفيع ، ولذلك انتمى كثير من الباحثين النقصاء الى أن ثورة عالم البلاغة « هسي في فهم الاعجاز من القرآن » لأن اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالانضاط في انتقائها وجودة وصلها . وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الاقحام عن ادراكه » (١٢) .

وكان المتكلمون أول من بحث في اعجاز القرآن وبلاغته ، وقالت المعتزلة - إلا النظام - وهشاماً التومني وعباد بن سليمان - : « تأليف القرآن وقلمه معجز محال وتحرره منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم ، وانه علم لرسول الله . وقال النظام : الآية والاعجوبة في القرآن ما فيه من الاخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثها فيهم . وقال هشام وعباد : لا نقول إن شيئاً من الاعراض يدل على الله سبحانه وتعالى - ولا نقول أيضاً إن عرضاً يدل على نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - . ولم يجعل القرآن علماً للنبي ، وزعمنا أن القرآن أعراض » . (١٣)

واختلفت وجهات النظر في الاعجاز وتشتتت سبل القول ؛ لأن الوصول الى ذلك صعب ، وتحديد البلاغة في القرآن أصعب ، ولكن الباحثين لم يقتروا ومضوا يتلسون بلاغة الكتاب العزيز ويبينون اعجازه ، فكانت دراساتهم أحسن مصدر للبلاغة وأجل مورد لمن أراد أن يتفوق القرآن ويفهم البيان . ومن أهم كتب الاعجاز « اعجاز القرآن في قلمه وتأليفه » لابن عبد الله محمد بن يزيد الواسطي ( - ٣٠٦ هـ ) ولم يصل هذا الكتاب ولا شرحاً جيد القاهر الجرجاني له .

(١٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(١٣) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .



ورسالة « النكت في اعجاز القرآن » لأبي الحسن علي بن عيسى الرمانى ( ٣٨٦هـ ) وقد تقسم البلاغة على عشرة أقسام : الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان . وهذه الرسالة من أقدم كتب الاعجاز التي تحدثت عن فنون البلاغة وحددت معانيها ، وقد اعتمد المتأخرون عليها في كثير من مسائلهم البلاغية .

ورسالة « بيان اعجاز القرآن » لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطايي ( ٣٨٨هـ ) وقد جاءت فنون البلاغة فيها عند كلام المؤلف على ما في الآيات القرآنية من بلاغة أعجزت العالمين .

وكتاب « إعجاز القرآن » لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ( ٤٠٣هـ ) وهذا الكتاب من أهم كتب الاعجاز التي تحدثت عن النقد والبلاغة . وقد اعتم المؤلف بفنون البديع وذكر كثيراً منها كالتشبيه والتشليل والاستعارة والفعل والمطابقة والتجنيس والمقابلة وصحة التقسيم والاختلاف والاستطراد والتكرار والمبالغة والبالغاني لا يرى أن القرآن معجز لأن فيه هذه الفنون ، وإنما هو معجز بأسلوبه ونظمه البديع والتملذه ، وبآثره في النفوس . قال : « لا سبيل إلى معرفة اعجاز القرآن من البديع الذي ادعسوه في الشعر ووصفوه فيه ، وذلك أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب والتصنع له كقول الشعر ووصف الخطيب وصناعة الرسالة والحقق في البلاغة ، وله طريق يسلك ووجه يقصد وسلم يرتقى فيه إليه ، ومثال قد يقع طالبه عليه » .<sup>(١)</sup> ولكن لماذا ذكر فنون البديع ؟ حال ذلك بأنه « باب من أبواب البراعة وجنس من أجناس البلاغة وأنه لا يشترك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم ولا وجه من وجوه فصاحتهم . وإذا أورد هذا المورد ووضع هذا الموضع كان جديراً ، وإنما لم نطلق القول امتلاقاً

لأننا لا نجعل الإعجاز متعلقاً بهذه الوجوه الخاصة موقرناً عالياً ومضاهياً إليها وإن صحَّ أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة آخذة بعضها من الحسن والبهجة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع والتعلل المستشع<sup>(٦)</sup>.

وكتاب « المعني في أبواب التوحيد والمعدل » - الجزء السادس عشر - للناصري أبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي ( - ١١٥ هـ ) ، وقد أظهر المؤلف فيه أنه اعجاز القرآن بالنظم، وكان ذلك دافعاً كبيراً إلى القول بنظرية النظم التي شرحها عبد القاهر الجرجاني ( - ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ ) في كتابه « دلائل الإعجاز » الذي يعدّ من أهم كتب البلاغة العربية التي وضعت أسس البحث البلاغي وأوضعت مباحثه وأسانيه . وكان لهذا الكتاب وكتاب « أسرار البلاغة » أثر عظيم في البلاغيين الذين فسروا القرآن أو الذين تحدثوا عن الشعر وفنون الكلام .

ومن كتب الإعجاز الأخرى كتاب « نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز » لصخر الدين الرازي ( - ٦٠٦ هـ ) وهو دعوة إلى ترتيب أصول البلاغة ووضع قواعدها الراسخة ، لأن مؤلفه رأى عبد القاهر قد « أهمل رعاية ترتيب الأصول والأبواب ، وأطب في الكلام كلّ الاطباب »<sup>(٧)</sup> وقد خالج فيه موضوعات البلاغة ليعدل إلى رأيه في الإعجاز ، ومعنى ذلك أن الفنون البديعة وسيلة لتربية الذوق الأدبي وإدراك أسرار فن القول .

وكتاب « مترك الأقوال في إعجاز القرآن » لجمال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ( - ٩١١ هـ ) وهو من أوسع الكتب التي بحثت في إعجاز القرآن وفهرست فنون البلاغة التي كانت من وجوه ذلك الإعجاز .

ويتصل بهذه المسألة كتب علوم القرآن ، ومن أشهرها « البرهان في علوم القرآن » لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ( - ٧٩٤ هـ ) و « الانتقال في

(٦) إعجاز القرآن ص ١٧٠ .

(٧) نهاية الإيجاز ص ١ .

علوم القرآن ، السيموني . وقد ذكر المؤلفان في كتابيهما معظم فنون البلاغة ، وفي ذلك إقرار بأن حارس القرآن ينبغي أن يعرف وجوه يرانه ليرقى الى مراتب العلى ويترك ما في كتاب الله من علم وأسرار وفن وجمال .

## المفسرون والمفسرون :

المفسرون هم الذين يظرون في كتاب الله - تعالى - فومفسرون ألفاظه ويرفحون معانيه ويريدون متاصده وأعدائه ويشرحون ما فيه من قيم رفيعة ونظرات عميقة ويظرون فنون القول فيه وروعة البيان . ولكي يستطيع المفسر أن يفيض بذلك كله لابد له من أن يطلع على علوم اللغة العربية ليتخذ الى أسرار القرآن . ويوصى على معانيه . والبلاغة إحدى تلك الوسائل المهمة التي تكشف أسرار الإعجاز وتوجسه ، ما في الآيات . وقد شمر المفسرون بذلك فأخذوا يضمون لمراسمهم القرآنية مقدمات بلاغية أو يخوضون في ،باحثها ، وساروا يذهبون الى أهمية ذلك .<sup>(١٨)</sup> وشاركهم البلاغيون في ذلك فقال عبد القاهر : « ومن عادة قوم ممن يحتمل التفسير بنهر عام أن يتوهموا ابتداء في الالتفات الموضوع على المجاز والتشليل انها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطأوا النرفق ويسعوا أشد السمع والسمع ، ثم العام بمواضع البلاغة ويمكن الشرف . وتعالىك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجدواوا يكثررون في غير طائل ، هناك ترى ما شئت من باب جبل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدحوا به » .<sup>(١٩)</sup> وقال السكاكي : « الرائق على تمام مراد الحكيم - تعالى - وتقدس - من كلامه ، منتقى الى هذين العلمين - المعاني والبيانات - كل الاقتدار . فالقول كل القول لمن يتعاطى التفسير وهو قريبا راجل » .<sup>(٢٠)</sup>

(١٨) ينظر جامع البيان ج ١ ص ٦ ، الكشف ج ١ ص ٢٢٢ .

(١٩) دلائل الإعجاز ص ٢٣٦ .

(٢٠) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

وكتب التفسير كلها مصدر من مصادر البحث البلاغي المهمة ، ولعل أقدمها كتاب « معاني القرآن » لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ( ٢٠٧هـ - ) وكتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى ( ٢٠٨هـ - ) . وتفتح في هذين الكتابين أولى بذور البلاغة ، وهذا ما يدفع الى القول : إن نشأة البلاغة كانت عربية تصل بكتاب الله قبل أن تتصل بالأدب وفنونه وبما عرف من بلاغة اليونان .

ومن الكتب المتصلة بالفاظ القرآن وتأويل معانيه كتاب « تأويل مشكل القرآن » لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ( ٢٧٦هـ - ) وقد عرض المؤلف فيه لكثير من مسائل البلاغة ، ويكاد هذا الكتاب يكون أول دراسة تقوم على تصنيف الباحث ووضع الأبواب . ولعل أهم تفسير يرتبط بالبلاغة ارتباطاً وثيقاً « الكشف » لعبار الله محمود بن عمر الزمخشري ( ٥٢٨هـ - ) وتفتح في هذا التفسير زخوة الزمخشري نحو تطبيق قواعد البلاغة على كلام الله والتنبية الى ما فيه من أسرار البيان ، فقال ابن خلدون : « وهو كنه مبني على هذا الفن وهو أصله » .<sup>(١١)</sup> وعرف القدماء ذلك فكانوا إذا ما أقدموا على دراسته تزودوا بثقافة بلاغية ووضعوها الكتب لتعلمها كما فعل يحيى بن حيرة العلوي ( ٧٤٩هـ - ) حينما شرح بعض ملازمه بقراون عليه الكشف قائلاً كتابه « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » وقال في مقدمته : « إن الباحث على تأليف هذا الكتاب هو أن جاعة من الأخوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب الكشف تفسير الشيخ العالم المحقق استاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري فانه أسسه على قواعد هذا العلم فاطضح عند ذلك وجه الإعجاز من التزويل وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل وتحققوا أنه لا سبيل الى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلاّ بإدراكه والوقوف على أسرار وأحواره . ومن أجل هذا الوجه كان

(١١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

متميزاً عن سائر التفاسير لأنني لم أعلم تحسباً مؤسسا على علمي المعاني والبيان سواء ، فسألني بعضهم أن أعلي فيه كتابا يشتمل على التهذيب والتحقيق<sup>(١٢٢)</sup> .

وكان للأصوليين والفقهائين أثر في البلاغة وفي كتب أصول الفقه بحوث مستفيضة من الخبر والافتاء ، والعتيقة والمجاز ، وهي بحوث تدل على استنثار علم أصول الفقه بها . قال السكاكي : « بل تصح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ؟ ومن يتولاها<sup>(١٢٣)</sup> » . وقال السبكي : « وأعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فإن الخير والافتاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هو موضوع غالب الأصول ، وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي للتحريم ومسألة الأخبار والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد والاجدال والتفصيل والتراجيح ، كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني » .

وليس في أصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة<sup>(١٢٤)</sup> ، ولذلك كانت معرفة أركان علوم اللسان وهي : اللغة والنحو والبيان والأدب « ضرورة على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي لغة العرب ، ونقلها من الصحابة : التابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان أن أراد علم الشريعة<sup>(١٢٥)</sup> » .

ومن أقدم كتب الأصول التي تعرضت لبعض مسائل البلاغة كتاب « الرسالة » للإمام محمد بن أدرس الشافعي ( ٢٠٤ هـ ) ، وقد تحدث الإمام فيه عن البيان وأشار إلى ما في القرآن الكريم من أساليب العرب ، لأن الله — سبحانه وتعالى — خاطبهم بلسانهم على ما يعرفون من المعاني<sup>(١٢٦)</sup> ، وتكلم

(١٢٢) الطراز ج ١ ص ٥ .

(١٢٣) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

(١٢٤) محروس الإفراج ج ١ ص ٥٢ .

(١٢٥) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .

(١٢٦) تنظر الرسالة ص ٢١ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ وغيرها .

الامام علي ذلك الأساليب التي اتخذها مديحاً لمراسة أصول الفقه • ومن كتب الأصول التي اهتمت بالبحث البلاغي كتاب « المعتد في أصول الفقه » لأبي الحسين محمد بن طوسي بن الطيب البصري المتزلي ( ٤٣٦هـ ) وكتاب « المستقصى من علوم الأصول » للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ( ٥٥٥هـ ) وكتاب « الأحكام في أصول الأحكام » لأبي الحسن علي بن أبي علي سيف الدين الأمدني ( ٥٦١هـ ) وكتاب « آئين السؤل في علم الأصول » للأمدني نفسه •

وتعد هذه الكتب الأصولية من أهم مصادر البلاغة ولا سيما موضوعات الغير والانشاء ، والحقيقة والمجاز •

ومن الفقهاء الذين أسهموا في حركة التأليف الإمام عز الدين عبدالعزیز ابن عبدالسلام ( ٦٦٠هـ ) صاحب كتاب « الإشارة الى الإيجاز في بعض أنواع المجاز » ، والإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد المصروف بابن قيم الجوزية ( ٧٥١هـ ) مؤلف كتاب « التوائد - المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » • وهذان الكتابان ليسا في اللغة وأصوله وانماهما مقدمات بلاغية ذات قيمة كبيرة لأن يريد الخوض في أحكام التسمية والأصول ولا سيما كتاب ابن قيم الجوزية الذي عظم مباحث البلاغة تنظيماً دقيقاً •

### الغوينيون والنحاة :

للغوينيين يد مولى في نشأة البلاغة وتطورها ، وقد ظل دورهم مشهوداً منذ عهد الغوين واستطاعوا أن يسيطروا على مناهج الدرس ورفضوا لواء المحافظة على اللغة • وكان أبرز عبيدة من أقدم الغوينيين الذين تعرضوا لغير من البلاغي في كتابه « مجاز القرآن » وكتاب « النقائص » الذين ذكر فيه بعض المصطلحات البلاغية كالاستمارة والتشبيه • ومن الرواة والغوينيين الذين أثروا في نشأة البلاغة وإثبات أبو سعيد عبدالملك بن قريش الأصمعي ( ٢١٦هـ )

وله كتاب « فعملة الشعراء » وقد تعرض فيه لبعض مسائل البلاغة وانتقد + وله آراء نظما البلاغيون عنه كالحائسي في كتابه « حاية المحاضرة » وابن رشيقي في « المدة » وأبي حلال في « كتاب الصائغين » وقدامة بن جعفر في « نقد الشعر » + ومن القرويين والنحاة أبو العباس محمد بن يزيد الجرجاني ( — ٢٨٥ هـ ) صاحب رسالة « البلاغة » و « كتاب الكامل » و « المختضب » + ومنهم أبو الحسن أحمد بن فارس ( — ٣٩٠ هـ ) مؤلف « الصحاح » الذي يعدّ خطوة متقدمة في تصنيف مباحث علم المعاني إذ قسم الكلام على عشرة أقسام : الخبر والاستخبار ، والأمور والنهي ، والدعاء والطلب ، والعرض والتحفيض ، والتعني والتعجب + ولم يقتف عند هذه المباحث وإنما تعرض لموضوعات البلاغة الأخرى كالتهديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتكرار ، والمجاز والتشبيه ، والأياء والتعكم والكناية +

وكان كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيرة ( — ١٨٠ هـ ) من أقدم كتب النحو التي حلت في صنفاتها كثيراً من أساليب التعبير وفنون القول + ويعدّ هذا الكتاب مصدراً مهماً في دراسة البلاغة لأنه وضع القيد الذي أنشأ فيما بعد قواعد أصولاً + ويأتي بعده كتاب « معاني القرآن » للشراء و « قواعد الشعر » لأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعاب ( — ٢٩١ هـ ) الذي كان الخطوة الأولى لجهد ابن المعتز في البلاغة ، وتأتي أهميته من أن مؤلفه عند قصراً خاصة للتشبيه والافراط والخلو ولطاقة المعنى والتعريض والاستدارة وحسن الخروج وبجورة الازداد + وهو الطباي + والمطابق + وهو الجناس + ويقف هذا القاهر الجرجاني على قمة النحاة في القرن الخامس للهجرة ، وهو صاحب « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » اللذين يعدّان من أهم كتب البلاغة ، ولولا جرح الأدب نحو التأييد تطورت الحياة الفكرية وتقدمت الدراسات البلاغية ، وقد حاول كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الانصاري السبكي المعروف بابن الزمكاني ( — ٦٥١ هـ ) أن يحيي جنوة عبد القاهر في كتابه « التبيان في علم البيان المطالع على اعجاز

القرآن » و « البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن » ولكن هيهات ، فقد بدأت ربح التقليد تهب من كل مكان وصارت البلاغة متوتا تحفظ ، وشروحا تقرأ ، وحواشي تدقق ، وقررات تشيع .

### الشعراء والكتاب :

كان الشعراء منذ الجاهلية يمتنون بالثول ويجوزون أشعارهم وينقحونها ، وقد دلت الملاحظات البيانية على أنهم أصحاب ذوق ومعرفة بجيد الشعر ورديته . ومن الشعراء الذين كان لهم السبق في الدراسات البلاغية الغنيمة العباسي عبدالله بن المعتز الذي استفاد من جهود السابقين كالجاحظ وابن قتيبة والمبرد وثلث ، قال « كتاب البديع » الذي فتح باب البحث والتأليف في البلاغة . وقد أقامه على قسمين :

الأول : البديع وهو خمسة فصول : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد إعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي .

الثاني : محاسن الكلام وهو ثلاثة عشر فنا : الانشادات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيده المدح بما يشبه الفم ، وتجاهل المعارف ، والهزل يراد به الجد ، وحسن التضمين ، والتمريض والكتابة ، والأثراف في العنفة ، وحسن التشبيه ، واعلانات الشاعر نفسه في الفوائ ، وحسن الابتذالات .

ومن الشعراء الذين أغنوا البلاغة الشريف الرضي ( ١٠١٦هـ ) صاحب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » و « للجازات النبوية » . وابن رشيق القيرواني ( ١٠٦٣هـ ) مؤلف « المعينة في محاسن الشعر وآدابه ونقده » و « فرائض الذهب » . وابن سنان الخفاجي ( ١٠٦٦هـ ) صاحب « سر الصناعة » . وأسامة بن منقذ ( ١٠٨٤هـ ) مؤلف « البديع في نقد الشعر » . وابن أبي الأصبح المصري ( ١٠٥٤هـ ) مؤلف « تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان أعجاز القرآن » و « بديع القرآن » .



وكان الكتاب أثر واضح في البلاغة ، فقد صنفوا كثيراً من بحوثها بصفة أدبية لا امتازوا به من أدب رفيع وذوق سليم ، وفي كتب الأدب كثير من أقوال الأدباء في البلاغة وتحديدتها . ومن تركوا آراءه أثرت في البحث البلاغي عبد الله بن المقفع ( - ١٤٣ هـ ) وعسرو بن عبيد ( - ١٤٤ هـ ) وشبيب ابن شيبة ( - ١٧٠ هـ ) وسهل بن هارون ( - ١٧٣ هـ ) وجعفر بن يحيى ( - ١٨٧ هـ ) وكثوم بن عمرو الثاني ( - ٢٢٠ هـ ) . ولكن هؤلاء لم يؤلفوا كتباً في البلاغة والبيان ، وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ( - ٢٥٥ هـ ) من أقدم الكتاب الذين انصرفوا الى البحث في البيان ، وفي كتابه « البيان والتبيين » و « الحيوان » وبعض رسائله كثير من الفنون البلاغية التي امتدت جذورها الى القرآن الكريم وكلام العرب القديم .

ومن الكتاب الذين عرفوا في العصر العباسي قدامة بن جعفر ( - ٣٣٧ هـ ) صاحب « نقد النثر » و « جواهر الانشاء » ، وهو في الكتاب الأول عالم بالبلاغة والنقد وقد أضاف كثيراً من الفنون التي طورت البحث البلاغي . ومنهم أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب صاحب « البرهان في وجوه البيان » الذي طبع قسم منه باسم « نقد النثر » ولب الى قدامة . ومنهم أبو هلال العسكري ( - ٣٩٥ هـ ) صاحب « كتاب الصناعتين » . وابن تاقيا البغدادي ( - ٤٨٥ هـ ) مؤلف « الجمال في تشبيهات القرآن » . وابن شيت القرشي صاحب « معالم الكتابة ومقاسم الاحصاء » . وضياء الدين بن الاثير ( - ٦٣٧ هـ ) مؤلف « المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر » و « الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور » و « الاستقراء » . وابن أبي الحديد ( - ٦٥٥ هـ ) صاحب « شرح نهج البلاغة » و « التلخيص الدائر على المثل السائر » . وصلاح الدين خليل بن أليك الصقلي ( - ٧٩٥ هـ ) صاحب « نصره الدائر على المثل السائر » . وشهاب الدين محمود الحارثي ( - ٧٩٥ هـ ) صاحب « حسن التوصل الى صناعة الترسيل » . وشهاب الدين

أحمد بن عبد الوهاب النوري ( - ١٧٣٣ هـ ) مؤلف « نهاية الأرب فني فنون  
الأدب » .

وكان النقاد دور بارز في البلاغة . فقد استعانوا بفنونها فسي دراساتهم  
ولم يتروا كتبهم يبحرثوا ، ومن الذين تعرضوا للبلاغة في كتبهم النقدية أبو  
الحسن محمد بن أحمد بن طايبا ( - ٣٢٢ هـ ) صاحب « عيار الشعر » . وأبو  
القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأندلي ( - ٣٧١ هـ ) مؤلف « الموازنة بين  
شعر أبي تمام والبحري » . والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ( - ٣٩٢ هـ )  
مؤلف « الوساطة بين المتبني والمصنوع » .

ونماز كتب الشعراء والكتاب والنقاد بذوق رفيع ونظرة أدبية مرهفة ،  
ومتابعة فنون البلاغة والوقوف على النصوص الأدبية وثقة المعجب المتأثر أكثر  
من وثقة المقرر للأصول .

#### الفلاسفة والتكلمون :

كان للفلاسفة والتكلمين أثر في نشأة البلاغة وتطورها ، وكان تضاد  
التكلمين واسعا لما لهم من أثر كبير في الحياة العقلية . وقد قال الجاحظ إن  
« كبار التكلمين ورؤساء النظارين فوق أكثر الغطباء وأبلغ من كثير من  
البلغاء »<sup>(١٢)</sup> . ولذلك قيل إن علم البيان ثبت في حجور التكلمين . ولعل صحيفة  
بشر بن المعتز ( - ٢١٠ هـ ) أسدق دليل على ذلك ، فقد ترقى بشر فيها بعض  
البدور البلاغية ، ولكن الجاحظ يظل أبرز التكلمين وأظهر من أثر في نشأة  
البلاغة وتطورها وأقرب إلى النزعة الأدبية في عرض مسائلها وفنونها ، لأن  
الفلاسفة والتكلمين الآخرين أخذوا يرفعون منزلة عقليتها في البحث البلاغي  
وتضع ذلك عند الذين لخصوا أو شرحوا كتابي « الشعر » و « الغنابة »  
لأرسطو مثل أبي نصر الفارابي ( - ٣٣٩ هـ ) وابن سينا ( - ٤٢٨ هـ ) وابن

(١٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٩ .

رشد) (٥٩٥هـ) وظهر اتجاه الفلاسفة والمتكلمين في كتب البلاغة المتأخرة مثل « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » الرازي و « مفتاح العلوم » لسراج الدين يوسف بن أبي بكر أبي يعقوب السكاكسي (٦٢٦هـ) و « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » لأبي الحسن حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) و « المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع » لأبي محمد التاسم السجلاسي (من أعيان القرن السابع والثامن) وكتاب « الأقصى القريب في علم البيان » لأبي عبدالله محمد بن عمرو السرخي (من أعيان المائة السابعة) وكتاب « الطراز المنظمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » ليحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) .

وتستاز هذه الكتب باتجاهها نحو المقاييس العقلية والأخذ من منطق الفلاسفة والمتكلمين ، ولعل كتابي القرطاجني والسجلاسي من أكثر الكتب تأثيراً بهذا الاتجاه .

### الانحسار والفساد :

لم تكن الحياة الفكرية بعد القرن السادس تبشر بالإنعاش في التأليف فقد رأت سحابة من الجمود ، ومضى المؤلفون يلخصون ويشرحون الكتب السابقة وقد شهد القرن السابع وما بعده حركة شرح وتلخيص واسعة المدى ، ومن أشهر الذين اخصوا القسم الثالث من « مفتاح العلوم » بدر الدين بن مالك (٦٨٩هـ) فقد وضع كتاب « المصباح في علم المعاني والبيان والبديع » وكتاب « روض الأذهان في علم البيان » . واختصر جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) القسم الثالث من المفتاح بكتابه « التلخيص » ثم شرح هذا التلخيص بكتابه « الإيضاح » . وتواتر الشروح بعد ذلك فكان « عروس الأفراس في شرح تلخيص المفتاح » لبهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ) و « الشرح المختصر » و « الشرح المطول » لسعد الدين مسعود بن عمر المشهور بالفتازاني (٧٩٢هـ) و « شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم » و « وحشية على الشرح المطول على التلخيص » للسيد

الشريف الجرجاني ( - ٨١٩ هـ ) و « الشرح الاطول » لابراهيم بن محمد بن  
عريضاء عصام الدين الاسفرايني ( - ٩٥٦ هـ ) و « مواهب المتاح في شرح  
المتاح » لابن يعقوب المغربي ( - ١١١٠ هـ ) و « العاشية على مختصر السعدة  
لمحمد بن عرفة الدسوقي ( - ١٢٣٠ هـ ) .

وتزخر هذه الشروح بقضايا الفلسفة والمنطق والاصول ، ولذلك اجتهدت  
كثيراً عن النزعة الفنية وتحكيم الذوق في دراسة البلاغة .

### اصحاب البديعيات :

انصرف بعض التأخرين الى نظم البديعيات ، وهي قصائد تتضمن فنونا  
بلاغية ومعظمها في مدح النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن البحر  
البيط وعلى روي كليم . والبديعيات كثيرة ولبعضها شروح ومن أهمها :  
« النتائج الاولية في شرح الكافية »<sup>(١٨)</sup> لصفي الدين الحلي ( - ٧٥٥ هـ )  
و « طراز الحلة وثناء الفلك » لأبي جعفر احمد بن يوسف بن مالك الرعياني  
الفرناولي ( - ٧٧٩ هـ ) و « خزانة الأدب وغاية الأرب » لابن حجة النحوي  
( - ٨٣٧ هـ ) وشرح « قلم البديع في مدح خير شيع » لجلال الدين السيوطي  
( - ٩١١ هـ ) وشرح « الفتح المبين في مدح الأئمة » لعائشة الباعونية  
( - ٩٢٢ هـ ) و « أنوار الربيع في أنواع البديع » لصدر الدين بن منصور  
الحسيني المدني ( - ١١١٧ هـ ) - و « قطرات الأزهار على نسيمات الاسحار  
في مدح النبي المختار » لعبد الغني التاباسي ( - ١١٩٣ هـ ) . وهذه الشروح  
كتب بلاغية تعرضت لدراسة جميع فنون ، ولها قيمة كبيرة في البحث البلاغي  
ولا سيما « خزانة الأدب » لنحوي و « أنوار الربيع » للمدني ، وهي بعد  
ذلك تمثل ذوق ذلك العهد وثقافته وتحمل في صفتها كثيراً من النصوص  
التي ضاعت مصانرها ، أو لا تزال بعيدة عن أيدي الدارسين .

(١٨) طبعها مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م بتحقيق  
الدكتور نسيب تشاوي وبم عنوان « شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة  
ومعاني البديع » .

تلك أهم مصادر البحث البلاغي عند العرب وقد اتضح أن البلاغة بقيت اعتباراً كبيراً من يشأت علمية مختلفة ، فدباء أعجاز القرآن والمفسرون والأصوليون والنحويون والنحاة والشعراء والكتاب والفلاسفة والمتكلمون والمختصون والشرائح وأصحاب البدييات - شاركوا في إرساء قواعد البلاغة وترسيخ مباحثها وإيضاح اتجاهاتها . وكانت كل طائفة من تلك الفصق تحل قضية خاصة إلى البلاغة ولكنها لا تعزل فريقاً عن فريق وإنما تتوي كنها إلى تدوين كتاباته العزيز واتقان أساليب العرب وأن تعددت كتبها واختلفت مناهجها . ولكن الدارس يلاحظ اتجاهين بارزين هما : الاتجاه الأدبي والاتجاه الكلامي ، أو ما يسمى بالمدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية . وأمر عذرين الاتجاهين قديم لقد قال أبو هلال : « ليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وإنما قصدت فيه قصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب فلها لم أتل الكلام في هذا الفصل »<sup>(١٩)</sup> . وقال السيوطي : « ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والتبديع على طريقة العرب والبغضاء لأعلى طريقة المعجم وأهل الفلسفة »<sup>(٢٠)</sup> . ولكن الحدود بين المدرستين غير قاصلة ؛ لأن كل اتجاه يعمل سمات الاتجاه الآخر بقدر ، ولعل « أسرار البلاغة » و « دلائل الانتجاز » للجرجاني و « الطراز » للعلوي خير ما يمثل هذا المزج بين الاتجاه العقلي في تحديد الننون وتقسيمها ، والاتجاه الفني في تشد النصوص وإظهار ما فيها من روعة وجمال وتأثير .

وتبقى هناك مصادر أخرى لدراسة البلاغة ، وهي مختلفة تمثل في كتب الأدب واللغة والنحو والنزاد والتعليقات والرسائل العامة<sup>(٢١)</sup> . وفي كتب البلاغة الحديثة فائدة لا تنكر ولكنها لا تغني عن الرجوع إلى المصادر الأصيلة . وأهم مصادر البحث البلاغي :

١ - الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

(١٩) كتاب الصناعين ص ٩ . (٢٠) حسن الحاضرة ج ١ ص ١٥٥ .

(٢١) وتوضح هذه المصادر في كتابنا « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » وكتابنا « مناهج بلاغية » .

- ٢ - انعام الدواية لقراء النفاية - جلال الدين السيوطي .
- ٣ - احكام صنعة الكلام - محمد بن عبدالغفور الكلامي .
- ٤ - الاحكام في اصول الاحكام - أبو الحسن علي سيف الدين الأمدى .
- ٥ - أدب الكاتب - ابن قتيبة .
- ٦ - أساس البلاغة - جاران الزمخشري .
- ٧ - الاستدراك - ضياء الدين بن الأثير .
- ٨ - أسرار البلاغة - عبدالقاهر الجرجاني .
- ٩ - الإشارة الى الإيجاز في بعض أنواع الجاز - عز الدين بن عبدالسلام .
- ١٠ - الأطول - ابراهيم بن محمد عصام الدين الأسفراييني .
- ١١ - الأقصى القرب في علم البيان - محمد بن محمد التوحي .
- ١٢ - أنوار الربيع في أنواع البديع - ابن معصوم المدني .
- ١٣ - الإيضاح في شرح مقامات الحريري - أبو المظفر فاضل الطرزي .
- ١٤ - الإيضاح في علوم البلاغة - جلال الدين الخطيب القزويني .
- ١٥ - كتاب الأيمان - ابن تيمية .
- ١٦ - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي .
- ١٧ - البديع - عبدالله بن المعتز .
- ١٨ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ .
- ١٩ - بديع القرآن - ابن أبي الأصبح المصري .
- ٢٠ - البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .
- ٢١ - البرهان في وجوه البيان - ابن وهب الكاتب .
- ٢٢ - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن - ابن الزملكاني .
- ٢٣ - البلاغة - المبرد .
- ٢٤ - البيان والتبيين - الجاحظ .
- ٢٥ - تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة .
- ٢٦ - التبيان في علم البيان المطلق على إعجاز القرآن - ابن الزملكاني .
- ٢٧ - تحرير التحرير - ابن أبي الأصبح المصري .

- ٢٨ - كتاب التسيهات - ابن أبي حوز •
- ٢٩ - التفصيل بين بلاغتي العرب والمجم - أبو أحمد الحسن بن عبادته العسكري •
- ٣٠ - تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشريف الرضي •
- ٣١ - تلخيص الخطابة - ابن رشد •
- ٣٢ - التلخيص في علوم البلاغة - جلال الدين الخطيب القزويني •
- ٣٣ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الخطابي والرماني والجرجاني •
- ٣٤ - جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري •
- ٣٥ - الجامع الكبير - ضياء الدين بن الاثير •
- ٣٦ - الجذبان في تشبيهات القرآن - ابن نايف البغدادي •
- ٣٧ - جمع الجواهر في الملح والنوادر - الحصري القيرواني •
- ٣٨ - جواهر الاقفاص - قدامة بن جعفر •
- ٣٩ - جوهر الكنز - ابن الاثير الحلبي •
- ٤٠ - حاشية الدسوقي على شرح التنازلي - محمد بن عرفة الدسوقي •
- ٤١ - حاشية السيد الشريف الجرجاني •
- ٤٢ - حدائق البحر في دقائق الشعر - رشيد الدين الوطواط •
- ٤٣ - حسن التوصل الى صناعة الترمز - شهاب الدين الحلبي •
- ٤٤ - حلية المحاضرة في صناعة الشعر - أبو علي محمد بن الحسن بن القطر الحاتمي •
- ٤٥ - الحيوان - الجاحظ •
- ٤٦ - الخراج وصناعة الكتابة - قدامة بن جعفر •
- ٤٧ - خزنة الأدب ونهاية الأرب - ابن حجة الحموي •
- ٤٨ - الخصائص - ابن جني •
- ٤٩ - الخطابة - أرسطو •
- ٥٠ - الخطابة - ابن سينا •

- ٥١ - الدر الغائر المنتخب من كُنَايَات واستعارات وتشبيهات العرب  
- الزمخشري •
- ٥٢ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني •
- ٥٣ - رسائل البلاء - جميعها محمد كرد علي •
- ٥٤ - الرسالة - الإمام محمد بن إدريس الشافعي •
- ٥٥ - الرسالة الحاتمية - أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي •
- ٥٦ - الرسالة الشافية - عبدالناهر الجرجاني •
- ٥٧ - الرسالة العذراء - ابن المدير •
- ٥٨ - الرسالة المسجدة في المعاني المؤدية - عباس بن علي الصنعائي •
- ٥٩ - الرسالة الموضحة • أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي •
- ٦٠ - روض الأذهان في علم المعاني والبيان - بدر الدين بن مالك •
- ٦١ - زهر الآداب وثمر الآليات - الحضري القيرواني •
- ٦٢ - سر الفصاحة - ابن سنان الخفاجي •
- ٦٣ - سرقات أبي نواس - مهمل بن يموت بن المزروع •
- ٦٤ - شرح بديعية الباعونية - عائشة الباعونية •
- ٦٥ - شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان - جلال الدين السيوطي •
- ٦٦ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد •
- ٦٧ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة •
- ٦٨ - الشفاء - ابن سينا •
- ٦٩ - الصاحب - أحمد بن فارس •
- ٧٠ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء - القلقشندي •
- ٧١ - كتاب الصنائع - أبو هلال العسكري •
- ٧٢ - طبقات الشعراء - عبيد الله بن المعتمر •
- ٧٣ - طبقات فحول الشعراء - ابن سلام الجعفي •
- ٧٤ - طراز الحلة وشفاء القلة - أبو جعفر الرعيني •



- ٧٥ - الطراز - يعين بن حمزة العلوي \*
- ٧٦ - عروس الاقتراح في شرح تلخيص المفتاح - بهاء الدين البكي \*
- ٧٧ - العقد الفريد - ابن عبدربه \*
- ٧٨ - المبدلة - ابن رشيق القيرواني \*
- ٧٩ - عيار الشعر - ابن طباطبا العلوي \*
- ٨٠ - عيون الاخبار - ابن قتيبة \*
- ٨١ - الناضل - المبرد \*
- ٨٢ - فحولة الشعراء - الاصمعي \*
- ٨٣ - الفلك الدائر على المثل السائر - ابن أبي الحديد \*
- ٨٤ - فن الشعر - أرسطو \*
- ٨٥ - التوائد ( المنبوق الى علوم القرآن وعلم البيان ) - ابن قيم الجوزية \*
- ٨٦ - قانون البلاغة - أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي \*
- ٨٧ - قراصة الذهب - ابن رشيق القيرواني \*
- ٨٨ - قواعد الشعر - ثعلب \*
- ٨٩ - الكامل - المبرد \*
- ٩٠ - كتاب سيبويه - عمرو بن قنبر سيبويه \*
- ٩١ - الكشف - جاز الله الزمخشري \*
- ٩٢ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - خياه الدين بن الاثير \*
- ٩٣ - المجازات النبوية - الشريف الرضي \*
- ٩٤ - مجاز القرآن - أبو عبيدة \*
- ٩٥ - المختصر - سعد الدين التفتازاني \*
- ٩٦ - المزهر - جلال الدين السيوطي \*
- ٩٧ - المستقصى من علوم الأصول - الامام أبو حامد الغزالي \*
- ٩٨ - المصباح في علم المعاني والبيان والبدع - بهرا الدين بن مالك \*
- ٩٩ - المصون في الأدب - أبو احمد الحسن بن عبيد الله العسكري \*

- ١٠٠ - الطول - سعد الدين الشاذلي \*
- ١٠١ - معالم الكتابة ومقام الاصابة - ابن شيث القرشي \*
- ١٠٢ - معاني القرآن - الفراء \*
- ١٠٣ - معترك الاقران في اجاز القرآن - جلال الدين السيوطي \*
- ١٠٤ - المعتمد في اصول الفقه - محمد بن علي بن الطيب البصري \*
- ١٠٥ - المغني في ابواب التوحيد والعدل - ابو الحسن عبد الجبار الاسدي \*
- ١٠٦ - مفتاح العلوم - السكاكي \*
- ١٠٧ - المقابلات - ابو حيان التوحيدي \*
- ١٠٨ - المختضب - المبرد \*
- ١٠٩ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون \*
- ١١٠ - المنزاع البديع فني تجنيس اساليب البديع - ابو محمد القاسم السجلجاسي \*
- ١١١ - منتقى السؤل في علم الاصول - ابو الحسن علي الآمدي \*
- ١١٢ - منطق أرسطو - أرسطو طاليس \*
- ١١٣ - منهاج البلغاء وسراج الادباء - حازم القرطاجني \*
- ١١٤ - الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري - أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي \*
- ١١٥ - مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح - ابن يعقوب المغربي \*
- ١١٦ - الموضح - المرزبالي \*
- ١١٧ - نصرة التائر على المثل السائر - صلاح الدين الصفدي \*
- ١١٨ - نصرة الاغريض في نصرة القرطبي - المظفر بن الفضل العلوي \*
- ١١٩ - نحات الازهار - عبد الغني النابلسي \*
- ١٢٠ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر \*
- ١٢١ - نقد للثر - المنسوب الى قدامة بن جعفر \*

- ١٢٢ - النكت في إعجاز القرآن - الرماني •
  - ١٢٣ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز - فخر الدين الرازي •
  - ١٢٤ - الوافي في العروض والقوافي - الخطيب التبريزي •
  - ١٢٥ - الرسالة بين المتبني وخصومه - علي بن عبد العزيز القاضي البهرجاني
- وهناك كثير من كتب البلاغة ومصادرها المخطوطة ، أما مراجع البحث البلاغي فهي كثيرة تحفل بها مكتبات العالم ، ولا يزال الباحثون يضيفون كل عام كتباً وبحوثاً جديدة<sup>(٢٢)</sup> . وتأتي أهمية المراجع من أنها تفتح أمام الباحث سبل الكشف عن المصادر وتفسر له ما غطس وتوضح له ما استهم وتبرز له بعض ما تلقته المعاصرون من الغرب بما قرأوه في كتب العرب ، وفي ذلك فائدة لمن أراد التجديد •

#### استعمالات:

تضاف الى القائمة بعض المصادر القديمة وهي :

- ١ - أصول البلاغة - كمال الدين ميشم البهراي •
- ٢ - الروض المرح في صناعة البديع - ابن البناء المراكشي •
- ٣ - شرح الكافية البديعية - صفي الدين الحلي •
- ٤ - المنصف - الحسن بن علي بن وكيع •
- ٥ - نكت الاختصار لنقل القرآن - أبو بكر الباقلائي •

---

(٢٢) لم يكن حينما بدأنا بالتأليف في البلاغة عام ١٩٥٦ م ، الا ما يعد على اصابع اليد من الكتب المحققة والمؤلفة في البلاغة والنقد .

- ١ - إعجاز القرآن - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاسي • تحقيق احمد صقر • القاهرة •
- ٢ - البيان والتبيين - الجاحظ • تحقيق عبدالسلام هارون - القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م •
- ٣ - جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري • القاهرة •
- ٤ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي • القاهرة ١٢٩٩هـ •
- ٥ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا • القاهرة ١٣٧٢هـ •
- ٦ - الرسالة - محمد بن ادريس الشافعي - تحقيق احمد شاكر • القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م •
- ٧ - الطراز - يحيى بن حمزة العلوي • القاهرة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م •
- ٨ - عروس الأقصر - بهاء الدين السبكسي • ( شروح التلخيص • القاهرة ١٩٣٧م ) •
- ٩ - كتاب الصائتين - أبو هلال العسكري • تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم • القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م •
- ١٠ - الكشف - جلال الزمخشري • القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ •
- ١١ - مفتاح العارم - السكاكي • القاهرة ١٣٥٩هـ - ١٩٣٧م •
- ١٢ - مقالات الاسلاميين - أبو الحسن الأشعري - استانبول ١٩٢٩م •
- ١٣ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون • دار الكشف - بيروت •
- ١٤ - نهاية الإيجاز - فخر الدين الرازي • القاهرة ١٣١٧هـ •

## ( ٢ )

### الفصاحة عند الجاحظ

#### الفصاحة :

كانت الفصاحة من أهم ما عني به العرب ؛ لأنها عنوان القدرة على الكلام والقاء الخطب وإنشاء الشعر . والفصاحة هي الوضوح والبيان ، قال ابن منظور : « الفصاحة : البيان . فصيح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصيح ، وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح . رجل فصيح وكلام فصيح : أي بايع . لسان فصيح : أي طلق ... وفصيح الأعجمي فصاحة : تكلم بالعربية وفهم عنه . وقيل : وجازت لغته حتى لا يلحن . أفصح كلامه أفصاحاً وأفصح : تكلم بالفصاحة ، وكذلك الصبي ، يقال : أفصح الصبي في منلقه أفصاحاً إذا فهم ما يقول في أول ما يتكلم . أفصح الأنتم : إذا فهمت كلامه بعد غيبته .<sup>(١)</sup> أفصح عن الشيء أفصاحاً : إذا بيّنه وكشفه فصيح الرجل وفصيح إذا كان عربي اللسان فأزاد فصاحة . وقيل : تفصيح في كلامه وتفصيح : تكلم بالفصاحة ، يقال : ما كان فصيحاً ولقد فصح فصاحة وهو اليقن في اللسان والبلاغة . التفصيح : استعمال الفصاحة وقيل : التشبه بالفصحاء ، وقيل : جميع الحيوان ضربان : أعجم وفصيح ، فالفصيح :

① نشر في مجلة المورد ( العدد الأول سنة ١٩٨٢ ) ثم نشر بتعديل في كتابي « البلاغة عند الجاحظ » الذي نشرته وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة ١٩٨٢ م . وكانت قد اعتمدت بنسب المصطلح البلاغي منذ أكثر من ثلاثين سنة وظهر ذلك في كتبي الكثيرة ثم تفرج في « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » و « معجم النقد العربي القديم » .

(١) الفطنة : المعجمة في المنطق . الألف : من لا يفصح في كلامه .

كل فائق ، والأعجم : كل ما لا ينطق . الفصح في اللغة المنطلق للسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديته « (٢) » .

ويوضح في هذا القول أن النصيحة بيان التعبير ووضوحه ، وأنها تخص الكلام والمتكلم ، فنصيحة الكلام أن يكون واضحاً بليغاً ، وفصاحة المتكلم أن يكون منطلق اللسان في القول ، عارفاً جيد الكلام من رديته . ولو مضينا بحث عن لفظة « النصيحة » لرأيناها في كلام العرب كقول ثعلبة السعدي :

وأوه فازاً ذرّوه وهو خيرني<sup>(٣)</sup> ونفع أهلك الرجل القبيح<sup>(٤)</sup>

فلم يخشسوا مصالته عليهم وتحت الرغرة اللين<sup>(٥)</sup> الفصح<sup>(٦)</sup>

وفي القرآن الكريم كقوله تعالى حكاية عن فيه موسى - عليه السلام : « وأخي هرون هو أقنصح<sup>(٧)</sup> مني لساناً » (١) . وفي الحديث النبوي الشريف كقوله - صلى الله عليه وسلم - : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » وقوله : « غر له بعدد كل فصيح وأعجم » (٢) . ولا يفرج باقي كتاب الله وكلام الرسول الكريم عن المعنى الذي ذكرته المعاجم لكلمة « النصيحة » وهو الظهور والبيان وانطلاق اللسان ، وحينما دخلت هذه اللفظة القواميس البلاغية ارتبطت بلفظة البلاغة وصارت صنوها ، وأصبح رجال البلاغة الأوائل لا يفرقون بينها بل لم يروا بأساً في أن يستعملوا إحداها مكان الأخرى .

وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ من أوائل الذين اهتموا بقراءة النصيحة ، وفي كتابيه « البيان والتبيين » و « الحيوان » وغيرها كثير من الاشارات الى فصاحة المتكلم وفصاحة الكلام ، وهي اشارات

(٢) لسان العرب ( قصح ) .

(٣) الخرق : الطريف في سماحة ونجدة . المصالة : ما فطر من الجرة أو الخاية .

(٤) سورة القصص ، الآية ٣٤ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٣ ص ٤٥٠ .

كان لها أثر عظيم في الدراسات البلاغية وتقسيم النصاحة التي نوعها فصاحة المتكلم وفصاحة الكلام .

### فصاحة التكلم :

حدد القدماء فصاحة المتكلم بأن يكون منطوق اللسان فسي القول ، عارفاً جيد الكلام من رديئة ، وأن لا يكون في لسانه عيب يمنعه من الطلاقة وإخراج الحروف من مخارجها بصورة صحيحة . وقد عالج الجاحظ هذه المسألة في كثير من فصول كتابه «البيان والتبيين» وتعرض لها عند كلامه على الخطابة وما ينبغي أن يتصف به الخطيب ، وهدله من ذلك أن يعطي صورة وضاعة للخطباء العرب وهو يرد<sup>(٦)</sup> على الشعوبيين الحاقدين .

عرف الجاحظ النصيح والاعجم بقوله : « النصيح هو الانسان ، والاعجم كل ذي صوت لا يفهم إرادته الا ما كان من جنسه »<sup>(٧)</sup> . فالعربي نصيح إن أدى الكلام أداءً حسناً وأنهم الآخرين وكان غلقه للحروف سليماً وإخراجه للكلمات صحيحاً ، وكان بعيداً عما عرف في بعض قبائل العرب من كسكسة وخفصة . وقد قال معاوية أبي سفيان يوماً : « من أنصح الناس ؟ فقال قائل : قوم ارتفعوا عن لخلخاية الفرات وثيامتوا عن عننة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ، وليست لهم غنمة قضاة ولا طبطباتية حير . قال : من هم ؟ قال : قريش »<sup>(٨)</sup> . فقريش من أنصح قبائل العرب ، وهي التي نزل عليها كتاب الله أول ما نزل فأصبح بيانه وألفاظه المثل الأعلى لكل فصيح بليغ ، وصار أهل الأمصار يضحرون بلغتهم التي تقرب من لغة القرآن ولا تخرج على ما جاء فيه من عذب الاصناف . قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر : « ليست لكم معاصر أهل البصرة لغة نصيحة انما النصاحة لنا أهل مكة . فقال ابن المناذر :

(٦) الجوهري ج ١ ص ٢٢ .

(٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢١٢ .

أما الشاعر فاحكي لألفاظ القرآن واكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا  
حيث شئتم .» (١٢)

لقد ذهب الجاحظ الى أن الفصح من غير عن نفسه بوضوح وأبان عن  
قصده بجلالة ودطبق ذلك على أية لغة مادام التكلم ينطق حروفها طبقاً سليماً  
ويشكلم بها بطلاقة ووضوح . إن الإنسان فصيح « وإن عبر عن نفسه بالفارسية  
أو بالهندية أو بالرومية . وليس العربي أسوأ فصلاً لخططة الرومي من الرومي  
ليبان لسان العربي ، فكل إنسان من هذا الوجه يقال له فصيح » (١٣) . وهذا  
ادراك واسع لحقيقة الفصاحة التي لا تخص لغة من اللغات أو أمة من الأمم بل  
هي مقسومة عليهم ، والفصح فيهم ممن عبر عن نفسه بلسان سليم . وقد  
تجتمعت فصاحة لغتين أو أكثر في واحد ، ومن ذكرهم الجاحظ وكان من أعاجيب  
الدنيا موسى بن سيار الأسواري الذي « كانت فصاحته بالفارسية في وزن  
فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتتصد العرب عن بيته  
والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله وترسها للعرب بالعربية ثم يحول  
وجهه الى الفرس فيترسها لهم بالفارسية فلا يفرى بأي لسان هو أبين .  
واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخل كل واحدة منهما الطيم على  
صاحبتها » (١٤) . إلا ما ذكرنا من لسان موسى بن سيار الأسواري » (١٥) .

لقد أولى الجاحظ الفصاحة عناية كبيرة لأهميتها في المناظرة والخطابة  
وانشاد الشعر ، وقال : « كلما كان الإنسان أبين كان أحسن ، كما أنه كلما كان  
القلب أشد استبانة كان أحسن » (١٦) . وذكر سؤال موسى — عليه السلام  
لربه أن يحلل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وأن يكون أخوه هرون رده

(١٢) البيان ج ١ ص ١٨ — ١٩ .

(١٣) الحيوان ج ١ ص ٢٢ .

(١٤) علاج الجاحظ هذه المسألة في الحيوان ج ١ ص ٧٦ .

(١٥) البيان ج ١ ص ٣٦٨ .

(١٦) البيان والتبيين ج ١ ص ١١ .



يصده ، لأنه انفتح لساناً ، ولم يكن ذلك إلا « رغبة منه في غايمة الانفتاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق اليه أميل والمقول عنه أنهم ، والنشوس اليه أسرع ، وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة ويبلغ ألبابهم على بعض المشقة »<sup>(١٢)</sup> . قصاصة المتكلم مهمة في التعبير وإغناء الروعة على الثماني وأكاسيا القوة فسي البائير ، وكان العرب يأتسون بالحديث الجليل والكلام العذب ويمدونه جانيا من القيرى ، وقد قالوا : « من تمام الضيافة الضلالة عند أول وهلة وطاله الحديث عند المراكلة »<sup>(١٣)</sup> . وقال عروة بن النور :

سبي الجائع "الثرثان" يا أم منذر إذا ما أتاني بين ناري ومجزري  
هل أيسقط وجبي إله أول القيرى وأبذل معروفسي له دون منكسري  
وكان إعطاء الحروف حقها من القصاصة أول ما يسعى اليه النصحاء ، ولذلك كانوا يحرصون على النطق السليم والالتقاء الحسن ليكونوا أشد تأثيراً حينما يتحدثون أو يخطبون أو يجادلون . وكانوا يتعاشون الحروف التي لا يحسنون نطقها ، ويتعشون عن الالفاظ التي لا ينطق بها اللسان . وكان أصل بين عطاء المتزلي من حرص الناس على أن يكون كلامه فصيحاً ، لأنه كان صاحب مقالة ورئيس محكمة ، ولما علم أنه الشيخ وأن مخرج ذلك منه شنيع رام اسقاط الرأى من كلامه وإخراجها من حروف منطق ، فلم يزل يكابد ذلك ويقالبه حتى انتظم له ما حاول . ومن طريف ما ذكره الباحث عنه أن بشارة حينما هجاء بقوله :

مالي آتايح غمز الالم له عشق  
كثيرا تثير الدو إن ولي وإن مثلاً  
عشق الزرافة ما بالسي وبالكم  
الكثيرون وجالام أكثروا رجلاً<sup>(١٤)</sup>

(١٢) البيان ج ١ ص ٧ .  
(١٣) النطق : ذكر النعام ، الدو : الفلاة . ويشير بشارة في البيت الثاني الى طول عشق وأصل بين عطاء

قال: وأما لهذا الأسمى المحدث المثلث الكنى بأبي معاذ من يقتله؟ أما والله لو أن  
 الغيبة سجية من سجايا الغالية لبعث إليه من يمنع بطنه على مضجعه ويقتله لي جوف  
 مثله وفي يرم حذاه ، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عتيبي أو سدوسي <sup>(١٦٦)</sup> .  
 لقد تجنب وأصل الرأى في كلامه وهو كثير الدوران في اللغة العربية ، وهو حين  
 لم يستطع أن يقول بشار ، وابن برد ، والمرث ، جعل « الكنى بأبي معاذ »  
 بدلاً من بشار وابن برد و « المشتف » بدلاً من « المرث » و « الماحد » بدلاً  
 من « الكافر » ، وقال لو لا أن الغيبة سجية من سجايا الغالية « ولم يذكر  
 المتصورة ولا المنيرة » <sup>(١٦٧)</sup> لكن الرأى ، وقال : « لبعث إليه من يمنع بطنه »  
 ولم يكن : لأرسلت إليه من يتر بطنه « وقال : « على مضجعه » ولم يقل :  
 « على فراشه » أو « سريريه » وكان إذا أراد أن يقول « البر » قال : القبح  
 أو الحطة ، والحطة كزفة والقبح لغة شامية ، هذا وهو يعلم أن لغة من قال  
 « بر » أفصح من لغة من قال : قبح أو حطة ، ولقدرته على اجتناب الرأى قال  
 الشاعر :

ويجعل البشر قدحاً فسي تصرفه      وجانب الرأى حتى احتال انصر  
 ولم يطق مطراً والنول يتعجرك      فعاد بالغيث إشفاقاً من المطر

وقال قطرب التحوي فيما نقله الجاحظ عنه : « سألت عثمان اليرى : كيف  
 كان وأصل يصنع في العدد ؟ وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ؟  
 وكيف كان يصنع بالتمر والبخر ويرم الأرباء وشهر رمضان ؟ وكيف كان  
 يصنع بالحرم وسفر ويسع الآخر وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : ما لي فيما  
 يقول إلا ما قال صلوان :

ملتفتن ملتئم فيسا يحاوله      جثم خواطره جوباب آفاق <sup>(١٦٨)</sup>

(١٦٦) البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٠ .

(١٦٧) المتصورة والمنيرة : من الفرق الغالية . (١٦٨) البيان ج ١ ص ٢٢ .

ذكر الجاحظ ذلك كله ليؤكد أهمية الفصاحة وأثرها في الحديث ، ولكي يبدوها خاض في مسائل كثيرة كالأصوات والالسان واللسان وعيوبه والعي والحصر واللعن واقتران الحروف وتناثر الاقلاق وغرائبها وجمالها ونوعها وتطورها . ولكنه على طريقتة في البحث والتأليف نشر هذه المسائل في كتب شراً ، وجسّع الأشباه والنظائر ، وضَمَّ بعضها الى بعض يعطي صورة عن جهوده في الفصاحة .

### الاصوات :

الاصوات ظاهرة طبيعية تنشأ عن اهتزاز الاجسام ، والصوت الانساني ينشأ من ذبذبات مصغرها الحنجرة التي تضمّ الوترين الصوتيين ، واهتزازات هذين الوترين تطلق من الفم او الالف وتنتقل خلال الهواء الخارجي . وأعضاء النطق هي القصة الهوائية والحنجرة والحنق واللسان والحنك والفرأخ الاعلى والشفان ، ولكل عضو وظيفة خاصة في اخراج الصوت وتحديد مخارج الحروف . وقد تحدث الجاحظ عن الصوت وهو « آلة النطق والجوهر الذي يقوم به التطيع وبه يوجد التأليف . وان تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا مشوراً إلاّ بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلاّ بالتطيع والتأليف »<sup>(١٩)</sup> . وللصوت تأثير عجيب في النفوس « فحين ذلك ان منه ما يقتل كصوت الصاعقة ، ومنها ما يسرّ النفوس حتى يفرط عليها السرور فتعلق حتى ترقص وحتى ربما رمى الرجل نفسه من حالىق ، وذلك مثل هذه الاغاني الطرية . ومن ذلك ما يكبد ، ومن ذلك ما يزل العتل حتى يفتنى على صاحبه كنعو هذه الأصوات الشجية والقراءات المأبنة . وليس يمتريهم ذلك من قبل المأسي ؛ لانهم في كثير من ذلك لا يلمسون كلامهم ، وقد بكى ماسرجويه<sup>(٢٠)</sup> من قراءة أبي الغسوخ فقبل له : كيف بكيت من كتاب الله

(١٩) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ .

(٢٠) ماسرجويه : يهودي من اطباء البصرة وأحد المترجمين من السريانية .

ولا تمكن به ؟ قال : إنما أبكاني الشجا • وبالأصوات يؤمنون العبيان  
والأطفال • (٢١) .

والعلمية أثر في اخراج الحروف وإن كان الأعجمي غير قادر على نطق  
جميع الحروف العربية إلا بعد النصب ، ويظهر ذلك منه من غير تأمل طويل أو  
ملاحظة دقيقة فقد « يتكلم المغلاق (٢٢) » الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية  
المعروفة ويكون لفظه متحيزاً فاحراً ومعناه شريفاً ، ويعلم مع ذلك السامع  
لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي • وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه  
الصلة فإنه تعلم مع إعرابه وتغشيره التلصص في مخرج كلامه أنه خراساني ،  
وكذلك إن كان من كتاب الأحواز • ومع هذا أنا نجد الحاكية من الناس يحكي  
الناطق سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يتأدر من ذلك شيئاً ، وكذلك تكون  
حكايته للخراساني والأحوازي والزنجي والسندي والأبجاسي وغير ذلك • نعم  
حتى تجده كأنه أطبع منهم ، فإذا ما حكى كلام الفأفأ فكأنما قد جمعت كل  
طرفه في كل فأفأ في الأرض في لسان واحد ، وتجده يحكي الأعشى بصور  
يشبها لوجهه وعينه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف أعشى واحداً يجمع ذلك  
كله فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العيان في أعشى واحد • (٢٣) وكان  
بعضهم يقلد أصوات الحيوانات ويأرني غاية في التقليد • ومن طرف ما ذكره  
الباحث أن أبا دُبُورَةَ الزنجي مولى آل زياد كان « يقف بياب الكرخ بحضرة  
المكارين فينوق فلا يبقى حمار مريض ولا حرم حسيب ولا متعب يدير إلا نوق ،  
وقبل ذلك تسمع نقيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها  
متحرك حتى كان أبو دُبُورَةَ يحرره • وقد كان يجمع جميع الصور التي تجمع  
نقيق الحمار فجعلها في نقيق واحد ، وكذلك كان في باح الكلاب » (٢٤) .

(٢١) الحيوان ج ٤ ص ١٦٢ .

(٢٢) يقال استغلق عليه الكلام : إذا ارتج عليه قام بجده وجهاً للتكلم .

(٢٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٩ .

(٢٤) البيان ج ١ ص ٦٩ - ٧٠ .

وقد يصعب تغيير النطق إذا تمكن في الألسنة ، واتبه الجاحظ إلى ذلك فقال : « ألا ترى أن السدي إذا جاب كثيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في غيا تميم وفي سفل قيس وبين عجز هذولن حسين عاما . وكذلك النبطي الذبح وهو خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، وإن النبطي انتح يجعل الزاي سينا فإذا أراد أن يقول : « زورق » قل سورق ، ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول : « مشعمل » قال : مشمل والنحاس يستحسن لسان الجارية إذا فطن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول : « غاصة » وتقول : « شمس » ثلاث مسرات متواليات »<sup>(٢٢٠)</sup> . ويربط بين كثرة مخارج الحروف وكثرة ما يحتاج إليه الإنسان أو العروان من أصوات تعبر عن حاجاته قال : « وتزعم الهند أن سبب ماله أكثر كلام الناس واختلقت صور ألفاظهم ومخارج كلامهم ومقادير أصواتهم في اللين والشددة وفي المد والتقص ، وكثرة حاجاتهم ، وكثرة حاجاتهم كثرت خرافهم وتصاريح ألفاظهم وانتمعت على قدر اتساع معرفتهم »<sup>(٢٢١)</sup> ، ولذلك كانت أصوات الحيوانات وصورها قليلة ، فالسناير لا تعدو خرافها خمسة أوجه : « منها صياحها إذا شربت ولذلك صورة ، وصياحها إذا دعت أخوانها وأولادها ولذلك صورة ، وصياحها إذا دعت أولادها لطلبهم ولذلك صورة ، وصياحها إذا جاءت ولذلك صورة ، فلما قلت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلت وجوه مخارج الأصوات ، وأصواتها ذلك فيما بينها من كلامها »<sup>(٢٢٢)</sup> . ويربط بين صعوبة اللغة وأصواتها وقال : « واللغات إنما تشته وتسر على المتكلم بها على قدر جهله بإمكانها التي وضعت فيها وعلى قدرة كثرة العدد وقلته ، وعلى قدر مخارجها وخفتها وسلسها وثقلها وتمتدها في أنفها ، كثرق ما بين الزنجي والخورزي فإن الرجل

(٢٥) البيان ج ١ ص ٧٠ - ٧١ .

(٢٦) الحيوان ج ٤ ص ٢١ - ٢٢ .

(٢٧) الحيوان ج ١ ص ٢٢ . ويلاحظ أن الجاحظ سها عن ذكر الصورة الخامسة .

يتخص في بيع الزنج وابتاعهم شراً واحداً فيكلم بعامة كلامهم ، ويأج  
الخوز ويجاورهم زماناً فلا يتعلق منهم بطلال » (٢٨) .

وتكلم الجاحظ على بعض أعضاء النطق كاللسان واللسان وذكر بعض  
ما يتصل بها وتأثيرها في إخراج الحروف .

### الأسنان :

وهي أحد أقسام الحنك في أعضاء النطق أو الجواز العضلي وقد راعها  
في إخراج الحروف ، وقد قال سؤل بن هارون : « لو عرف الزنجي قرط حاجته  
إلى ثنائه » (٢٩) في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان لما تزع ثنائه » (٣٠) . وكان  
عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد قال من قبل في سهل بن عمرو الخطيب :  
« يا رسول الله ازرع ثنيتي السفلين حتى يدلع لسانه لئلا يقوم عليك خطيئا  
أبدا » (٣١) ، ولذلك لم يكلم معاوية بن أبي سفيان على منبر جماعة منذ سقطت  
ثنائيه .

وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من قم الأهم (٣٢)  
من الماء والسين إذا كانا في وسط الكلمة . ولا تخرج الضاد إلا من الشفق  
الأيمن إلا أن يكون التكلم أغشَرَ يسراً مثل عمر بن الخطاب -  
رضي الله عنه - فإنه كان يخرج الضاد من أي شقيه شاء ، فأما الأيمن  
والأعسر والأضبط (٣٣) فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراء الشديد (٣٤) . وقيل  
إن سقوط جميع الأسنان أصبح في الإبادة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها

(٢٨) الحيران ج ٥ ص ٢٨٩ .

(٢٩) الثنايا : أسنان مقدم الفم ، ثنتان من فوق وثنان من أسفل .

(٣٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٨ .

(٣١) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٨ .

(٣٢) الأهم : هو الذي اكسرت ثنائه من أصولها .

(٣٣) الأضبط : الأمر اليسر الذي يعمل بكلماته يديه .

(٣٤) ينظر البيان ج ١ ص ٦٢ .

وخالف أحد شطريها الشطر الآخر ، قال الجاحظ : « وقد رأينا تصديق ذلك في أقراء قوم شاهدتهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانه وبعد أن دُعي منها الثالث أو الرابع . ومن سقطت جميع أسنانه وكيان معني كذا في مذهبنا الوليد ابن هشام القحطمي ، وصاحب الأخبار ، ومنهم أبو سفيان بن العلاء بن ليبد الكلابي وكان ذا بيان ولسن . وكان عبيد الله بن أبي غسان يصرف لسانه كيف شاء ، وكان الألاحاح على القيسي<sup>(٣٥)</sup> قد برد أسنانه حتى لا يرى أحد منها شيئاً إلا إن تلتاح في لحم اللثة أو في أصول منابت الأسنان . وكان سفيان بن الأبرد الكلابي كثيراً ما يجمع بين العار والقار فتساقطت أسنانه جميع ، وكان في ذلك خطيباً بلياً . وقال أهل التجربة : إذا كان في اللحم الذي فيه منازر الأسنان تشعير وقصر سنك<sup>(٣٦)</sup> ، ذهبته الحروف وفسد البيان . وإذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئاً يقرعه ويصكه ولم يبر في هواه واسع المجال ، وكان لسانه بدلاً جوية فيه ، وإذا كان كذلك ، لم يضره سقوط أسنانه إلا بالتقدير المتعذر والجزء والحثل<sup>(٣٧)</sup> . »

### اللسان :

اللسان عضو مهم في عمادة النطق لرواقه وكثرة حركته في الفهم عند الكلام . وقد تحدث الجاحظ عنه وذكر صاته الوثيقة بالنطق وقال إن من سقطت جميع أسنانه كان عظم اللسان ظناً له ، وقتل عن أرسطو « أن كل طائر عرض للسان فاللصاح به حروف الكلام منه أوجد<sup>(٣٨)</sup> . » وقال : « ويؤكد ذلك قول صاحب النطق فإنه زعم في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع والبهيمة كلها كان لسان الواحد منها عرض كان أقصحه وأبين وأحكس لما يفتن ولا يسمع كبحر البيضاء والصفاف وغراب البين وما أشبه ذلك<sup>(٣٩)</sup> . »

(٣٥) القيسي : الشمس الجاف ، ولا يزال هذا مستعملاً في العراق .

(٣٦) التشعير : التقطيس . السنك = بالفصح وسكون الميم - : الارتفاع .

(٣٧) البيان ج ١ ص ٦١ - ٦٢ .

(٣٨) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٨ . (٣٩) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٢ .

ويحتاج اللسان الى التعريب لماذا « ترك الانسان القول فالتت خرافه  
وتبالت نفسه وفسد حسه . وكانوا يرون حياهم الأرجاز ويعلمونهم  
المناقلات ويأمرهم يرفع الصوت وتحقيق الأعصاب ؛ لأن ذلك يخلق الهبة  
ويفتح الجرم<sup>(١٠)</sup> . واللسان إذا كثرت ثقايه رقي ولان ، وإذا أقلت ثقايه  
وأقلت إسهله جأ وغلظ<sup>(١١)</sup> . وكانوا يستدعون رحابة الشديق وقد قيل  
لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : « لزور العينين ، والشراف العجايبين ، ورحب  
الشديق<sup>(١٢)</sup> » . وكانوا يذمون التشويق الذي يذري شدته للتفصح ، ولكن  
الجاحظ رأى أن « صاحب التشديق والتعير والتعيب<sup>(١٣)</sup> » من الخطباء والبلغاء  
مع ساحة التكلف وشدة التزيد أضر من عبي يتكلف الخطابة ومن عسير  
يتمرض لأهل الاحتياذ والدربة . ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت  
بلاغة يخالفها التكلف وبيانا يمازجه التزئد . إلا أن تعاطي الحصر المنقوص  
مقام الدرب التام أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ومن تشايق الأعرابي التبحر .  
واتحال المعروف ببعض الخسارة في المعاني والائتاط وفي التحير والارتجال  
إله البحر الذي لا إنزح والقمر الذي لا يسر أبسر من اتحال الحصر المنخوب  
فسي مسلاخ<sup>(١٤)</sup> التام الموفر والجامع المحكم وإن كان النبي -  
صلى الله عليه وسلم - قد قال : « إياي والتشويق » . وقال : « أبغضكم إليّ  
الترسارون المتصيفون » . وقال : « من بدأنا » . وعاب البدادين<sup>(١٥)</sup>  
والمتردين في جهارة الصوت واتحال سعة الاشتياق ورحب الغلام وهذا  
الشفاء ، وأعلمنا أن ذلك في أهل الورى أكثر وفي أهل المدر أقل<sup>(١٦)</sup> .

(١٠) الجرم - بكسر الجيم - : الحلق .

(١١) البيان ج ١ ص ٢٧٤ .

(١٢) الحيوان ج ٢ ص ١٧٥ .

(١٣) التعير : أن يتكلم بأقصى قعر فيه . التعيب في الكلام كالتعير فيه .

(١٤) المنخوب : الجبان . المسلاخ : الجلد .

(١٥) القداد : الجاني الصوت والكلام .

(١٦) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٠ .



ومن الخطباء من كان أشغى أذاع<sup>(١٧)</sup> كزبد بن جندب ، « ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة »<sup>(١٨)</sup> . ومنهم من كان أروقى ومن كان أشجى ، ومن كان أققم<sup>(١٩)</sup> .

عيوب اللسان :

لابد للنصيح من أن يكون سليم النطق أي يكون لسانه خالياً من العيوب التي تنوء عن إخراج الحروف بصورتها الصحيحة . وقد تكلم الجاحظ على بعضها ومنها :

١ - اللثة : وهي التي تعترى الصبيان إلى أن يشأوا ، وهي خلاف مايعترى الشيخ الهرم المسترخي الحنك وخلاف مايعترى أصحاب الكنك من العجم ومن يشأ من العرب مع العجم<sup>(٢٠)</sup> والحروف التي تدخلها اللثة أربعة هي : القاف والسين واللام والراء ، قال الجاحظ : « فأما التي على الشين العجبة فذلك شيء لا يصوره الخط ؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة وإنما هو مخرج من الخارج ، والمخارج لا تعمى ولا يرقف عليها . وكذلك الفعل في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ، وليس ذلك في شيء أكثر منه في لغة الخوز ، وفي سواحل البحر من أسياك فارس فأس كثير كلامهم يشبه الصغير . فمن يستطيع أن يصور كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي تظير من فم الجوسي إذا ترك الإقصاح عن معانيه وأخذ فسي باب الكناية وهو على الطمام ؟ فاللثة التي تعرض للسين تكون ثاء كقولهم لا يبي يكسوم<sup>(٢١)</sup> « أبي يكسوم » وكما يقولون : « بشرة » إذا أرادوا : « بشرة » و « بسم الله » إذا أرادوا : « بسم الله » .

(١٧) اللثا : اختلاف لغة الإنسان . الفصح : شق في اللغة العليا .

(١٨) البيان ج ١ ص ٥٥ .

(١٩) الروقي : طول في التنايا الطمعا على السقي . الضجج : اوجاج في القم والققم مثله .

(٢٠) البيان ج ١ ص ٧١ .

(٢١) كنية ابرهة الملك الحبشي صاحب الفيل .

واللغة الثانية التي تعرض للقاف فإن صاحبها يجعل القاف طاءً فإذا أراد أن يقول : « قلت له » قال : « قلت له » وإذا أراد أن يقول : « قال لي » قال : « طال لي » .

وأما اللغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياءً فيقول بذلك قوله : « اعتلت » : « اعتيت » وبذلك : « جمل » : « جَمَيْ » . وآخرون يجعلون اللام كافاً كالذي عرض لعمر أخيه هلال قائم كأنه إذا أراد أن يقول : « ما العلة في هذا ؟ » قال : « مكعكة في هذا ؟ » .

وأما اللغة التي تقع في الراء فإن عددها يضعف على عدد لغة اللام ؛ لأن الذي يمرض لها أربعة أحرف ، فمنهم من إذا أراد أن يقول : « عمرو » قال : « عسي » فيجعل الراء ياءً . ومنهم من إذا أراد أن يقول : « عمرو » قال : « عَشْ » فيجعل الراء غيناً . ومنهم من إذا أراد أن يقول : « عمرو » قال : « عَشَد » فيجعل الراء ذالاً . وإذا أشد قول الشاعر :

واستبدعت مَرَّةً واحدةً      إنما العاجز من لا يستبد  
قال :

واستبدعت مَرَّةً واحدةً      إنما العاجز من لا يستبد  
فمن هؤلاء علي بن الجعيد بن فردي . ومنهم من يجعل الراء غيناً معجمة فإذا أراد أن يشد هذا البيت قال :

واستبدعت مَرَّةً واحدةً      إنما العاجز من لا يستبد  
كما أن الذي لفته بالياء إذا أراد أن يقول : « واستبدت مرة واحدة » يقول : « واستبدت مَرَّةً واحدة » .

وأما اللغة الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء وسليمان بن يزيد المدوي الشاعر فليس إلى تصويرها سبيل ، وكذلك اللغة التي تعرض في

السين كتحو ما كان يمرض لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر فإن تلك أيضاً ليست لها صورة في الخط نرى بالعين وانما يصورها اللسان وتتأدى بالسبح»<sup>(٥٢)</sup> . ولكنهم قالوا إن اللغاة التي تكون بالعين ألتها تبعا وأوجدتها في كبار الناس وبالقائم وأثرانهم وعلمائهم<sup>(٥٣)</sup> . وقد تجتمع في اللسان اللغتان في حرفين كأن يجعل اللام ياء والراء ياء كثغفة شوشى صاحب عبدالله بن خالد الأموي فإنه قال مرة : « مولاي وي - أيي » يريد : « مولاي ولي السري »<sup>(٥٤)</sup> . واللغاة التي في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأضعفهن لذي المروعة ثم التي على الظاء ، ثم التي على الغال ، فاما التي على الغين فهي أيسرهن ويقال إن صاحبها لو جهد قصه واحداً لسانه وتكلف مخرج الراء على حقها والانصاح بها لم يك بهيماً من أن تعجبه الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أترا حسنا . وقد كانت لغاة محمد بن شبيب المتكلم بالغين وكان إذا شاء أن يقول « عمرو » و « لعمرى » وما أشبه ذلك على الصحة قاله ، ولكنه كان يستعمل التكلف والتبرؤ لذلك ، وقد قال الجاحظ له : « إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فليست أنك أنك لو احتملت هذا التكلف والتبع شهراً واحداً إن لسانك كان يستقيم »<sup>(٥٥)</sup> . وكانوا يقولون إن أحسن اللغ ما كان على السين وهو أن تصير ثاء ، وكانوا يقولون أيضاً بأحسنها على الراء وهو أن تصير غيناً<sup>(٥٦)</sup> . وكانوا يستلحون اللغاة إذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولة فإذا أسنت واكتهلست تغير ذلك الاستصلاح<sup>(٥٧)</sup> . وكانوا

(٥٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤ - ٢٦ .

(٥٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥ ، ٢٧ .

(٥٤) البيان ج ١ ص ٢٦ .

(٥٥) البيان ج ١ ص ٢٦ - ٢٧ .

(٥٦) البيان ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٥٧) البيان ج ١ ص ١٤٦ .

يخالفون من الوراثة في اللحن ولذلك يقال إن أبا رمادة طلق امرأته حين وجدها  
تغناء خشية أن تحبته بولد ألحن وقال :

تغناء فأنني رحبتهم التفرح تيسر في المونسي والمصبر<sup>(٥٨)</sup>

٢ - التمتع : وهو التردد في الكلام فإذا تمتع اللسان في التغناء فهو  
فائء ، وقد قيل في مدح الطائي اللسان :

ليس بنافاء ولا تنام ولا كثير الهجر في الكلام

وقيل : إن التمام غير المتعرب عن معناه ولا المتصح بحاجته<sup>(٥٩)</sup> ، وإذا  
أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألف ، وقيل : بلسانه لتفك ،  
قال الشاعر :

كان فيه ألفاً إذا تطلق من طول تحبيرهم وهم وأرق

قال الجاحظ : « كانه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلبه وطال عليه  
ذلك أصابه لتفك في لسانه . وكان يزيد بن جابر قاضي الأزارقة يمد  
المعطيل يقال له : « الصوت » لانه لما طال صوته نقل عليه الكلام فكان  
لسانه يتوي ولا يكاد يبين . وأخبرني محمد بن الجهم أن مثل ذلك اعتراه  
أيام محاربة الزط من طول الفكر ولزوم الصمت<sup>(٦٠)</sup> . وقد يكون في كلام  
بعضهم عجلة فلا يستطيع السامع أن ينهم منه إلا بعد التمسك والانتباه  
الشديدين .

٣ - الحبسة : وهي أن يشغل الكلام في اللسان ، ولكنه لا يبلغ حد  
الفائء والتمام .

٤ - العقلة : هي أن يحبس اللسان عن الكلام .

(٥٨) البيان ج ١ ص ٥٧ . الحيلس : - يوزن هزير - الولد القصير الصغير .

(٥٩) البيان ج ١ ص ٢٧ - ٢٨ .

(٦٠) البيان والنبير ج ١ ص ٢٨ .

٥ - الـكـتـة : وهي العجبة في اللسان ، أو أن تـتـعـرض في الكلام اللغة الأجنبية ، قال الجاحظ : « ويقال في لسانه لكتة إذا أدخل بعض حروف المعجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول » (٦١) . وقد يكون المتكلم غير قادر على نطق بعض الحروف ، ومن ذلك زياد الأعجم الذي كان فصيح الشعر غير أنه لا يطق الطاء فإذا نطق « السلطان » قال : « السلطان » . ومنهم سحيم عبد بني الحساس الذي كان يتأب الشين سينا فإذا نطق : « ما شعرت » قال « ماسعورت » . ومنهم أم ولد لجريس بن الخطمي الشاعر وكانت تقلب الـذال دالا في كلمة « الجرفان » . ومنهم عبيد الله بن زياد الذي نشأ في الأساورة عند شيرويه الأسواري زوج أمه مرجانة ، فإنه كان يقلب الحاء هاء فيقول في : « أحروري » : « أهروري » . وكان شبيب بن سنان يطق العربية بالكنة رومية فيقول في « حائس » : « هائس » . ومنهم أبو مسلم الخراساني الذي كان يتأب القاف كافا فيقول في « قنت » : « كالت » .

وذكر الجاحظ موصفا آخر من الكنة يتصل بصيغة الفعل أو بناء الكلمة لا بنطاق الحروف ، فقد قيل لتبلي : لم ابتعت هذه الأمان ؟ قال : « أركبها وتلده » أي نجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ولكنه فتح المكسور حين قال : « ولاندلي » ولم يقل : « تلندلي » (٦٢) .

٦ - العـكـة : وهي نقصان آلة النطق وعجز أداة التقط حتى لا تعرف معانية إلا بالاستدلال (٦٣) . قال الجاحظ وهو يتحدث عن الحبسة : « يقال في لسانه حبسة إذا كان في لسانه ثقل يشبه من البيان ، فإذا كان الثقل الذي في لسانه من قبل العجبة قيل في لسانه حنكة ، والحنكل من الحيوان كنه ما

(٦١) البيان ج ١ ص ٣٩ .

(٦٢) ينظر البيان والتبيين ج ١ ص ٧١ ، ج ٢ ص ٢١٢ ، الحيوان ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٦٣) البيان ج ١ ص ٤٠ .

لم يكن له صوت يستبان باختلافه مخارجه عند حرجه وضجره وطلبه ما يذوه  
أو عند هياجه إذا أراد السقاء ، أو عند وعيد لقتال ، وغير ذلك من أمره » (٦٤) .

### الحي :

وكانوا يذمون الحي ، وهو العجز عن الأمر وإحكامه أو عن الحجة ،  
وقد بدأ الجاحظ كتاب « البيان والبيان » بقوله : « اللهم تعوذ بك من فتنة  
القول كما تعوذ بك من فتنة العدل ، وتعوذ بك من التكلف لما لا تحسن كما  
تعوذ بك من العجب بما تحسن » . وتعوذ بك من السلاطة والبهتر كما تعوذ بك  
من الحي والحصر وتديبا ما تعوذوا بآله من شرها وتضرعوا إلى الله في السلامة  
منها » (٦٥) . ونقل بعض الأقوال من ذلك قولهم : « البيان بصر والحي عي  
كما أن العليم بصر والجبل عي » ، والبيان من تاج العام والحي من تاج  
الجبل » (٦٦) . وقول الثمر بن توبل :

أعذني رب من حصر وعي<sup>٦٧</sup>      ومن تنس أعاليهما عيلاجا

وقول الآخر :

وما بي من عي<sup>٦٨</sup> ولا شايق<sup>٦٩</sup> الفنا      إذا جيع الأقوام في الخطب محتئل<sup>٧٠</sup>  
وكانوا يقولون : « عي أباس من شلل » كأن العي فوق كل  
زماة (٧١) . وفي الباب الذي عقده الجاحظ للعوي (٧٢) أمثلة كثيرة تدل على  
استحسان القراء له وتورهم منه .

### الحصر :

وكان يذمون الحصر وهو « ضرب من العي » حصر الرجل حصراً مثل  
تعب تعباً فهو حصير عي في مطلقه . وقيل : حصر لم يقدر على

(٦٤) الحيوان ج ٢ ص ٢١ .

(٦٥) البيان ج ١ ص ٢ .

(٦٦) البيان ج ١ ص ٢١٥ .

(٦٧) البيان ج ١ ص ٧٧ .

(٦٨) ينظر البيان ج ٢ ص ٢٢٤ .

الكلام»<sup>(٢٦)</sup> . وقال الجاحظ : «والناس لا يتغيرون الخرس ولا يأمون من استولى على بيانه العجز ، وهم يأمون الحصر ويؤمنون العبي فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعلّيا مناظرة البلقاء تضاعف عليهما الذم وتزاد عليهما التائب . ومماثلة العبي العصر البائع المصقع في سبيل مائة المنقطع المتعم للشاعر المقات وأحدهما اليوم من صاحبه ، والألسنة إليه أسرع . وليس اللجاج والستام والألتغ والنفاء وذو الحبسة والحككة والرشة»<sup>(٢٧)</sup> وذو اللص والعجلة في سبيل الحصر في خطبته والعبي في مناظرة خصومه كما أن سبيل المتعم عند الشعراء والبكسي عند الخطباء خلاف سبيل المسبب التواثر والخلل المتكاثر»<sup>(٢٨)</sup> .

#### التحن :

وكانوا يستبشرون التحن ؛ لأنه من عيوب الكلام ، وقالوا : « التحن في المنطق أتبع من آثار الجدري في الوجه»<sup>(٢٩)</sup> . وكان أول لحن سمع بالبادية « هذه عصائي » وأول لحن سمع في العراق : « حي على الفلاح»<sup>(٣٠)</sup> . وأتبع اللحن لحن أصحاب التفسير والتعريب والتشديد والتعطيل والجهورة والتفخيم ، وأتبع من ذلك لحن الأعراب النازلين على طرق السابلة ويترقب مجامع الأسواق . وقد رأى الجاحظ أن تذكر التواثر والطرف كما قيل ولا يصح ما فيها من لحن ، قال « ومتى سمعت - خطبك الله - بنادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج الفاظها ، فانك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلدين خرجت من ذلك الحكاية وإليك فضل كبير . وكذلك إذا سمعت بنادرة من نواثر

(٢٦) لسان العرب ( حصر ) .

(٢٧) الرية : مجلة في الكلام وقلة أناة ، وقيل هي العجلة في الكلام ، والحكمة :

شبه العجلة في الكلام .

(٢٨) البيان ج ١ ص ١٢ .

(٢٩) البيان ج ٢ ص ٢١٦ .

(٣٠) البيان ج ٢ ص ٢١٦ .

العوام وملاحة من مباح العشوة والطنام فأياك أن تستعمل فيها الاعراب أو تتخير لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سرياً ، فإن ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استطابهم أياها واستملاهم لها»<sup>(٧٦)</sup> . وقال : « إن الأعراب يفسد نواذر المولدين كسا أن اتلحن يفسد كلام الأعراب »<sup>(٧٧)</sup> . وقال في كتابه « البخل » : « وإن وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب ولنظاً معذولاً عن جهته فاعلموا أنا إنما تركنا ذلك لأن الأعراب يملأ هذا الباب ويخرجه من حده إلا أن الحكي كلاً من كلام متعالي البخله وأشده الطلاء كسبل بن هارون وأشباهه»<sup>(٧٨)</sup> وقال عن الجواري : « والحن من الجواري الطراف ومن الكواكب التواحد ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدر الفرائر أيسر ، وربما استمتع الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف ، ولكن إذا كان الحن على سجية سكان البلد »<sup>(٧٩)</sup> . وفي باب اللحن<sup>(٨٠)</sup> كثير من الأخبار والطرائف وهي تدل على استهجان القدماء لهذا العيب الذي يقع فيه المتحدثون والخطباء . وفي باب المحاذين والبلغاء<sup>(٨١)</sup> أسماء بعض الذين كانوا يقعون في هذا العيب على الرغم مما عرفوا به من بلغة واقتدار على الكلام .

تلك هي المسائل التي تحدث عنها الجاحظ في باب فصاحة الكلام ، وتلك هي العيوب التي عرض لها . وقد يكون بعضها طبعياً لا بدّ للمتكلم فيها ، وقد يكون بعضها بسبب نقص التمرين والمناجاة بالكلام ، ولذلك كان العرب يرسلون أولادهم إلى البادية أو يتطفون لهم مؤدبين يهذبهم على الفصاحة والنطق السليم ، ويعلمونهم البيان وفق القول ؛ لأن التمرين سبيل إلى إتقان

(٧٦) البيان والتمرين ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ . (٧٧) الحيوان ج ١ ص ٢٨٢ .

(٧٨) البخل ص ٤٠ .

(٧٩) البيان ج ١ ص ١٤٦ .

(٨٠) البيان ج ٢ ص ٢١٠ .

(٨١) البيان ج ٢ ص ٢٢٠ .



الكلام وسلامة النطق و فصاحة اللسان . وقد قال الجاحظ : « ويد الإنسان لا تكون أبداً إلا خرقاء ، ولا تصير صناعاً ما لم تكن المعرفة ثقافاً لها ، واللسان لا يكون أبرأ فاقها في طريق البيان متصرفاً في الالتقاط إلا بعد أن تكون المعرفة متخللة به متفلة له واضحة في مواضع حذوقه وعلى أماكن حطوطه ، وهو حلة له في الأماكن العميقة ومصرقة له في المواضع المختلفة »<sup>(٨٠)</sup> . فلفصاحة من صفات المتكلم كما هي من صفات الكلام ، وقد كانت مهمة في القديم حينما كان العربي يستند على فصاحته في البناء الخطب واتساع الشعر ومقارعة الخصوم ، والجاحظ حين بحث هذه المسألة كانت أمانة الخطابة والمناظرات التي كانت تقوم بين المتكلمين وخصومهم أو بينهم وبين الطائفتين في كتاب الله العزيز . وقد كانت جوهرة الصوت وسلامة اللسان من العيوب ذات أهمية كبيرة لأنها تؤثر تأثيراً عظيماً على المستمعين . ولم يقد الأمر عند هذه المسائل إلى كان الخطيب يستند على هيئته وزيه وإشاراته ونشأه للمعاني بديرات صوته ومقامل كلامه ، وقد قال أبو داود بن حريز وقد جرى شيء من ذكر الخطب : « تلخيص المعاني وفق ، والاستماع بالغريب عجز ، والتشويق من غير أهل البادية بفض ، والنظر في عيون الناس عسي » ، ومن البقية هلك » . وقال : رأس الخطابة الطبع ، وصمودها البرية ، وجناحها رواية الكلام ، وحلية الأعراب وبلاؤها تخير الالتقاط ، والمحبة مقرونة بثقة الاستكراء »<sup>(٨١)</sup> وقال الجاحظ : « إن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج وجهازة النطق وتشكيل الحروف وإقامة الوزن ، وإن حاجة النطق إلى العلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجزالة والفصاحة ، وإن ذلك من أكثر ما تشتمل به القلوب وتشتي به الأذان وتزين به المعاني »<sup>(٨٢)</sup> .

(٨٠) الحيوان ج ١ ص ١١٦ .

(٨١) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٤ .

(٨٢) البيان ج ١ ص ١٤ .

## فصاحة الكلام :

أما فصاحة الكلام فهي « علومه من ضعف التأليف وتنافس الكلمات والتعقيد »<sup>(٨٣)</sup> . وقد تحدث الجاحظ عن ذلك حديث العارف المطلع والأدب القنطرة وكان لزيعة الأديبة وثقافته الواسعة أكبر الأثر في معالجة هذا الموضوع . ولا تنحصر فصاحة الكلام في مسألة واحدة وإنما تشمل كثيراً من المسائل المتصلة بالحروف والألفاظ والكلام ، وقد أولى الجاحظ هذه المسائل عناية كبيرة وتحدث عنها حديث الخبير .

## الحروف :

تحدث الجاحظ عن الحروف وذكر ما يشيع منها في بعض اللغات ، قال : « ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرجانية للعين وقال الأسيدي : ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسرياني ذال »<sup>(٨٤)</sup> . وقال إن أكثر الحروف دورانا في اللغة العربية الراء والياء واللام والألف ، ولذلك كانوا يمتدحون من واصل بن عطاء لتجنبه الراء في كلامه . وأنتدأ أبو محمد اليزيدي :

وخلة اللفظ في البيانات إن " ذكبرت " كخلة اللفظ في اللامات والألف  
وخصلة الراء فيها غير خافية " فأعرف " موافقها في القول والصحف  
قال الجاحظ : « يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها والعاجلة  
اليها أشد واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من قبلة خطب الناس  
ورسائلهم فأنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت  
أن هذه الحروف العاجلة اليها أشد »<sup>(٨٥)</sup> . وذكر أن الميم والياء أول ما يتبعها

(٨٣) الإيضاح ص ٤ .

(٨٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٨٥) البيان ج ١ ص ٢٤ .

في الهواء الاطفال كقولهم « ماما » و « بابا » لانها خارجان من عمل اللسان ،  
وانما يظهران بالتقاء الشفتين (٨٦) .

وتحدث عن اقتران الحروف ، وهو ما يتصل بفصاحة اللفظة المفردة وقلة  
« فاما في اقتران الحروف فان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا  
الفين بتقديم ولا تأخير ، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الصاد ولا الفال  
بتقديم ولا تأخير . وهذا باب كبير وقد يتكفى بذكر القليل حتى يستدل به  
على القاية التي اليها يجري » (٨٧) . وهذه التفاتة ذكية ؛ لان اللغة العربية ذوقاً  
خاصاً في اقتران الحروف ، ولذلك لانجد ما أشار اليه الجاحظ إلا في اللفاظ  
المنخلة . وبهذه القاعدة يستطيع الباحث أن يعرف أصيل اللفظ العربي  
من دخيله .

### اللفاظ :

تتكون اللفظة من حروف ، واللفظة المفردة موقع في الجملة فاما وضعت  
وضعا حسنا كانت جملة موحية واذا وقعت في غير موقعها تبست\* وألكرتها  
الأذواق وقد تكلم الجاحظ على تنافر اللفاظ وقال : « ومن ألفاظ العرب  
ألفاظ تتنافر وإن كانت مجسومة في بيت شعر لم يستطيع المنشد انشادها إلا  
ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قصر      وليس قرب قبر حرب قبر\*

ونأى رأى من لأظم له أن أحداً لا يستطيع أن ينشدها هذا البيت ثلاث  
مرات في نسق واحد فلا يتشعب ولا يتعرج وقيل لهم إن ذلك انما اعتراه إذ  
كان من أشعار الجن صدقوا ذلك . ومن ذلك قول ابن سبي :

لم يطرها والحمد لله شي\*      واشئت\* نحو عكرت\* تنفس ذكول\*

(٨٦) البيان ج ١ ص ٦٢ .

(٨٧) البيان ج ١ ص ٦٦ .

فتنقد النصف الأخير من هذا البيت فانك ستجد بعض الفاظه يشراً من بعض <sup>(٨٨)</sup> . ولذلك ينبغي أن تكون الالفاظ متماثلة متألّفة لكسي لا يقع بينها التناثر فتصبح كأولاد عاتة <sup>(٨٩)</sup> ، قال الجاحظ : « وأنشدني أبو العاصي قال أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى :

وبعض قريظ القوم أولاد عاتة يكده لسان الناطق المتحفط

وقال أبو العاصي : وأنشدني في ذلك أبو اليباء :

وشعر كبير الكبش فترقّ بينه لسان دعي في القريض دخیل

فانه يقول : إذا كان الشعر مستكراً ، وكانت الفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض كان بينها من التناثر ما بين أولاد العائلات . وإذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب آخرها مريضاً موافقاً ، كان على اللسان عند إلقاء ذلك الشعر مؤونة قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك انه قد تأخر إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدخان . وأما قوله : « كبير الكبش » فانا ذهب الى أن يمر الكبش يقع مشرقاً غير مؤلف ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساً ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ومتناثرة مستكربة تنشق على اللسان وتكد ، والأخرى تراها سهلة لينة وورطة موانية مسيسة النظم خفيفة على اللسان حتى كان البيت بأسرة كلمة واحدة وحتى كان الكلمة بأسرها حرف واحد <sup>(٩٠)</sup> .

(٨٨) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٥ - ٦٦ ، وينظر الحيوان ج ٦ ص ٢٠٧ .

(٨٩) أولاد عاتة : بنو رجل واحد من أمهات شتى .

(٩٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٦ .

ومن أمثلة الكلام الذي لا تباين التالف ولا تنافر أجزاءه قول  
الأخيرة التقى :

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ يَدْرُكُ غَلَامَهُ      إِنَّهُ الذَّالِيلُ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدٌ  
تَبْهَوْ يَدَاهُ إِذَا مَا قُلَّ نَاصِرُهُ      وَهَاهُ الضِّمِيمُ إِنْ أَسْرَى لَهُ عَضُدٌ  
وقول أبي حنيفة النبري :

رَمَيْتِي وَسَيْثَرُ أَفْ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      عَشِيَّةَ آرَامِ الْكُنَاسِ وَمِيمٌ  
وَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لِعِزَاتِ بَيْتِهَا      ضَمَنْتَ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَمِيمٌ  
الْأَرَبُ يَوْمَ لَوْرَمَتِي وَمَيْتِهَا      وَلَكِنْ عَمْدِي بِالضَّالِّ قَدِيمٌ

الغريبة :

قال الجاحظ إن اللفظ كما لا ينبغي أن يكون عامياً وساقطاً سوقياً  
فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً ،  
فإن الوحشي من الكلام يفهم الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطاة  
السوقي<sup>(٩١)</sup> ، فالتصاحة لا تتفق مع الغريب لأنه يلقي عليها ويحيل الكلام  
التأزراً ويجعله بعيداً عن الفهم والادراك ، والمغربون هم مدخولون في عقولهم  
إذا كانوا من غير الأعراب ، فأبو عاتكة التحري مرّ ببعض طرق البصرة وهاجت  
به مرة فوثب عليه قوم فأقبلوا يعضون إبهامه ويؤذنون في أذنه فأقلت منهم  
وقال : ما لكم تتكاثرون عليّ ، كما تتكاثرون على ذي جثة ، يا شرّ شعراعي<sup>(٩٢)</sup> .  
وقال الجاحظ بعد أن ذكر بعض الغريب : « فأن كانوا رويوا الكلام لأنه يدل  
على فصاحة فقد باعده الله من حلة البلاغة والتصاحة ، وإن كانوا إنما درجوه  
في الكتب وتذكروه في المجالس لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج وشعر  
الفرماح وأشعار حذيل تأتي لهم مع حسن الرصف على أكثر من ذلك<sup>(٩٣)</sup> ، ولذلك .

(٩١) البيان ج ١ ص ١٤٤ .

(٩٢) البيان ج ١ ص ٣٧٩ .

(٩٣) البيان ج ١ ص ٢٧٨ .

كانت الاستمالة بالغريب مجزأ ، وكانت دليلاً على أن المتكلم أو الكاتب لا يعرف أهمية الألفاظ وفصاحتها وإيجازها وصلة ما بينها وبين المعاني التي ينبغي أن تكون الألفاظ مطابقة لها ، أو هي كما نقل الجاحظ عن صحيفة بشر بن المعتز : « ومن أراغ معنى كريماً فليتنس له نقضاً كريماً ، قلن "حق" المعنى الشريف اللفظ الشريف » ومن حقها أن تصونها عما يصدعها ويهينها وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتبس إظهارهما وترتفع نفسك بملاستها وقضاء حقها » (٩٤) .

إن جمال الألفاظ وحسنها وصلتها بالمعاني مهمة في الكلام البليغ ، والتميزة عندها ذلك الحسن والجمال ، وقد نقل الجاحظ عن بعض الرائيين الراخين في العلم ما نقله الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام ، فإن المعنى إذا اكتسب نقضاً حسناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً ومنحه المتكلم دلاً متعشفاً صار في قلبك أحسن ولصدرك أملاً . والمعاني إذا اكتسبت الألفاظ الكريمة واكتسبت الأوصاف الرقيقة تحولت في العيون عن مقادير صورها وأربت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت وحسب ما زخرفت . فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض وصارت المعاني في معنى الجبراري ، والقلب ضعيف ، وساطان الهوى قوي ، ومدخل خدع الشيطان خفي » (٩٥) . فاللفظ الحسن عند الجاحظ هو ما لم يكن غريباً بل كلُّ كريماً في نفسه يقال : « ومنى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه متحيزاً من جنسه وكان سليماً من الفضول وريئاً من التعقيد حبيباً إلى النفوس واتصل بالأذهان والنعم بالمقول وهشت إليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف على السن الرواة وشاع في الأئان ذكره وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم ورياسة للشمع الرئض » (٩٦) . ولذلك تليق بعض الألفاظ وتستغنيها الناس ؛ لأنها فصيحة جميلة أو لأنها توحى

(٩٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ .

(٩٥) البيان ج ١ ص ٢٥٤ .

(٩٦) البيان ج ٢ ص ٨ .

بقرينتها وما يتصل بها من الالفاظ وما تعطيه من معان ، قال الجاحظ : « وقد يستخف الناس ألقافاً ويستملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أنه تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السحب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر لانه لا يجيد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام ، والعامية وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث . ولفظ القرآن الذي عليه نزل انه اذا ذكر الأبصار لم يقل الأسباع ، واذا ذكر سبع سماوات لم يقل : الأرضين لأنراء لا يجمع الأرض أرضين ولا النسم أسباعا ، والجاري على أفواه العامة<sup>(٩٧)</sup> غير ذلك ، لا يفتقدون من الالفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض الفراء انه لم يجد ذكر انطة النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج . والعامية ربما استخفت أقل : الثنتين وأضعفها ، وتستعمل ما هو أقل استعمالاً وتندع ما هو أظهر وأكثر »<sup>(٩٨)</sup> . ومعنى ذلك ان الالفاظ ايجاء خاصا حينما تأتي في الكلام أو حينما تفرق بغيرها ولذلك تشيع كلمات وتعمل غيرها أو تتجنب لما فيها من ايجاء غير جميل . وما يتصل بهذه المسألة ما ذكره الجاحظ من تنبيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى اجتناب اضافة المؤمن الظاهر الى نفسه الغيب والتفاد بوجه من الوجوه ، فقد روي عنه - عليه السلام - انه قال : « لا تقولن أحدكم خيبت نفسي ولكن ليقل نفسي نفسي »<sup>(٩٩)</sup> . وذكر الجاحظ في باب « ما يكره من الكلام »<sup>(١٠٠)</sup>

(٩٧) قال الجاحظ في البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧ : « واذا سمعوني اذكر العوام فاني لست اعني الفلاحين والحشوة والصناع والبيعة ولست اعني أيضا الأكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار ، ولست اعني من الاسم مثل البير والظيلسان ومثل موتان وجبلان ومثل الزنج وأشياء الزنج ... وأما الصوام من أهل ملتنا ودموتنا ولتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التي فوقها وأخلاقها فوق تلك الاسم ولم يلقوا منزلة الخاصة منها » .

(٩٨) البيان ج ١ ص ٢٠ . (٩٩) الحيوان ج ١ ص ٢٢٥ .

(١٠٠) ينظر الحيوان ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٤٢ .

كثيراً من الالفاظ التي يكره استعمالها في غير مواضعها ، ومن ذلك قول القائل : « استأثر الله بفلان » والصحيح أن يقال : « مات فلان » ، ويقال في « استأثر » : « استأثر الله بطسم الغيب » ، واستأثر الله بكذا وكذا » . وكانوا يكرهون أن يقال : « قراءة عبادته » أو « قراءة سالم » أو قراءة « أبي » أو « قراءة زيد » ويكرهون أن يقال : « ستأبي بكر وعمر » . وكره ابن عمر - رضي الله عنهما - قول القائل : « أسلمت في كذا وكذا » وقال : « ليس الإسلام إلا لله - عز وجل - » . وكره ابن عباس - رضي الله عنهما - قول القائل : « الناس قد انصرفوا » يريد من الصلاة ، قال : « بل قولوا : قد فوضوا الصلاة » وقد فرغوا من الصلاة ، وقد صلوا ، لقوله : « ثم انصرفوا صرحتكم الله قلوبهم » (١٠١) .

وهذه الأمثلة التي ذكرها الجاحظ تدل على أن للالفاظ أبعاداً خاصاً واستعمالاً تحددده اللغة وأساليب التعبير ، وأن لها سحراً يؤثر في النفوس كما تقدم من كلام بعض الرائيين من الأدباء وأهل المعرفة من البلقاء ، وكما جاء عن عمر بن الخطاب حينما حبس الأحنف بن قيس حولاً تاماً وقال : « إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كان خوقنا كل مذاق عليم وخطت أن تكون منهم » وذلك لما كان راعه من حسن منطقه ومال إليه لما رأى من رفته وقلة تكلفه (١٠٢) . وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحراً » ، وقال عمر بن عبدالعزيز لرجل أحسن في طلب حاجة ونأى لها بكلامٍ موزون ومنطوق حسن : « هذا - والله - السحر الجلال » .

ومن طريق ما تحدث عنه الجاحظ سلطان الخط على الالفاظ ، قال : « وكما تحظى بعض الأشعار وبعض الأمثال وبعض الالفاظ دون غيرها ودون ما يجري مجراها أو يكون أرفع منها » (١٠٣) ولذلك تشيع ألفاظ بعضها ويندأونها

(١٠١) سورة التوبة ، الآية ١٢٧ ، وهي : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون » .

(١٠٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤٩ . (١٠٣) الحيوان ج ٢ ص ١٠٦ .



الأدباء أكثر من غيرها ، وقد يكون وراء ذلك سبب من الأسباب كخفتها أو دلالتها على المعاني الجديدة أو صلتها بالحضارة الى جانب ما أثار اليه الجاحظ وهو الحظ الذي يرافق الانسان .

### التعقيد :

من شروط الكلام الفصح أن يكون بعيداً عن التعقيد ، وقد قلل الجاحظ عن بشر بن المعتز قوله : «إياك والتورع فإن التورع يسلك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويضيع ألفاظك»<sup>(١٠٤)</sup> ، وصارت هذه العبارة قاعدة سار عليها البلاغيون في فصاحة الكلام . ولم يشرح الجاحظ التعقيد أو يذكر له أمثلة كما فعل في كثير من المسائل المتصلة بالالفاظ ، وقد يرجع ذلك الى أن الشعر لا يزال في صفاته وروثق أساويه ولم تدخل فيه التعمية التي أخذت تظهر بعد ذلك في الكلام .

### الدلالة :

للمعاني ألفاظ تدل عليها ، ولكن تلك الالفاظ لا تقيس محتظة بمعانيها الأولى بل تنتقل الى غيرها وتكتسب صوراً جديدة لم تكن معروفة من قبل . وقد أدرك الجاحظ ذلك وعرف أن اللغة تتطور بتقدم الحياة ، وإن اللغة التي يتحدث بها أهل زمان قد تختلف عما يتحدث به أهل زمان سابق أو لاحق . وكان للمعاني الجديدة أنسر في هذا التطور ، فقد نقل عن الأصمعي قوله : « كان للعرب كلام على معان فسادا ابتدأت تلك المعاني لم يتكلم بذلك الكلام»<sup>(١٠٥)</sup> . ومن ذلك قوله الناس : «ساق إليها صدائها» ، وإنما كان هذا يقال حين كان الصفاق إبلاً وغنماً . وقال الجاحظ تعليقا على ذلك : « وفي قياس

(١٠٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ .

(١٠٥) البخلاء ص ٢١٤ .

الأسامي أن أصحاب الشر الذين كان الشر ديارهم وموهرهم كانوا لا يقولون : « سائق فلان صداقة » + « فلان » ومن ذلك قول الناس اليوم : « عد بني فلان البارحة على أهله » وأما كان هذا القول لمن كان يشرب على أهله في تلك الليلة فيه وخيته وذلك هو بناءه .

وكان لنزول القرآن الكريم أثر كبير في تطور الدلالة ، فقد تركت ألفاظ كانت مستعملة في الجاهلية ومن ذلك تسميتهم للخراج « أتاوة » وكنولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان « الحلال والكس » + « كبا تركوا » أنهم صبا « و » أنهم ظالما « وصاروا يقولون : « كيف أصبحت ؟ » و « كيف أصبحت ؟ » وتركوا أن يقال للملك أو السيد المطاع : « آيت اللحن » وترك العبد أن يقول لسيده : « ربي » كما يقال : « رب البدار » و « رب البيت » + « وتركوا أن يقولوا لقوام الملوكة : « السدة » وقالوا : « الحجة » ، وتركوا « خلاعة » و « المرباع » و « النسيطة » ونسي « الصفايا » (١٦) . واستحدثت أسماء لم تكن ، وقد اشتقت من أسماء متقدمة على التشبيه من ذلك قولهم لمن أدرك الجاهلية والاسلام « مخضرم » ، ومن ذلك اسم « منافق » لمن رآه بالاسلام واستسّر بالكفر و « المفرّك » و « الكافر » و « الفاسق » و « النيشم » و « القرآن » و « الفرقان » (١٧) . ومن ذلك قولهم في الاسلام لمن حج « ضرورة » ولم يكن ذلك معناها في الجاهلية ، فالضرورة عندهم « كان أرفع الناس في مراتب العبادة » وهو اليوم اسم للذي لم يحج أما لعجز وإما لتضييع وأما لا تكرار ، فهما مختلفان كما ترى (١٨) .

(١٦) المرباع : رجع جميع الفئمة الذي كان غالبا للرئيس وصار في الاسلام الخمس . النسيطة : كان للرئيس أن ينشط عنه خمسة الناع العلق النعيس يراه إذا استحلأ ، وبني الصفي ، وكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كل منضم ، وهو كالسيف اللهزم والفرس العتيق والدرج الحصينة والنسيء النادر ( ينظر الحيوان ج ١ ص ٣٢٧ ) .

(١٧) الحيوان ج ١ ص ٣٢٠ .

(١٨) الحيوان ج ١ ص ٣٤٧ .

لقد نزل القرآن الكريم بالفاظ ذات دلالات جديدة ، وليس ذلك نوريا  
فقد تغيرت كثير من قيم العرب وجاءت قيم جديدة ، وكان لابد من التعبير عن  
هذه القيم والمعاني . وكان نزول القرآن أكبر دافع الى تطور اللغة وقد قل  
الجاحظ وهو يتحدث عن الفاظ كتاب الله : « فإذا كانت العرب يشتقون كلاما  
من كلامهم وأسماء من أسمائهم ، وألفعة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكنهم  
والهيم وعلمهم ، وكان ذلك منهم سويا عند جميع الناس فالذي أعارهم هذه  
النعمة أحق بالاشتقاق وأوجب طاعة » وكما انه له أن يبتدئ الاسماء فكذلك  
له أن يبتدئها مما أحب ، قد سئى كتابه المنزل « قرأنا » وهذا الاسم لم يكن  
قد كان <sup>(١٠٩)</sup> . وقال : « وإذا كان لمناقبه أن يبتدئ الاسماء على الاشتقاق  
من أصل اللغة كقولهم :

إلا الأواريَ لأيا ما أيستها والنوي كالخوض بالظلمة الجلد

وحتى اجتمعت العرب على تصويره وعلى اتباع أثره وعلى أنها لغة عربية ،  
فالذي له أصل اللغة أحق بذلك <sup>(١١٠)</sup> وأصبحت كلمات كثيرة مصطلحات  
جديدة اكتسبتها لهجة العرب العلمية ، ومن ذلك مصطلحات المتكلمين  
والمرويين والنحاة قال الجاحظ عن المتكلمين : « وهم تغيروا تلك اللفاظ  
لتلك المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء ، وهم أسطلموا على  
تسمية ، لم يكن في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدوة  
لكل تابع ، ولذلك قالوا : المرض والجور وأيس وليس ، وفرقوا بين البطلان  
والثلاثي وذكروا الهدية والهوية والماعية <sup>(١١١)</sup> وأشباه ذلك » . وقال عن  
المرويين : « وكما وضع الخليل بن احمد لأوزان القصيد وقصار الأجزاء  
ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعارض بتلك الألقاب وتلك الأوزان بتلك  
الاسماء ، كما ذكر الطول والبسيط والمتبدد والوافر والكامل وأشباه ذلك ،

(١٠٩) الحيوان ج ١ ص ٢٤٨ .

(١١٠) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٠ .

(١١١) نسبة الى : هذا ، هو ، ماعو .

وكما ذكر الأوناد والأسباب والخرم والزحاف . وقد ذكرت العرب في أشعارها السناد والافواء والاكفاء ولم أسح بالإطباء . وقالوا في التقصيد والرجز والسجع والخطب وذكروا حروف الروي والثواني وقالوا : هذا بيت وهنا مصراع . وقال عن النحاة : «وكما سئى التحرير فذكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف انقروين وأبناء البلديين علم العروض والنحو ، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتنبوا أسماء جعلوها علامات للتضام» . (١١٢)

لقد أدرك الجاحظ بسعة علمه وصدق حسه أن الالفاظ تنتقل من معنى الى آخر ، وأن المعاني الجديدة تغير كثيراً من دلالة الالفاظ ، ولو نظر الباحث الى معاني هذه الكلمات وغيرها لوجدتها تختلف اختلافاً واضحاً عما كانت عليه قبل أن تكون مصطلحات دينية أو كلامية أو عروضية أو نحوية أو علمية . وهذه نظرة عميقة في فهم اللغة وما يطرأ عليها من تحوّل يقتضيه تطور الحياة ، ولو استعمل المتكلم أو الكاتب هذه الالفاظ بمعانيها القديمة لخرج عن التصاغة وصار كلامه غير فصيح لأنه لا يفهم منه المعنى الجديد أو ما تعارف عليه الناس في زمانه . ولم يلق الأمر عند هذا التطور وإنما دخلت اللغة العربية ألقافاً أجنبية ، وهذا أمر طبيعي بعد أن اتصل العرب بالاقوام المختلفة وامتزجت المجتمعات العربية والإسلامية . وقد حصل شيء من ذلك قبل الإسلام ، قال الجاحظ : « إن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من قديم العهد علقوا باللقاط من ألقائهم ولذلك يسون البطيخ : « الخير » يز » ويسون السميث : « الرزق » ويسون المصوص : « الزور » ويسون الشطرنج : « الأشرنج » في غير ذلك من الأسماء ، وكذلك أهل الكوفة فانهم يسون المسحاة : « بئال » « وبال » بالفارسية » (١١٣) . ولكن اللغة العربية استطاعت

(١١٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٩ - ١٤٠ .

(١١٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٩ .

أن تجري كثيراً من الالفاظ الأجنبية مجرى العربية ، وهذا من خصائص اللغات البعيدة .

وانت الجاحظ الى أن الالفاظ بحسب طبقات الناس ، ولذلك ينبغي للمشكلم أن يعرف أقدار المعاني ويزاين بينها ويجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، وعرف أن لكل طبقة من الناس الالفاظ تدبرها في كلامها ، فالكاتب يكتبون من الالفاظ الجميلة الموحية التي لا تدخل في الغرابة ولا تستط في الا بئال ، وهم كما قال عنهم : « أما أنا فلم أركض أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانه قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متروفاً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً » (١١٥) .

والمشكلمون يكتبون من الالفاظ الدالة على الجوهر والعرض والكون والفساد والتلاشي والليسية والأيسية ، قال الجاحظ : « فإن رأيي في هذا الضرب من هذا اللفظ أن أكون مادمت في المعاني التي هي عبارتها ، والعادة فيها أن اللفظ بالشئ العتيد الموجود وأدع التكلف لما عسى أن لا يسلس ولا يسئل إلا بعد الرضا بالطريقة . وأرى أن اللفظ بالمتكلمين مادمت خائفاً في صناعة الكلام مع خواص أهل الكلام ، فإن ذلك أنهم لهم عني وأخف مأزوتهم علي » . ولكل صناعة اللفظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها فلم تترك بصانعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة . وقبح بالمشكلم أن يفتر الى اللفظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والتجار ، أو في مخاطبة أهله وعبيده وأمنه أو في حديث إذا تحدث أو خبره إذا أخبر . وكذلك فإن من الخطأ أن يجلب اللفظ الاعراب والفاظ العلوم وهو في صناعة الكلام داخل ، ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل » (١١٦) . ولكن قد تحسن بعض اللفظ المشكلمين على وجه الظرف والتداح كما جاء في شعر أبي نواس وغيره من طرفاء ذلك الزمان .

واتبه الجاحظ الى ما يستعمله الأديب في كلامه من اللفظ يدبرها ويكثر منها ، وهو ما يسمى « لغة الكاتب » أو « لغة الشاعر » ، قال : « ولكل قوم

(١١٥) البيان ج ١ ص ١٣٧ .

(١١٦) الحيوان ج ٢ ص ٣٦٨ .

الألفاظ حظيت عندهم وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منشور ، وكل شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون ، فلا بد من أن يكون قد لهج وآلف ألفاظاً بأعيانها يدورها في كلامه وإن كان واسع العلم ، غرر المعاني ، كثير اللفظ (١١٧) .

### المعاني :

وربط بين الألفاظ والمعاني فقال إن اللفظ من دلالات المعاني وهو الذي يصورها في النفوس وينقلها إلى الآخرين (١١٨) . وقرن اللفظ بالمعنى فقال : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء ، فالخفيف للخفيف ، والخفيف للجفيف ، والجزل للجزل ، والأفصح في موضع الإفصاح ، والكنائية في موضع الكناية ، والاسترسال في موضع الاسترسال » وإذا كان موضع الحديث على أنه مضحك ومله ، ودخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الأعراب انقلب عن وجهه وإن كان في لفظ سخف وإبدلت السخافة بالجرالة صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكرها ويأخذ بالكلماتها (١١٩) . وقال : « وإنما الألفاظ على أقدار المعاني فكثيرها لكثيرها ، وقليلها لقليلها ، وشرعها لشرعها ، وسخيفها لسخيفها ، والمالي المفردة البائدة بصورها وجوانبها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات المتنوعة » (١٢٠) .

لقد اهتم الجاحظ بالألفاظ اهتماماً عظيماً وأولاهها عناية كبيرة ودفعه ذلك إلى أن يقول : « والمعاني مطروحة في الطريق يمرقها المعجب والعربي ، والبدوي والقروي ، والمعنوي . وأنا النسان في إقامة الوزن وتغير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة البك ، فأنا الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير » (١٢١) . وظن بعض الباحثين أنه يسيل إلى اللفظ كل الميل وأنه لا يرى للمعنى كبير أهمية ، ولعل موقفه من أبي

(١١٦) الحيوان ج ٢ ص ٣٦٦ . (١١٧) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ .

(١١٨) الحيوان ج ٢ ص ٣٩ ، وينظر البيان ج ١ ص ١٤٨ .

(١١٩) الحيوان ج ٦ ص ٨ . (١٢٠) الحيوان ج ٢ ص ١٢١ - ١٢٢ .

عصرو الشيباني يشرح بانه من أنصار التلظ ، فقد أعجب الشيباني بقول القائل :

لا تحسن الموت موت البلى      فاعلم الموت سؤال الرجال  
كلامها موت ولكن      فاعلم من فالك لذل السؤال

قال الجاحظ : « وأما رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته  
لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلف رجلاً حتى أحضره  
دواءً وقرطاً حتى كتبهما له . » وأما أزعج أن صاحب هذين البيتين لا يقول  
شعراً أبداً ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفلك لزعجت أن ابنه لا يقول شعراً  
أبداً » (١٢١) . والواقع أن الجاحظ عني باللفظ وأعطاه نصيه من الاهتمام  
وشغل بالمعنى والتصوير الذي قال عنه : « فأما الشعر صناعة وضرب من  
التسج وجنس من التصوير » . وكلامه في كتبه يؤكد أنه لم يصل المعنى لأن  
« مدار الأمر على فهم المعاني لا الالتفات ، والعقائيق لا العبارات » (١٢٢) وأن  
حكم المعاني « خلاف حكم الالتفات ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية ومستندة  
إلى غير نهاية ، وأساء الشاعري مقصورة معدودة ومحصلة محدودة » (١٢٣) .  
وقال : « فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليفاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن  
الاستكراء ومنزوعاً عن الاختلال موصولاً من التكلف صنع في القلوب صنع  
الفيث في التربة الكريمة » (١٢٤) . وقال وهو يتكلم على ثمانية بن أسرى :  
« وما خلست أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الألفهام مع  
قلة عدد الحروف ، وله من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه ،  
وكان لفظه في وزن وإشارته ومعناه في طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمك  
بأسرع من معناه إلى قلبك » (١٢٥) . وقال : « ومتى شاكل الله - أبغاك الله - ذلك

(١٢١) الحيوان ج ٢ ص ١٣١ .

(١٢٢) الحيوان ج ٥ ص ٥٤٢ .

(١٢٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ .

(١٢٤) البيان ج ١ ص ٨٢ .

(١٢٥) البيان والتبيين ج ١ ص ١١١ .

اللفظ معناه وأعرب عن محروم ، وكان لتلك الحال وثيقا ولذلك القدر ليقينا ،  
 وخرج من مساجدة الاستكراء ، وسام من فساد التكلف كان قبيها بعض  
 الموقع وباتضاع المستمع » (١٢٦) .

هذه الأقوال الكثيرة تدل دلالة واضحة على أن الجاحظ لم يعمل المعنى  
 وكيف يعمل وهو جوهر الكلام ؟ وكيف يدل عنه وهو المعتزلي الذي يعتمد في  
 الانقاع على الفكرة والمعنى قبل اعتداده على الالفاظ ؟ وكيف يصله وهو لم  
 يفرق بين النصيحة التي أصبحت وصفا للالفاظ والبلاغة التي صارت وصفا  
 لمعاني قبل الالفاظ ؟ لقد كانت اللفظتان عنده بمعنى واحد وكان كثيرا ما  
 يجمع بينهما ، قال في تعريف البلاغة : « وقال بعضهم - وهو من أحسن ما  
 اجتنيته ودوناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه  
 لنفسه ، ولنفسه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمك أسبق من معناه الى  
 قلبك » (١٢٧) . وإن المعاني والالفاظ تتحد لتخرج صورة تنتقل الى القراء  
 والسمعين ، ومحال أن يكون اللفظ وحده مؤديا الهدف أو المعنى وحده  
 محققا الناية ، ولكن الجاحظ رأى - الى جانب اهتمامه بالمعنى - أن « النصيحة »  
 مهمة في التعبير ، ولذلك كان من أصحاب الأساليب التي تعرض الفكرة عرضا  
 واضحا وتعبير عنها تعبيرا دقيقا ، أو هو من أنصار القلم ، وقد فسر اعجاز  
 انقرآن الكريم به وألف كتابا هو « قلم القرآن » وكان لهذا الاتجاه أثر في  
 الدراسات البلاغية حينما أقام عبدالقاهر الجرجاني اعجاز القرآن على القلم .

## الانصر :

كان لجهود الجاحظ في النصيحة أثر كبير في الدراسات البلاغية والتقديرة،  
 وقد أخذ النارسون يستقون منه مادة بحثهم ويحاولون أن يضمروا شروحا  
 لنصيحة اللفظة المفردة والالفاظ المؤنسة . وبدأت لفظة « النصيحة » تأخذ

• (١٢٧) البيان ج ١ ص ١١٥ .

• (١٢٦) البيان ج ٢ ص ٧ .



صورة علمية بعد أن كانت عامة المعنى واسعة الدلالة ، وأخذت تنفصل عن البلاغة التي اقترنت بها في بداية التأليف ، والبحث في أثر الجاحظ متسع الجواب ؛ لأنه لم يترك أدباً أو مؤلفاً من غير أن يؤثر فيه ، وكان كتابه « البيان والتبيين » أحد الكتب الأربعة التي عدت من أصول الأدب وأركانه ، قال ابن خلدون : « وسعدنا من شيوخنا في مجالس التحليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للعمري ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي الثعالبي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة فكتّبه لها وفروع » عنها (١٢٨) . وسيكون الوقوف على أهم البلاغيين والنقاد ولعل أول من نقل كلام الجاحظ وأمثلته في فصاحة الكلام أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ( ٣٨٦هـ ) فقد وقف عند كلام الجاحظ من غير أن يذكره وذكر البيت المشهور : « وقهر حرب ٠٠٠ » مثالا للتناثر وأيات أبي حية السري : « رميتي وسرافه » مثالا للتلاؤم (١٢٩) . وكان أبو هلال العسكري ( ٣٩٥هـ ) أكثر تأثراً به فقد نقل كثيراً من أقوال القدماء عنه وربها ترتيباً دقيقاً لأن كتاب « البيان والتبيين » لم يمتنع بالمنهج الصحيح . قال أبو هلال : « وهو لعمري كثير الثوائد جم المنافع لما اشتمل عليه من الأصول الشريفة والفقر الطيفة والخطب الرائعة والأخبار البارة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلاء وما به عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونعونه المستحسنة ، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تصانيفه ومشترة في أثنائه فهي ضالة بين الأمثلة ولا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير » (١٣٠) . ودفعه هذا النقد إلى أن يرتب موضوعات البلاغة ترتيباً دقيقاً ويقسم فنونها تقسيماً طريفاً ، وكانت الفصاحة من الموضوعات التي نالت اهتمامه وبعد أبو

(١٢٨) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٣ .

(١٢٩) النكت في امجاز القرآن ص ٨٧ - ٨٩ .

(١٣٠) كتاب الصناعتين ص ٥ .

هال من أوائل الذين ميزوا بينها وبين البلاغة ، قال : « وقيل بعض علماءنا :  
 - الفصاحة تمام آلة البيان ، فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى - فصيحاً إذ كانت  
 الفصاحة تتضمن معنى الآلة ، ولا يجوز على الله - تعالى - الوصف بالآلة ،  
 ويرصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان . والدليل على ذلك أن  
 الإلتصاف والتمام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتها عن إقامة الحروف . وقيل :  
 - « زائد الأعجم » لنقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف وكان يمر عن الحار  
 بالهمز ، فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه . فبلى هنا تكون الفصاحة  
 والبلاغة مختلفتين ، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على  
 اللفظ ، لأن الآلة تتعلق بالنطق دون المعنى ، والبلاغة إنما هي انتهاء المعنى إلى  
 القلب فكأنها مقصورة على المعنى . ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ  
 والبلاغة تتناول المعنى أن البهاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً ، إذ هو مقيم  
 الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه . وقد يجوز مع هذا أن يسمى  
 الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل النطق جيد السبك غير  
 مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من أحد الأسين شيء لما فيه من  
 إيضاح المعنى وتقوم الحروف » (١٣٦) . وكان ذلك إبانة عن موضوع الفصاحة  
 والبلاغة ، أما الفصل الثاني من الباب الأول فقد كان في الإبانة عن حدّ البلاغة  
 ولا يتضح أثر الجاحظ في هذين الفصلين ، ولكن الفصل الثالث من الباب  
 فيه كان عرضاً لكثير من الأقوال والآراء التي ذكرها الجاحظ في « البيان  
 والتبيين » وهذا يدل على أنه فتح طريق البحث للنقاد والبلاغيين ووضع أمامهم  
 المادة الأصلية لآبواب البلاغة وقصولها .

وعقد ابن سنان الخفاجي ( ٤٦٦ هـ ) في كتابه « سر الفصاحة » فصولاً  
 طائفة تحدث فيها عن صفات الحروف ومخارجها وفصاحة اللفظة المفردة  
 والاتصاف المؤلفة . والفصاحة عنده « الظهور والبيان » (١٣٧) والفرق بينها وبين

(١٣٦) كتاب الفصاحين ص ٧ - ٨ .

(١٣٧) سر الفصاحة ص ٦٠ .

البلاغة « ان الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا للالفاظ مع المعاني ، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفسل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة » وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا » . وذكر شروط اللفظة الفصيحة والالفاظ الموزنة وكانت هذه الدراسة من أعشق الدراسات وأكثرها تحصيلا ، وكانت منطلق الآخرين كفضياء الدين بن الاثير ( - ٦٣٧هـ ) الذي أمال الكلام على الفصاحة وناقش ابن ستان وأخذ بعض كلامه ورد<sup>١٢٢</sup> . ودعا الى العناية بالالفاظ واختيار الجليل منها وإطراح الوحشي المكر ، وكان يطرب للفظه الحسنة ولقد له ، قال : « ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للالفاظ في الاذن نعمة لذيفة كنغمة أوتار وصوتا منكرا كصوت حمار ، وإن لها في الفم أيضا حلوة كحلوة العسل ومسرارة كسرارة العنقل ، وهي على ذلك تجسري مجرى النفثات والطعوم » (١٢٣) .

ولكن هؤلاء لم يقتفوا على فصاحة المتكلم كما وقف عليها الجاحظ ؛ لأن الفصاحة والبلاغة لا تكون للمتكلم إلا على سبيل التوسع ، قال أبو هلال : « وتسميتنا المتكلم بأنه بليغ توسع ، وحقيقته أن كلامه بليغ كما تقول : فلان رَجُلٌ مُحَكَّمٌ » ، ونعني أن أفعاله محكمة . قال الله تعالى : « حكمة بالغة » (١٢٤) فجعل البلاغة من صفة الحكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم ، إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالعقيقة (١٢٥) .

ولكن الخطيب القزويني ( - ٧٣٩هـ ) قال : إن الفصاحة والبلاغة تقع كل واحدة منهما صفة لمعين :

(١٢٢) ينظر المثل السائر ج ١ ص ١٤٢ وما بعدها .

(١٢٣) المثل السائر ج ١ ص ١٥٠ .

(١٢٤) سورة القمر ، الآية ٥ وهي : « حكمة بالغة فما أغنى الظلم » .

(١٢٥) كتاب الصناعيون ص ٦٠ .

الأول : الكلام كما في « قصيدة فصيحة أو بليغة » و « رسالة فصيحة أو بليغة » .

الأخر : المتكلم كما في « شاعر فصيح أو بليغ » و « كاتب فصيح أو بليغ »<sup>(١٣٧)</sup> . ولم يفصل القول في المعنى الثاني ووقف عند تعريفه فقال : « وأما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح »<sup>(١٣٨)</sup> . ومنهم من شرحه لهذا التعريف أن الفصاحة هي راحة في التكلم وأنها تشمل النطق وغيره ، وهو ما أراد الجاحظ حينما تحدث عن الخطيب وهيبته وصفاته وأطال الكلام على الإنسان واللسان والعيوب التي تعوق عن الفصاحة والنطق السليم .

ويبقى الجاحظ بعد ذلك منفرداً في دراسة هذه المسائل وإن بدأت تمتد عن كتب البلاغة ، وكان ما اهتم به وجعله من « البيان » أخذه اللغويون وأداروه في كتبهم عند حديثهم عن الأصوات ومخارج الحروف وما يجري اللسان من عيوب . ولعل الصراف الناس عن الخطابة واهتمامهم بالكتابة والتأليف جعل البلاغيين والنقاد يهتمون بما يتقرأ ويهتمون بالتمكينة لا بظهور المتحدث أو الخطيب وجهاً وصوتاً وسلامة نطقها بالحروف . ولا يقل هذا الانصراف من جهود الجاحظ ، فقد كان رائداً في الدرس البلاغي وكانت ملاحظاته وآراؤه معالم في الطريق وصوى اعتدى بها المؤلفون مع أنها توزعت في كتبه وانتشرت في رسائله ، ولم ينكر التقدم فضله كما لم يهمله المعاصرون بل كان من أكثر الذين عالجوا عناية كبيرة واهتماماً عظيماً في عالم البحث والتأليف .

تلك وقفة عند الفصاحة كما صورتها كتب الجاحظ ، وتلك جهود في مباحثها ، فما قيمة هذه الدراسة وما نفعها في هذا العصر ؟ هل نكتفي بعرض التراث وتبيان جهود السابقين أو نتفع بذلك الجهد ونضيف إليه ما يقدم اللغة

١٣٨ (١٣٨) الإيضاح ص ٩ .

١٣٧ (١٣٧) الإيضاح ص ٩ .

العربية وتطورها لتكون أكثر قدرة على استيعاب العصر ورسم المستقبل ؟ إن الاهتمام بالتراث يعني كشفه وتقويته والأخذ بما يفيد ، وقد كانت هذه الدراسة كشفا عن جهود الجاحظ في الفصاحة وتبiana لموقعه في كثير من المسائل التي تخص التكلم والكلام . وقبل وضع هذه الجهود في صورتها المعاصرة لابد من تلخيص ما سبق لتفتح الأبصار وتكشف الأبعاد . لقد تحدث الجاحظ عن :

١ - الأصوات وتأثيرها في النفوس وقدره الإنسان على تقييده الأصوات المختلفة ؛ لأن جهازه نطقه قادر على اخراج الأصوات الكثيرة .

٢ - بعض أعضاء النطق كالأسنان واللسان والشفيتين وما يعترضها من عيوب كالتهم وسقوط الأسنان كلها والثلثية والتمتية والفاقاة والثلثية والرتة والحبيسة والعقلة واللكنة .

٣ - المي والحصر وما يصيب المتحدث أو الخطيب أو المجادل حينما يما أو يحصر فتذهب روعة كلامه إن كان بليغا وتسقط هيئته بين الناس .

٤ - الخصائص الصوتية للغة العربية والحروف الكثيرة الدوران فيها وأنشائها .

٥ - اللحن وما يترك في نفس السامع من أثر سيء .

٦ - تناثر الالفاظ .

٧ - التراية والتعقيد .

٨ - دلالة الالفاظ على المعاني وتطورها وأثر الاسلام في تغير المعاني أو وضع الالفاظ ومصطلحات تطلبها النهضة العلمية والحضارة العربية الاسلامية .

ورضح ان الجاحظ جال في رحاب واسعة وهذه الرحاب يتنضي بعضها الى علم اللغة ويوصل بعضها الى علم البلاغة ، وكلا السيلين مهمان في الدراسات الحديثة . إن معظم ما تحدث عنه يدخل اليوم في علم اللغة ، فالأصوات ومخارج الحروف وعيوب النطق ما تعرض له الدراسات الحديثة

وتمنى به ، بل أن هذه الدراسات طغت على ما عصرف من قوة اللغة والصرف والنحو وغيرها من علوم اللغة عند القدماء . وفيما ذكر الجاحظ زاد للباحثين ؛ لأن معظم آرائه وما قلته عن الآخرين ثبت أمام البحث العلمي الجديد ، وبذلك يظل الجاحظ حياً وإن بَعُدَ به الزمان . وليس هذا وحده ما يضع الفارسي وإنما للدراسات التربوية نصيب من ثراث الجاحظ فلا تزال المدارس وتستفي من معنى ينطق الأطفال وكلاهم وتعالج عيوب المستهم وتصلح منها وتدفع النصحاء إلى التحدث بطلاقة وتشرحهم على الخطابة باقتدار . وكم في النطق الصحيح والكلام الصحيح من أثر فسي النفوس . ودراسة الجاحظ للكلمة تكشف عن الحروف التي يقع فيها هذا العيب وتبين لحن الرومي والفارسي والنبطي والزيجي ، وهي نافعة في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها لأنها تضع أمام المعلمين الحقائق الواضحة وتنبههم إلى العناية بكل جنس من هذه الأجناس وتزود المعلمين النطق السليم والابتعاد عن الكلمة التي قد تأتي من طبيعة اللغة التي نشأوا عليها . ودلالة الألفاظ من الدراسات المهمة التي عني بها الجاحظ ؛ لأنها تبين نشأة الألفاظ وتطور معانيها وترصد العوامل التي تؤثر فيها . وكتب « البيان والتبيين » و « الحيوان » و « البخل » معجم غير مصنفه ولو هئى ، لهذه الكتب أن تجرد الناطق وتصفه لكان للعربية معجم تاريخي يصور واقع الفكر العربي والحضارة الإسلامية حتى القرن الثالث للهجرة ويكشف عن النقلة الكبيرة التي شهدتها العصر العباسي الأول ، وقد كان الجاحظ أحد أقطاب هذا العصر الذين تماثلوا معه .

وتأتي دراسة الجاحظ للحروف وانساقها شاهداً على أصالة اللغة العربية فقد أدرك بحسه اللغوي وثقافته الواسعة ارتباط الحروف في الكلمة الواحدة وما يوحي من فصاحة أو عجمة . ويعدّ مذكره أساساً للغويين الذين جاءوا من بعده كابن جني ( ٣٩٢ هـ ) الذي قال : « أما إسهال ما أهمل ما تحمله قسمة التركيب وبعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستئصال ، وبقيته ملحقة به ومقتاة على أثره » فمن ذلك ما رفض استعماله

لتقارب حروفه نحو سمي وطس ، وثك وطق ، وشن وشنق . وهذا حديث واضح لتطور الحس منه والمشفقة على النفس لتكلفه . وكذلك فهو قبح وجق يركن وقل ، وكج وجك . وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مغارجها عن معظم الحروف اعني حروف الهم<sup>(١٣٩)</sup> . وكأبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي<sup>(١٤٠)</sup> الذي قال : « الجيت سنم ويقال ان الجيت هو حثي بن أخطب » وهذا ليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف ذوقني<sup>(١٤١)</sup> . وكانوا يعرفون أصالة الكلمة من حروفها<sup>(١٤٢)</sup> ، وقد أجادهم ذلك في ارجاع الالفاظ الى أصولها ، وتعلمهم في التعريب الذي كان من أهم معالم الحضارة العربية بعد ظهور الاسلام . والقاعدة التي وضعها الجاحظ وغيره من اللغويين تنفع في عملية التعريب التي تخوضها الأمة العربية في هذه الأيام لانها تحدد طبيعة اللغة العربية وتضبط حروفها ، وان الأخذ بها يجب العاملين في حقل التعريب كثيراً من الزلل ويصون اللغة من العبث والاصوات الغريبة ويقبها من التافس الذي لا يتقبله الأذن ولا يستسيغه الذوق العربي .

أما ما يدخل في الدراسات البلاغية فشيء كثير ، منه فصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المولدة وما يتصل بها من وضوح أو غموض ، ورقة أو خشونة ، وما يرتبط بها من ايحاء جميل أو قبيح ، ومن استحسان أو استهجان . وكل ذلك مهم في الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة لانها تمثل اللغة العربية وخصائصها وتصور حياتها المتطورة . وليس هنا وحده ما تقدمه الجاحظ فهناك مصطلحات علم اللغة والفصاحة وما يتصل بها ، وقد كانت هذه

(١٣٩). الخصائص ج ١ ص ٤٥ .

(١٤٠). اختلف في ولادته فمن قال انه مات سنة ٢٦٨ هـ ، ومن قال انه مات قبل ذلك بكثير . ( تنظر مقدمة ديوان الادب ج ١ ص ٢ ) .

(١٤١). ديوان الادب ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(١٤٢). ينظر المزمع ج ١ ص ٢٦٨ وما بعدها .

المصطلحات الأساس الذي بنى عليه القمصاء دراساتهم ، وهي كذلك في هذا العصر ، فلا تزال كتب اللغة والبلاغة والنقد تستعمل ما نقله الجاحظ أو ابتدعه ، وستظل كذلك مادامت اللغة العربية ومادامت أمة العرب .

إن دراسة جهود الجاحظ في الفصاحة لم تكن تأريخيا يعرض ماضي الأمة وتراثها ، وإنما هي حاضر ينطق بالحياة ومستقبل يزهر بالأمل ، وهكذا كان التراث ماضيا مشرقا وحاضرا زاهرا ومستقبلا باهرا ، ومن غير هذه النظرة لن نقيم الماضي ، ولن نذكر الحاضر ، ونستشرف المستقبل ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين .

#### المصادر :

- ١ - الألباش - الخطيب القزويني . تحقيق لجنة من اساتذة اللغة العربية بالجامع الأزهر . القاهرة .
- ٢ - البخلاء - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق الدكتور طه الحاجري . القاهرة ١٩٩٢ م .
- ٣ - البيان والنبين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨ م .
- ٤ - الحيوان - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون القاهرة ١٣٥٦هـ - ٢٩٢٨ م .
- ٥ - الخصائص - أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي التجار . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ م .
- ٦ - ديوان الأدب - أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي . تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر . القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م .
- ٧ - سر الفصاحة - ابن سنان الخفاجي . تحقيق عبدالجمال الصعيدي . القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- ٨ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ م .



٩ - لسان العرب - ابن منظور .

١٠ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الاثير . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

١١ - المزهر في علوم اللغة - عبدالرحمن جلال الدين السيوطي . تحقيق محمد احمد جاد الحولي ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البيجاوي . الطبعة الثالثة - القاهرة .

١٢ - مقدمة ابن خلدون - عبدالرحمن بن خلدون . دار الكشاف - بيروت .

١٣ - التكت في امجرات القرآن . ابو الحسن علي بن عيسى الرماني . تحقيق محمد خلف الله احمد ومحمد زكيبول سلام . ( ثلاث رسائل في امجرات القرآن ) دار المعارف - القاهرة .

١٤ - النهاية في غريب الحديث والاثر - مجد الدين ابو السماعات الهارثي بن محمد الجزري . تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي . القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .



( ٢ )

## الأساليب البلاغية

المنهج :

الأساليب البلاغية هي الخبر والانشاء ، وأحوال الجملة كالتعريف والتكثير ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، والقصر ، والفصل والوصل ، والابحاز والامتناب والمساواة ، والخروج على مقتضى الظاهر كوضع المفسر موضع المظهر ، ووضع المظهر موضع المفسر ، والقلب ، والأسلوب الحكيم ، والاتفات .

وقد درس النحاة أكثرها في أبواب كتبهم . وبعضها البلاغيون في علم المعالي وهو « تتبع خواص تراكيب الكلام في الاستفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »<sup>(١)</sup> . وشرح السكاكي هذا التعريف بقوله : « وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب اللفاء لا الصادرة عن سواهم لتزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يثقف . وأعني بخاصية التركيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جارية مجرى اللزوم له لكونه صادراً عن البليغ لا نفس ذلك التركيب من حيث هو أو لازماً له لما هو حيناً . وأعني بأنهم فهم ذوي القطرة السليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب « إن

❦ أقي على المشرفين التبريين في معهد تطوير اللغة العربية في ايلول سنة ١٩٨١ .

(١) مفتاح العلوم ص ٧٧

زجاً منطقياً ، إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصوداً به  
 نفي الشك أو دحض الإنكار ، أو من تركيب « زيد منطلق » من أنه يلزم مجرد  
 القصد إلى الاختيار ، أو من نحو « منطلق » بترك الاستدلال منه أنه يلزم أن  
 يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة منا يوح بها مقامها ، وكذا  
 إذا لفظ بالاستدلال إليه ، وهكذا إذا عرفت أو تكر أو قيد أو أطلق أو قدم  
 أو أخر » . وتوضح في هذا النص عدة حقائق تتصل بعلم المعاني كما حذره  
 السكاكي .

الأولى : أن الأصل في هذا العلم كلام البلغاء لا كلام عامة الناس .  
 الثانية : أن الأصل بالتركيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماعه وأن يكون  
 مرتبطاً بالمعنى ، أي أن المراد به المعنى الأول لا المعنى الثاني الذي هو من  
 سمات علم البيان .

الثالثة : أن الأصل في الفهم ما عليه ذوق الطبيعة لامن في مداركهم  
 قص لا يؤهلهم لإدراك الكلام البليغ .

الرابعة : إن السكاكي حدد أهم موضوعات علم المعاني وهي الخبر وأنواعه  
 من ابتدائي وعللي وإنكاري ، وحذف المستدل أو المستدل إليه والتعريف  
 والتكثير ، والتقييد والإطلاق ، والتقديم والتأخير ، وغير ذلك من  
 موضوعات أشار إليها بقوله : « على ما يظلمك على جميع ذلك شيئاً  
 فشيئاً ساق الكلام في العليين بإذن الله تعالى » .

وقرر السكاكي أن كلام العرب شيئان : الخبر والطلب ، ولذلك قسم علم  
 المعاني إلى قانونين : الأول يتعلق بالخبر والثاني بالطلب . وقسم القانون الأول  
 إلى أربعة أقسام :

الأول : في تحصيل اعتبارات الاستدلال الخيري ، وقد تكلم فيه على أنواع الخبر  
 وأغراضه ومؤكثاته وخروجه على مقتضى الظاهر .

الثاني : في تحصيل اعتبارات المستدل إليه وقد تكلم فيه على حذف المستدل إليه  
 وذكره وتعريفه وأقسامه وكونه علماً وتأكيد المستدل إليه وبياحه وتفسيره .

وآخره وقصره وخروجه على مقتضى الظاهر والالتفات .

الثالث : في تفصيل اعتبارات المسند ، وقد تكلم فيه على حذف المسند وذكره

وتقييده وآخره وتقديمه والحالات المتضمنة لتقييد العمل .

الرابع : في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل . والایجاز والاختاب . وبعد أن أتى من هذا الفن عهد القصر فصلاً خاصاً ؛ لأنه أرجأ بحثه إلى هذا المكان من كتابه « مفتاح العلوم » . وقسم القالون الثاني إلى خمسة أبواب هي : التمني ، والاستفهام ، والأمر والنهي . والثناء . وتكلم بعد ذلك على وضع الخبر موضع الطلب ، ووضع الطلب موضع الخبر ، وأسلوب الحكيم .

لقد بحث السكاكي علم المعاني بهذا المنهج ورتب موضوعاته هذا الترتيب ، ويلاحظ أنه قدّم الخبر مع أن كثيراً من الموضوعات التي يبحثها فيه لا تخص الخبر وحده وإنما هي مشتركة بينه وبين الطلب . وعلى التنازلي ذلك بقوله : « وأنا ابتداءً بإبحاث الخبر لكونه أعظم شأنًا وأهم فائدة ؛ لأنه هو الذي يتصور بالصور الكثيرة وفيه تقع الصيغات الجبية ، وبه تقع غالباً المزايا التي بها يتفاضل ولكونه أصلاً في الكلام؛ لأن الانشاء إنما يحصل منه بإشتقاق كالأمر والنهي أو نقل كـ « يس » و « نعم » و « بعث » و « ائتمرت » أو زيادة أداة كالاستفهام والتمني وما أشبه ذلك . ثم قدّم بحث أحوال الاستناد على أحوال المسند إليه والمسند مع أن النسبة متأخرة عن الطرفين ؛ لأن علم المعاني إنما يبحث عن أحوال اللفظ الموصوف بكونه مسنداً إليه ومسنداً . وهذا الوصف إنما يتحقق بعد تحقق الاستناد لأنه ما لم يسند أحد الطرفين إلى الآخر لم يصر أحدهما مسنداً إليه والآخر مسنداً ، والتقدم على النسبة إنما هو ذات الطرفين ولا يبحث لنا عنها » (٢٦) .

ومعنا حاول انصار هذا المنهج أن يعموه بالبراهين العقلية فإن البلاغة التي يقاس بها الكلام ويحكم على حسنه وروغته لا يمكن أن يعال منهج بحثها

هذا التعليل وإن يصطح لها هذا المنهج اسطوانا يبعدها عن روحها الفنية .  
ولكن هل نجح السكاكي في هذا المنهج ؟ هل حصر موضوعات علم المعاني  
حصراً دقيقاً ؟ الواقع أنه لم ينجح في هذا التقسيم الذي بناء على المنطق فحصر  
به موضوعات علم المعاني حصراً موزقاً به أوصالها تمزيقاً أفقدها كل روح وباعد  
بينها وبين ما يتطلبه الفن الأدبي الذي ينبغي أن يعتمد - أول ما يعتمد - على  
الفوق . ولتوضيح ذلك نقول أنه قسم مباحث هذا العلم بحسب ركني  
الجملة - المسند إليه والمسند - وعلى هذا الأساس ذكر التقديم - مثلاً - في  
المسند إليه تارة وفي المسند تارة أخرى ، وفعل مثل ذلك بالتأخير ، والمخلف ،  
والذكر ، والتعريف والتكثير . وكل من الدقة أن يبحث كل موضوع في فصل  
ليجمع أجزائه ويستوفي أصوله وأركانته وبذلك يتسق المنهج وتوضح  
الاهتاف . ومقارنة عامة بين ما كتبه السكاكي في هذه الموضوعات وما كتبه  
عبد القاهر الجرجاني وضياء الدين بن الأثير توضح مدى جور السكاكي على  
هذه المباحث ، فبعد أن كان الدارس يقرأ في « دلائل الإعجاز » أو « المثل  
السائر » موضوعات فيها متعة وتحليل ، وجسّع لاجزاء الموضوع الواحد ،  
صار يقرأ في « مفتاح العلوم » موضوعات تحرقت أجزاؤها وتناثرت في عدة  
أبواب لا يخرج منها القارئ إلا بصور حائلة وقواعد جامدة وقد يلجأ ليكون  
فكرة واضحة إلى أن يلم شتات الموضوع الواحد ويضم بعضها إلى بعض وفي  
ذلك إضاعة للجهد وإفساد للبلاغة .

وبحث خروج الكلام عن مقتضى الظاهر كوضع المفسر موضع المظهر  
 ووضع المظهر موضع المفسر والالتفات في المسند والمسند إليه ليس دقيقاً لأن  
هذه الموضوعات ليست خاصة بواحد منهما وإنما تدخلها . وقد أشار  
السكاكي إلى ذلك فقال : « واعلم أن هذا النوع - أعني نقل الكلام عن  
الحكاية إلى الغيبة - لا يختص المسند إليه » (٢) . وكان عليه أن يبحث كل

موضوع من هذه الموضوعات في فصل واحد لا في مبحثين هما السند والسند اليه .

وتكلم على استعمال المضارع مكن الماضي في الحالات المتقضية لتفيد الفعل بالشرط مع أن الاخبار عن الفعل الماضي بالمضارع أو المستقبل نوع من الالتفات كما صرح به بعض البلاغيين كابن الأنبار الذي قسم الالتفات الى ثلاثة أقسام : قسم في الرجوع عن الغيبة الى الخطاب وعن الخطاب الى الغيبة ، وقسم في الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر وعن الفعل الماضي الى الأمر ، وقسم في الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي<sup>(١)</sup> .

وعقد السكاكي فصلا للفعل وما يتعلق به من ترك واثبات ، وإظهار وإضمار ، وتقدير وتأخير ، مع أن الفعل مسند وكان عليه أن يبحث في باب المسند ويذكر أنه يأتي فعلا كما يأتي اسما وجلة . ولكننا في هذا السند لابد من أن نحدد له تنبيه الى اشتراك كثير من الباحث التي ذكرها في السند اليه ، فقد قرر وهو يتكلم على الحالة المتقضية لقصر المسند اليه على المسند أن القصر لا يختص بالمسند اليه وإنما يدخل المسند أيضا ويجري بين الفاعل والمفعول وبين المفعولين ، وبين الحال وذو الحال وبين كل طرفين ، قال : « وأعلم أن القصر كما يكون لمسند اليه على المسند يكون أيضا للمسند على المسند اليه ، ثم هو ليس مختصا بهذا اليمين بل له شيوخ وله تفرعات فالأولى أن نورد للكلام في ذلك فصلا ونفرضه الى تمام التعرض لما سواه في قاترتنا هنا ليكون الى الوقوف عليه أقرب »<sup>(٢)</sup> . وصنع مثل ذلك في بحث الإيجاز والانتساب ، والفصل والوصل ، والتعريف والتكثير ، والقصر ، في القانون الأول أي باب الخبر ، وليس في ذلك دقة لأن هذه الموضوعات تدخل الطلب أيضا . وقد أشار المتقدمون الى تلك فقال عبدالقاهر : « لا يجوز أن يكون نظم الكلام وترتيب أجزائه في

(١) الملل السالرج ٢ ص ٤ - ١٩ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٩٤ .

الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر ، وذلك ان الاستفهام استخبار ، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك فإذا كان كذلك كان محالاً أن يشرق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى إذا قلت : « أريد قائم ؟ » غيره إذا قلت : « أقام زيد ؟ » ثم لا يكون هذا الاقتران في الخبر . ويكون قولك : « أريد قال ؟ » و « قام زيد » سواء ذاك ، لأنه يؤدي إلى أن تستعلم أمراً لا سبيل فيه إلى جواب أو أن تستثني المعنى على وجه ليس عنده عبارة يشته لك بها على ذلك الوجه <sup>(٦٦)</sup> . وقال : « وإذا قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابتنر الخبر عليه » <sup>(٦٧)</sup> .

وكان تقسيم السكاكي لعلم المعاني أساساً في دراسة هذا العلم ، وقد قال الخطيب القزويني في تعريفه : « هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يتحقق مقتضى الحال » <sup>(٦٨)</sup> . وقال : وقيل : « يعرف » دون « يعلم » رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص للعلم بالكليات والمعركة بالجزئيات كما قال صاحب القانون <sup>(٦٩)</sup> في تعريف الطب : « الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان » ، وكما قال الشيخ أبو عمر <sup>(٧٠)</sup> : « رحمه الله » : « التصريف علم بأحوال يعرف بها أحوال أبنية الكلام » . وذكر تصريف السكاكي وقال : « وفيه نظر إذ التسليم ليس بعلم ولا صادق عليه فلا يصح تعريف شيء من العلوم به » . ثم قال : « وأعني بالتراكيب تراكيب اللفظ » . ولا شك أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة وقد عرفها في كتابه بقوله : « البلاغة هي علوم المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكتابة على وجهها » . فإن أراد

(٦٦) دلائل الإعجاز ص ١٠٨ .

(٦٧) دلائل الإعجاز ص ١٠٩ .

(٦٨) الإنشاح ص ١٩ ، التلخيص ص ٣٧ .

(٦٩) هو ابن سينا .

(٧٠) هو ابن الحاجب صاحب الكافية في النحو والشافية في الصرف .

بالتراكيب في حد البلاغة تراكييب البلاء ، وهو الظاهر - فقد جاء المنور ، وإن أراد غيرها فلم يبينها ، على أن قوله « وغيره » مبهم لم يبين مراده به .  
 وتعرف السكاكي أكثر دقة وشمولاً ؛ لأنه عرض كل ما يتصل بعلم المعاني وحدد أبعاده تحديداً واضحاً وإن كان فيه شيء من صرامة وثبوت .

وحصر القزويني هذا العلم في ثمانية أبواب :

الأول : أحوال الاستاد الخيري .

الثاني : أحوال المسند إليه .

الثالث : أحوال المسند .

الرابع : أحوال متعلقات الفعل .

الخامس : القصر .

السادس : الانشاء .

السابع : الفصل والوصل .

الثامن : الإيجاز والاختاب والمساواة .

وجه الحصر أن الكلام إما خير أو إنشاء ، لأنه إما أن يكون لنسبه خارج نطاقه أو لامتطابقه ، أو لا يكون لها خ خارج . الأول الخبر والثاني الانشاء . ثم الخير لا بد له من استاد ومسند إليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى ، ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو متصلاً به أو في معنى كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع ثم الاستاد والمتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بتعريض قصر وهذا هو الباب الخامس ، والانشاء هو الباب السادس . ثم الجملة إذا قرئت بالخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة وهذا هو الباب السابع . ونقط الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد متأنفة أو غير زائد عليه وهذا هو الباب الثامن .



وهذا المنهج يختلف قليلاً عن منهج السكاكي وهو أقرب إلى الدقة ؛ لأن القزويني ضمّ الموضوعات المتشابهة في فصول مستقلة وكان في بحثه الصق بالبلاغة وروحها من صاحب « مفتاح العلوم » الذي مزقها كل مزق . ولكن هذا المنهج لا يجعل الأجزاء ويعتد الأبواب كل التوحيد ، أي أنه لم يزل قريباً من منهج السكاكي الذي سيطر على البلاغيين وظلت كتبهم تقسم علم المعاني هذا التقسيم ولم يخرج عنه منظم المتأخرين والمحدثين . وحاول المرحوم أمين الخولي أن يضع منهجاً جديداً للبلاغة في كتابه « فن القول »<sup>(١١)</sup> وكانت مباحث علم المعاني من الموضوعات التي سمّاها ذلك المنهج ، وقد أدخل التكرار والمعرفة في باب الكلمة من حيث هي جزء الجبلة ، وأتبع ذلك الالتفات وأنواع المعارف والقصر والتوسع والتعريف والتعريف عن المثني بالواحد وما إلى ذلك مما ذكره البلاغيون في الخروج على مقتضى الظاهر . وأدخل في الباب غرض الاستفهام والثناء والنهي وما تؤديه أدواتها من المعاني وراء الطلب ، وألحق بها صيغ الأمر والأخبار والافتضاء ودلالة إحداها على الأخرى وأثر تبادلها في الاستعمال . وتحدث في النظم أو تأليف الجمل عن التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، وتكلم في الجبلة على ربط جزأي الجبلة بالاسناد ، والتوكيد ، والقصر بالأدوات « أنا » و « ما » و « إلا » وأدخل أدوات الشرط على الجبلة وأثره ، والإيجاز والإطناب . وذكر في باب الفقرة الفصل والوصل وإيجاز الفقرة وإطنابها . وهذا التوزيع لمباحث علم المعاني أقرب من توزيع السكاكي والقزويني ، فقد فرقها الخولي وباعد بينها ، فكان بعضها في الوضع اللغوي للكلمة من حيث هي جزء الجبلة ، أو من حيث الاستعمال . وكان بعضها في النظم أو تأليف الجمل وبعضها في الجبلة والتقسمة . ولولا توزيع هذه المباحث في الكتب القديمة لكان منهج السكاكي والقزويني أقسب من المنهج الذي رسمه الخولي .

(١١) ينظر فن القول ص ٢١٦ وما بعدها .

إن وضع منهج جديد لعلم المعاني لا يزال بعيداً عن المثال ولكن النظر في كتب التأخرين يرحي بمنهج أقرب الى البلاغة من المنهج القديم الذي مرن أوصال البحث الواحد . ونرى أن يضم علم المعاني الأبواب الآتية :

- الأول : علم المعاني وصلته بنظرية النظم التي أولاهها عبد القاهر أهمية كبيرة .
- الثاني : التفسير والانشاء وما يتصل بهما من أساليب وخروج على المعنى الحقيقي .
- الثالث : أحوال الجملة ، وضم تعريفها والفرق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، والتعريف والتكثير ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، والفصل .
- الرابع : الفصل والوصل .

الخامس : الإيجاز والاطناب والمساواة .

السادس : الخروج على مقتضى الظاهر مثل وضع المفسر موضع المظهر ووضع المظهر موضع المفسر ، وأساليب الخروج ، والقلب ، والأسلوب الحكيم ، والتنظير ، والاتفات ، وغيرها من الموضوعات الأخرى كالانتقال من خطاب الواحد الى خطاب الاثنين ، والانتقال من خطاب الواحد الى خطاب الجمع ، والانتقال من الاثنين الى الواحد ، والانتقال من الاثنين الى الجمع ، والانتقال من الجمع الى الواحد والانتقال من الجمع الى الثنية .

وقد تجلّى هذا المنهج وتلخيصه في كتابنا « أساليب بلاغية » وهو ليس بعيد عن منهج السكاكي والقزويني ، ولكنه يرحد الأجزاء ويبحث الموضوع الواحد في فصل أو باب ، وبذلك تكون فصول علم المعاني أو أبوابه متناسقة يرتبط بعضها ببعض . وليس في منهج الخولي مثل هذا التناسق أو الارتباط ، فقد أراد أن يسبق مباحث العلماء ولكنه وقع فيما وقعوا فيه حينما اعتدوا على المسند والسند اليه في تقسيم الموضوعات . ولكن منهج علم المعاني يقل مع - محاولة الباحثين - مجالاً للنظر والتدقيق لأن البلاغة ليست من العلوم التي

استقرت وإنما هي كما قال القدماء « لم تنضج ولم تحترق » أي أن سبل القول فيها لم تتوقف وأن الطريق إلى غنوها طويل . وهذه مزية فن القول الذي قال النحوي عنه : « فلكم هي خلة فن القول وتنسيق بحوثه ، لا يقول أنها في صورتها الأخيرة بل نقول أنها تخطيط لمحاولة تأمل أن تظل أبدا الدهر - لو أمكن ذلك - رهن التغير والتعديل وهدف التجديد والتحسين يضيف إليها ويحذف منها ويستقيها من تهيأت له القدرة الصادقة على ذلك وكانت له فيه بصيرة خيرة ليظل هذا الدرس للفن النحوي صدى لحياتة أعليه وسيلا لتحقيق غاياتهم في الحياة الوجدانية الراقية » (١٢) وإذا كان علم المعاني قريبا من النحو أو توخى معاني النحو ، فإنه يختلف عنه في معالجة الموضوعات ، وقد فصل القول في ذلك عبد القاهر الجرجاني وانهى إلى أننا لا نريد المعاني الأولى وإنما المعاني الثواني وهي عنده معنى المعنى . ولخص المتأخرون فائدة علم المعاني فقال بهاء الدين السبكي : « والملك تقول : أي فائدة لعلم المعاني فإن المفردات والمركبات علمت بالعلوم الثلاثة - اللغة والنحو والصرف - وعلم المعاني غالبه من علم النحو » كلا إن غاية النحوي أن ينزل المفردات على ما وضعت له ويركبها عليها ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالوضع مما يتفاوت به أغراض المتكلم على أوجه لا تنهاه ، وتلك الأسرار لا تعلم إلا بعلم المعاني . والنحوي - وإن ذكرها - فهو على وجه إجالي يتصرف فيه البياني تصرفا خاصا لا يصل إليه النحوي ، وهنا كما أن معظم أصول الفقه من علم اللغة والنحو والحديث وإن كان مستقلا بنفسه . واعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، لأن الخبر والاثناء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهاي للتحريم ومسائل الأخبار والمصوم والخصوص والاطلاق والتقييد والاجمال والتفصيل والتراجع كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني ، وليس في أصول الفقه ما يفرد

به كلام المتأخر عن غيره إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة»<sup>(١٤٢)</sup> .  
وهذا ما أطال الكلام عليه عبد القاهر الذي قال إن الصحة في الكلام هي  
الخطوة الأولى أما الخطوة الثانية فهي فهم الكلام واستخلاص ما فيه من المعاني  
التوحي التي يدل عليها ، ولذلك كان علم المعاني مهما في معرفة الأساليب  
البلاغية وأثرها بعد أن فقد النحر رونقه وأصبح قواعد لا تغني إلا  
بالأعراب والبناء والموامل والجدل المنطقي الذي لا يخدم اللغة كثيرا .

### التطبيق :

ثم يبحث معظم البلاغيين الأوائل موضوعات علم المعاني لأن اهتمامهم كان  
متصفا على فنون البيان والبدع . ولعل أحمد بن فارس كان من أسبق الباحثين  
إلى هذه المسألة ، فقد عقد في كتابه « الصحاحي » باباً باسم « معاني الكلام »  
وقال : « هي عند أهل العلم عشرة : خبير واستخيار ، وأمر ونهي ، ودعاء  
وطلب ، وعرض وتحفيظ ، وتمن وتعجب »<sup>(١٤٣)</sup> ، ويدخل هذا الباب في الخير  
والإنشاء . وتكلم على موضوعات أخر تعد من أركان علم المعاني مثل التقديم  
والأخير ، والحذف والاختصار ، والتكرار وبعض ما يدخل في الخروج على  
مقتضى الظاهر وهي : الواحد ويراد به الجمع ، والجمع ويراد به الواحد ،  
واثنان ومضاربة الواحد بلفظ الجمع ، والاتفات .

وكان عبد القاهر الجرجاني من أشهر الذين تحدثوا عن علم المعاني في  
كتب « دلائل الإعجاز » وساء قلنا وقال في تعريفه : « معلوم أن ليس النظم  
سوى تطبيق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض »<sup>(١٤٤)</sup> ، وقال :

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى حكم من النحر نمضي في توجيه

وقال : « وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه

(١٤٢) غروس الانراج ج ١ ص ٥١ .

(١٤٣) الصحاح ص ١٧٦ .

(١٤٤) دلائل الإعجاز ص (١٥)

علم النحو وتعمل على قوائمه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رست لك فلا تخل بشيء منها . وذلك أنا لأنظم شيئا يتفيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخير إلى الوجوه التي تراها في قولك : « زيد منطلق » و « زيد ينطلق » و « ينطلق زيد » و « منطلق زيد » و « زيد المنطلق » و المنطلق زيد » وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : « إن تخرج » أخرج » و « إن خرجت » خرجت » و « إن أخرج » أخرج » و « أنا خارج » إن خرجت » و « أنا إن خرجت » خارج » وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعا » و « جاءني يسرع » و « جاءني وهو يسرع » أو « هو يسرع » و « جاءني قد أسرع » و « جاءني وقد أسرع » ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ويحيى به حيث ينبغي له . وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم يتفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه نحو أن يحيى بـ « ما » في في الحال و بـ « لا » إذا أراد في الاستقبال و بـ « إن » فيما يرجع إلى أن يكون وأن لا يكون و بـ « إذا » فيما علم أنه كائن . وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الوار من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ولم ، وموضع أوه من موضع هاء ، وموضع لكن من موضع بل ، ويتصرف في التعريف والتكثير والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والاضمار والالفاظ فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمل على الصحة وعلى ما ينبغي له . هنا هو السبيل . قلت بواجب شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخلطه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك الزية

وذلك الفضل الى معاني النحر وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله  
 ويصل باب من أبوابه (١٦) .

فمعاني النحر أو النظم تشمل الخير ، وأركان الجملة ، وما يتعلق بالسند  
 والسند اليه من شرط وحال ، وتشمل الفصل والوصل ومعرفة مواقعها ،  
 ومعاني الواو والفاء وثم وبل ولكن ، والترغيب والتكثير ، والتقديم والتأخير ،  
 والحذف والتكرار ، والأضمار والأظهار . والفرق بين هذه الأساليب ليس  
 فرقا في الحركات وما يطرأ على الكلمات وإنما في معاني العبارات التي يحدثها  
 ذلك الوضع والنظم الدقيق . ولذلك فليست العمدة في معرفة قواعد النحر  
 وحدها ولكن فيما تؤدي اليه هذه القواعد والأمول من معاني ، ونيسر  
 الثرية باللغة ومعرفتها لأن ذلك لا يؤدي الى التفاوت بين الكلام ، ولا من أجل  
 العلم بأشئ الفروق والوجوه فتشند الى اللغة ولكن للعلم بمواضعها وما  
 ينبغي أن يصنع فيها ، وليست بسلامة الحروف وإنما بالنظم الذي يسلي  
 الكلمات والأعراب معنى دقيقا . فالحسن والفضل والروعة ترجع الى النظم  
 ودقته ، وقد أقام عبدالقاهر نظريته في اعجاز القرآن الكريم والسرقات الأدبية  
 على هذه الفكرة وربط صور البيان كالتمثيل والاستعارة والكتابة بها . ومن  
 بديع تحليله وربطه الصور بالنظم قوله : « وإذ قد عرفت ذلك فاعص الى  
 ما نواصفوه بالحسن وتشاءهوا له بالفضل ثم جعلوه كذلك من أجل النظم  
 خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم ،  
 وآله ، فإذا رأيته قد ارتفعت واضررت واستحسن فاطهر الى حركات  
 الأرمية ثم كانت وعند ماذا ظهرت ؟ فأنه تسري عينا أن الذي قلت لك كذا  
 قلت . اعص الى قول البحري :

بلونا ضراباً من قد تسرى      فما إن رأينا فتح ضربا  
 هو المرء أثبت له العاديا      ن عزماً وشيكاً ورأياً صليبا

ننقل في خلتقي سؤدد      ساحاً مرجئي وأساً مهيباً  
فكالسيف إن جنته صارخاً      وكالبهر إن جنته مستهيباً

فإذا رأيتها قد راتتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتماماً في نفسك فعد  
فاظر في السبب واستقص في النظر ، هناك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدّم  
وأخر ، وعرف ونكر ، وحذف وأضر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على الجملة  
وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله ، ثم لطف  
موضع صوابه وأتى ما في موجب التفضيلة . أفلا ترى أن أول شيء يرونك منها  
قوله : « هو المرء أبدت له الحادثات » ثم قوله : « ننقل في خلتقي سؤدد »  
يشكر « السؤدد » وإضافة الخلقين إليه ، ثم قوله : « فكالسيف » وعطفه  
بالتاء مع حذف المبتدأ ؛ لأن المعنى لا محالة فهو كالسيف . ثم تكريره الكتاب  
في قوله : « وكالبهر » ثم أن قرن إلى كل واحد من التشبيهين شرطاً جوابه  
فيه ، ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالاً على مثال ما أخرج من  
الأخر وذلك قوله : « صارخاً » هناك و « مستهيباً » ههنا . لا ترى حسناً  
تسبه إلى النظم ليس سببه ما عدت أو ما هو في حكم ما عدت فاعرف ذلك .  
وإذا أدت أظهر أمراً في هذا المعنى فاظر إلى قول إبراهيم بن العباس :

قلو إذ نبأ دهرٌ وأنكر صاحبٌ      وسلط أعداءٌ وغاب نصيرٌ  
تكون عن الأحواز داري بنجوة      ولكن مفاديسرٌ جرت وأمورٌ  
وإني لأرجو بعد هذا محسداً      لأفضل ما يرجى أخٌ ووزيرٌ

فأنت ترى ما ترى من الروق والطلاوة ومن الحسن والعاوّة ، ثم تتفقد  
السبب في ذلك فتجدد أنها كان من أجل تقديم الطرف الذي هو « إذ نبأ »  
على عامله الذي هو « تكون » وإن لم يقل : « قلو تكون عن الأحواز داري  
بنجوة إذ نبأ دهر » ثم أن قال : « تكون » ولم يقل : « كان » ثم أن ذكر  
« الدهر » ولم يقل : « قلو إذ نبأ الدهر » ثم أن ساق هذا التشكير في جميع ما

أنى به من بعد ، ثم أن قال : « وأنكر صاحب » ولم يقل : « وأنكرت صاحباء » .  
لا ترى في البيتين الأولين شيئا غير الذي عدته لك تجعله حسنا في النظم ،  
وكله من معاني النحو — كما ترى — وهذا السبيل أبداً في كسل حسن ومزية  
رأيتهما قد تمسبا إلى النظم وفضل وشرف حيل فيها عليه « (١٧) » .

وهذا تحليل يقوم على العلاقات بين الكلام ، وهو تحليل يعطي النص قيمة  
لأنه يظهر مزنه ويوضح ما بين كلماته من صلة وما توحيه من صور تجسد  
المعنى وتبرزه . ولم يستند البلاغيون من هذا المنهج ونفس السكاكي  
والقزويني وشراح التلخيص يلخصون كلام عبد القاهر ويقتطعون بعض أمثله  
ويتركون تحليله للنصوص وملاحق منهجه النقدي . وقد حاول ضياء الدين بن  
الانبار أن يقترب من عبد القاهر ولكن<sup>١</sup> إزراء<sup>٢</sup> النحو وتضييعه على النحاة  
أبعدوه عن المنهج اللغوي التحليلي الذي أبدع فيه التقدم ، فهو يقول عن ابن  
جنى : « لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والاعراب » (١٨) . ولولا هذا  
الموقف لجارى عبد القاهر لأنه كان يشعر بما للنظم من قيمة وقد قال عنه :  
« هو سبك الألفاظ بعضها مع بعض » (١٩) . ثم قال : « فاما النظم فإن له  
أوصافاً أربعة :

الأول منها : أن تكون الألفاظ واضحة بيّنة ليست بغيرية الاستعمال .

الثاني : أن تكون الألفاظ حلوة في النسم ، سهلة في النطق ، غير مستثقلة  
ولا مستكرهة .

الثالث : أن تكون كل لفظة من الألفاظ ملائمة لأختها التي تليها ، غير فائقة  
عنها ولا مبينة لها .

(١٧) دلائل الإعجاز من ٦٧ - ٦٩ .

(١٨) اللؤلؤ السائر ج ١ من ٢٨٣ ، ونظر الاستعراذ من ١٢ وما بعدها .

(١٩) الاستعراذ من ٨٤ .



الرابع : أن لا يكون في الالفاظ تقديم وتأخير يستغلق به المعنى فيجبي نظم الكلام مضطربا .

فهذه أوصاف أربعة تتعلق بالالفاظ ومتى عري الكلام المنظوم والمنثور منها لم يكن فصيحاً ، وإن عري عن شيء منها نقص منه جزء من الفصاحة .  
وفي ضوء ذلك نظر ابن الأثير إلى الأساليب البلاغية ، وأوضح مثال على ذلك كلامه على التقديم والتأخير ، وهو من الموضوعات التي أدخلها المتأخرون في علم المعاني . قال : « وهذا باب طويل عريض ، يشمل على أسرار دقيقة منها ما استخرجته أنا ، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان » (٢٠) وقسمه إلى ضربين :

الأول : يختص بدلالة الالفاظ على المعاني ، ولو اختر المقدم أو قديم المؤخر لتغير المعنى .

الثاني : - يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يرجب له ذلك ولو اختر لما تغير المعنى .

والضرب الأول قسآن : أحدهما يكون التقديم فيه هو الأبلغ ، والآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ . ومن الأول تقديم المفعول على الفعل وتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل . والثاني هو المعاملة المعنوية كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف وتقديم الفصلة على الموصول .

والضرب الثاني : لا يحمسه حد ولا ينتهي إلى شرح ، ومن ذلك تقديم السبب على السبب وتقديم الأكثر على الأقل .

ومنهج ابن الأثير في التحليل يعتمد على أساسين :  
الأول : المعنى وهو الذي يحدد موضع الكلمات ويظهر قصد الأديب .

(٢٠) المل السائر ج ٢ ص ٢٨ .

الثاني : لثق العبارة وانسجام الالفاظ ومراعاة ما توجبه الصياغة من صور .  
قال : « وقال علماء البيان - ومنهم الزمخشري رحمه الله - : إن تقديم هذه الصورة المذكورة انما هو للاختصاص ، وليس كذلك . والذي عتدي فيه أن يستعمل على وجهين : احدهما الاختصاص ، والاخر مراعاة نظم الكلام ، وذلك أن يكون ظنه لا يحسن إلا بالتقديم ، وإذا أخطر التقديم ذهب ذلك الحسن ، وهذا الوجه أبلغ وأؤكد من الاختصاص . فأما الأول الذي هو الاختصاص فنحو قوله تعالى : « أَغْيِرَ اللَّهُ تَآمُرَاتِي أَعْبَادُهَا الْجَاهِلُونَ » . ولقد أوحى إليك والسي الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطننَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين » (٢١) . فانه انما قيل : « بل الله فاعبد » ولم يقل « بل اعبد الله » لانه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره . ولو قال : « بل اعبد » لجاز ايقاع الفعل على أي مفعول شاء .

وأما الوجه الثاني الذي يختص بنظم الكلام فنحو قوله تعالى : « إِنَّا نَعْبُدُكَ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » (٢٢) . وقد ذكر الزمخشري في تفسيره أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك فانه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وانما قدم لكان نظم الكلام ؛ لانه لو قال : « نعبدك ونستعينك » لم يكن له من الحسن ما لقوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » . ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين » الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين » (٢٣) فجاء بعد ذاك قوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » وذلك لمرعاة حسن النظم السجمي الذي هو على حرف النون ، ولو قال : « نعبدك ونستعينك » لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن ، وهذا غير خاف على

(٢١) سورة الزمر ، الآيات ٦٤ - ٦٦ .

(٢٢) سورة الفاتحة ، الآية ٥ .

(٢٣) سورة الفاتحة ، الآيات ٢ - ٤ .

أحد من الناس فضلاً عن أرباب علم البيان . وعلى نحو منه ورد قوله تعالى :  
 « فَأَوْجَسَ فِي فِئْسَةٍ خِيفَةً مُوسَى . فَلَمَّا لَا تَخِفُّ بِأَيْدِيكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » (٢٦٦) .  
 وتقدير الكلام : « فَأَوْجَسَ مُوسَى فِي فِئْسَةٍ خِيفَةً » وإنما قدّم المفعول على  
 الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر قصداً لتحسين النظم .  
 وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص فيبطل إذن  
 ما ذهب إليه الزمخشري وغيره (٢٦٧) .

ويختلف تحليل ابن الأثير عن تحليل معاصره السكاكي الذي ذكر قواعد  
 تقديم المسند اليه وتأخيره من غير أن يقف عليها ويحلل النصوص ، فهو يقول  
 عن المسند اليه : « وأما الحالة التي تقتضي تقديمه على المسند فهي متى كان  
 ذكره أهم ، ثم إن كونه أهم يقع باعتبارات مختلفة » (٢٦٨) . ثم يحدد تلك  
 الاعتبارات منها : لأن أصله التقديم ، أو لأنه متضمن للاستهانة ، وأما لأنه  
 ضمير الشأن والقصة ، وأما لأن في تقديمه تشويقاً للسامع إلى الخبر ليمكن  
 في ذهنه ، وأما لأن اسم المسند اليه أصلح للتساؤل فيقدم ، وأما لأن تقديمه  
 ينسب عن التعظيم والمقام يقتضي ذلك ، وأما لأنه يبعد زيادة تخصيص . وليس  
 في هذه القواعد ما يوضح التقديم والتأخير ويبرز أهميته ويوسط معناه مع أن  
 عبد القاهر قد تحدث عن هذا الموضوع وأوضح المعاني المختلفة التي تقدمها  
 صياغة العبارة حينما يقع فيها تقديم أو تأخير . قال : « هو باب كثير الفوائد ،  
 جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يتقشّر لك عن بديعة ويخفي  
 بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقه مسجعه ، ولطف لديك موقعه ، ثم  
 تنظر فتجد سبب أن " رائق ولف عندك أن " قدّم فيه شيء . وحول القنط عن  
 مكان إلى مكان » (٢٦٩) . ومثال تحليله للتقديم والتأخير كلامه على الاستهانة ،  
 قال : « وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدّم

(٢٦٦) سورة طه ، الإبتان ٦٧ - ٦٨ .

(٢٦٧) المثل السائر ج ٢ ص ٢٩ - ٤٠ .

(٢٦٨) مفتاح العلوم ص ٦٢ . (٢٦٩) دلائل الإعجاز ص ٨٢ .

فيها وترك تقديمه • ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهزة فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : « أفعلت ؟ » فبدأت بالفعل كأن الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده • وإذا قلت : « أنت فعلت ؟ » فبدأت بالاسم كأن الشك في الفاعل من هو ؟ وكان التردد فيه • ومثال ذلك أنك تقول : « أبنت النار التي كنت على أن تبنيها ؟ » - « أفعلت الشعر الذي كان في فمك أن تقول ؟ » - « أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ » • تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ، لأنه في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفاءه مجوزاً أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن • وتقول : « أنت بنيت هذه الدار ؟ » - « أنت قلت هذا الشعر ؟ » - « أنت كتبت هذا الكتاب ؟ » فتبدأ في ذلك كله بالاسم ، ذلك لأنه لم تكن في الفعل أنه كان ، كيف وقد أشرت إلى الدار مبنية والشعر متولاً والكتاب مكتوباً ؟ وأنا شككت في الفاعل من هو ؟ فهنا من التردد لا يطفئه دافع ولا يشك فيه شك ، ولا ينفى فساد أحدهما في موضع الآخر • فلو قلت : « أنت بنيت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟ » - « أنت قلت الشعر الذي كان في فمك أن تقول ؟ » - « أنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ » خرجت من كلام الناس • وكذلك لو قلت : « أبنت هذه الدار ؟ » - « أفعلت هذا الشعر ؟ » - « أكتبت هذا الكتاب ؟ » قلت ما ليس يقول ، ذلك لفساد أن تقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينيك أموجود أم لا ؟ وما يعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم ، أنك تقول : « أفعلت شعراً ؟ » - « أرايت اليوم انساناً ؟ » فيكون كلامك مستقيماً • ولو قلت : « أنت قلت شعراً قط ؟ » - « أنت رأيت انساناً ؟ » أخطأت ، وذلك لأنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا ؛ لأن ذلك أيضاً يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول : « من قال هذا الشعر ؟ » و « من بنى هذه الدار ؟ » و « من أكل اليوم ؟ » و « من أذن لك في الذي فعلت ؟ » وما أثبت ذلك مما يمكن أن ينص فيه على معنى ،

فإذا قيل شعر على الجيلة ورؤية الإنسان على الاخلاق فمحال ذلك فيه لأنه ليس  
 ما يختص بهذا دون ذلك حتى يسأل عن عين فاعله • ولو كان تقديم الاسم  
 لا يوجب ما ذكرنا من أن يكون السؤال عن الفاعل من هو ؟ وكأن يصح أن  
 يكون سؤالاً عن الفعل أكان أم لم يكن • لكن ينبغي أن يستقيم لك « (٢٨) » .

فالتقديم والتأخير يخضع للمعنى وللهدف الذي يسمى اليه التكلم • ولم  
 يكن عبثاً أن يعنى العرب في كلامهم بذلك وأن يرصد البلاغيون والنقاد •  
 وأوضح ما في كلام عبد القاهر ثلاث مسائل :

الأولى : أن الابتداء بالفعل في الاستفهام معناه أن الشك في الفعل نفسه  
 وأن الغرض من الاستفهام أن يعلم المستفهم وجوده •  
 الثانية : أن الابتداء بالاسم في الاستفهام معناه أن الشك في الفاعل من هو ؟  
 وأن التردد كان فيه •

الثالثة : أن الاستفهام لا يكون عبثاً وإنما يأتي حينما يتطلبه الموقف ولذلك  
 لا يصح الاستفهام إذا كان المعنى معروفاً أو أن المسؤول عنه نصب العين •  
 وهذا التحليل فريد في البلاغة العربية لأنه يقوم على العلاقات بين الكلم  
 وموقع الكلمة في العبارة ، وتقديم كلمة أو تأخيرها يغير المعنى وينقله من حال  
 إلى حال • ولا يفتقر الأمر عند المعنى الحقيقي وإنما يتعداه إلى خروج الاستفهام  
 إلى أغراض أخرى كالترديد والتوبيخ وهو ما تحدث عنه البلاغيون المتقدمون •  
 ولكنهم لم يعمقوا في دراسته ولم يخلطوا هذا النوع من الاستفهام كما حطه  
 عبد القاهر السدي قال : « وأظن أن هذا الذي ذكرت لك في الهزة وهي  
 الاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتبرير ، فإذا قلت : « آتت فقلت ذاك ؟ »  
 كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل ، بين ذلك قوله تعالى حكاية عن قول قهوج :  
 « آتت فتمكثت » هنا بالكهنة يا إبراهيم ؟ « (٢٩) » • لاشبهة في أنهم لم يقولوا

(٢٨) دلائل الإعجاز ص ٨٧ - ٨٨ • (٢٩) سورة الأنبياء - الآية ٦٢ •

ذلك له - عليه السلام - وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأن منه كان ، وقد أشاروا له إلى التمثل في قولهم : « أنت فعلت هذا ؟ » وقال هو - عليه السلام - في الجواب : « بلى لعله كبيرهم هذا » . ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب : « فعلت » أو « لم أفعل » . فإن قلت : أو ليس إذا قال : « أفعلت ؟ » فهو يريد أيضا أن يقره بأن الفعل كان منه ، لا بانه كان على الجملة . فأي فرق بين الحالين ؟ فانه إذا قال : « أفعلت ؟ » فهو يقره بالفعل من غير أن يردده بينه وبين غيره وكأنه كلام من يوهم انه لا يدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة . وإذا قال : « أنت فعلت ؟ » كان قد ردد الفعل بينه وبين غيره ولم يكن منه في نفس الفعل تردد ، ولم يكن كلامه كلام من يوهم انه لا يدري أكان الفعل أم لم يكن ، بدلالة أنك تقول ذلك والفعل ظاهر موجود مشار إليه كما رأيت في الآية (٢٠) . واكتفى السكاكي والقزويني بنقل الآية الكريمة حينما ذكرا خروج الاستفهام إلى معنى التقرير (٢١) من غير أن يفتا عليها ويحللها ويظهر ما فيها من معنى التقرير . وبذلك تحولت الموهبة الأدبية والذوق الفني إلى قواعد ثابتة تقرر ليحفظها الدارس بلا تشل لها أو تأثر بالنصوص وجمالها .

وللفعل المضارع في الاستفهام موقع غير موقع الماضي ، وقد تحدث عنه عبد القاهر وأوضح الهدف منه فقال : « وإذا قد بينا الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم والفعل ماضٍ ، ينبغي أن ينظر فيه والتأمل مضارع . والقول في ذلك أنك إذا قلت : « أفعل ؟ » أو « أنت تفعل ؟ » لم يخل من أن تريد الحال أو الاستقبال ، فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي فإذا قلت : « أفعل ؟ » كان المعنى على أنك أردت أن تخرجه بفعل هو يفضله وكنت كمن يوهم انه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كالسكن . وإذا قلت : « أنت تفعل ؟ » كان المعنى على أنك تريد أن تخرجه بانه الفاعل ، وكان أمر الفعل في وجوده

(٢٠) دلائل الإعجاز ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢١) مفتاح العلوم ص ١٥١ ، الإيضاح ص ١٣٨ .

ظاهراً وبعبث لا يحتاج السى الاقرار بأنه كائن . وإن أردت بـ « تفعل » المستقبل كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعبد بالانكار الى الفعل نفسه وترجم أنه لا يكون أو أنه لا ينبغي أن يكون . مثال الأول :

أبقتسى والمشرقي مشاجسي ومسنوة زرقان<sup>١</sup> كاتياب اغوال<sup>٢</sup>

فهذا تكذيب منه لاسان يهدده بالقتل وانكار أن يقصر على ذلك ويستطيعه . ومثله أن يطمع طامع في أمر لا يكون مثله فتجهه فتقول :

« أرى عنك فلان وأنت مقيم على ما يكره ؟ » - « أجد عنده ما نحب وقد فعلت وصنعت ؟ » وعلى ذلك قوله تعالى : « أفلمنكموها وأتم لها كارهون ؟ » (٣٢) .

ومثال الثاني قوله للرجل يركب الخطر : « أخرج في هذا الوقت ؟ » - « أتذهب في غير هذا الطريق ؟ » - « أنظر بنفسك ؟ » ، وقوله للرجل يضع الحق : « أتسى قديم إسمان فلان ؟ » - « أتترك صحبه وتكفر عن حاله منه لأن تغير الزمان ؟ » كما قال :

أترك أن قلت<sup>٣</sup> دراهم خالد زيارته إنني إذن<sup>٤</sup> للتيسم<sup>٥</sup>

وجملة الأمر أنك تنحو بالانكار نحو الفعل فإن بدأت بالاسم قلت : « أنت تفعل ؟ » أو قلت : « أهو يفعل ؟ » كنت وجهت الانكار الى نفس المذكور وأيت أن تكون بوضع أن يجيء منه الفعل ومن يجيء منه وأن يكون بترك المثابة<sup>٦</sup> (٣٣) .

ومثال آخر هو الالتفات الذي كان الفن الأول من معاني الكلام التي ذكرها ابن المعتز ، وقد قال في تعريفه : « هو انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الاختيار وعن الاختيار الى المخاطبة وما يشبه ذلك » ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه الى معنى آخر<sup>٧</sup> (٣٤) . ونعنه كثير من البلاغيين في

(٣٣) دلائل الإعجاز ص ٩١ - ٩٢ .

(٣٤) سور هود ، الآية ٢٨ .

(٣٤) البدیع ص ٥٨ .

مصطلحه وتعرضه لغير ابن وهب سواء «المعترف»<sup>(٢٧)</sup> وسواء اسمية بن متقّد «الانصراف»<sup>(٢٨)</sup> واهتم الفارسيون بهذا الاسلوب وتحدث عنه بالتفصيل الرمضري في كتابه والسكاكي في مفتاحه والقزويني في إيضاحه وابن الأثير في مثله السائر والزيكري في برهانه . وقال الرمضري وهو يفسر قوله تعالى : «إِذَا كُنْتَ تُعَلِّمُ» وإياك تستعين<sup>(٢٩)</sup> : «فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يسمى الالتفات في البيان وقد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة . ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى : «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم»<sup>(٣٠)</sup> وقوله تعالى : «واقه الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه»<sup>(٣١)</sup> . وقد اتلفت أمروؤ القيس ثلاث التفاعلات في ثلاثة أبيات :

تطاولَ ليلاك بالأسودِ      ونامَ الغليظة ولم ترقدِ  
وبات وبانت له ليلةٌ      كليلةٍ ذي العاصم الأرمدِ  
وذلك من لبأ جاني      وخبرته عن أبي الأسودِ

وذلك على عادة افتتاحهم في الكلام وتعرفهم فيه ، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن طريقة لنشاط السامع وإيقاظه للاسماء اليه من اجرائه على أسلوب واحد . وقد تختص مواقعهم بفوائد ، ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالعبد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهات لمخوّل ذلك المعلوم التميز بتلك الصفات قليل : «إياك من هذه

(٢٨) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٩ .

(٢٩) البديع من نقد الشعر ص ٢٠٠ . (٣٠) سورة الفاتحة ، الآية ٥ .

(٣١) سورة يونس ، الآية ٢٢ . (٣٢) سورة فاطر ، الآية ٩ .



صفاته تخص بالعبادة والاستعانة ، لا تعيد تحريك ولا تستعينه « ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحقق العبادة إلا » (١٢٠) .

ولا يخرج كلام السكاكي عن ذلك إلا ما أضاف من أمثلة قليلة قال بعدها : « وأمثال ما ذكر أكثر من أن يضبطها القلم . وهذا النوع قد يختص موافقه بلطائف قلما تنضح إلا لأفراد بلغاتهم أو للحنائق المبرة فسي هذا الفن والعلماء النحارير . ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك كساء فضل بهاء ورويق وأورث السامع زيادة هزقة وتشاط ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحل إن كان ممن يسبح ويمتل » (١٢١) . ونظر إليه ابن الأثير نظرة أعنى وقال : « وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن واليها تستند البلاغة وعنها ينمغن . وحقيقته مأخوذة من الثقات الإنسان عن يمينه وشماله ، فهو يقبل بوجهه ثارة كذا وثارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماضٍ أو غير ذلك مما يأتي ذكره مفصلاً . ويسمى أيضاً « شجاعة العربية » وأما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الاقدام ، وذلك أن الرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره ويتورد مالا يتورده سواء ، وكذلك هيما الالتفات في الكلام فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات » (١٢٢) .

وقسمه إلى ثلاثة أقسام :

- الاول : الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة .
- الثاني : الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، ومن الفعل الماضي إلى فعل الأمر .
- الثالث : الاختيار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي .

(١٢٠) الكشف ج ١ ص ١١ - ١٢

(١٢١) مفتاح العلوم ص ٩٦ .

(١٢٢) الملل السائر ج ٢ ص ٤ ، الجامع الكبير ص ٩٨ .

وأحسن ما في بعته الأمثلة الكثيرة التي وضع بها كلامه ، وردده رأي  
الزمخشري ومن تابعه في فائدة أسلوب الانتقالات . وقد وضع ابن الأثير  
رأيه بقوله :

« وقال الزمخشري - رحمه الله - إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب  
أما يستعمل للفتن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب نظرية  
لنشاط السامع وإيقاظاً للاصغاء إليه . وليس الأمر كما ذكره ، لأن الانتقال  
في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إن لم يكن إلا نظرية لنشاط السامع  
وإيقاظاً للاصغاء إليه فإن ذلك دليل على أن السامع يملأ من أسلوب واحد  
فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع . وهذا قدح في الكلام لا وصف  
له ، لانه لو كان حسناً لما ملأ ، ولو سلمنا إلى الزمخشري ما ذهب إليه  
لكان إنما يرجد ذلك في الكلام المطول ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك ، لانه  
قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع  
كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجسوع الجانبين مما يبلغ عشرة ألفاظ  
أو أقل من ذلك ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب إلى  
أسلوب إنما يستعمل قصداً للمخالفة بين التنقل عنه والانتقل إليه لا قصداً  
لاستعمال الأحسن . وعلى هذا فإنا وجدنا كلاماً قد استعمل في جميعه  
الإيجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل في جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه ،  
وكان كلا الطرفين واقعاً في موقعه قلنا : هذا ليس بحسن إذ لم ينتقل فيه  
من أسلوب إلى أسلوب ، وهذا قول فيه ما فيه ، وما أعظم كيف ذهب  
على مثل الزمخشري مع معرفته بنص الصراحة والبلاغة . والذي عندي في  
ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب  
لا يكون إلا " لفائدة اقتضته ، وذلك لفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب  
إلى أسلوب غير أنها لا تحد بعد ولا تضبط بضابط ، لكن يشار  
إلى مواضع منها ليقاس عليها لغيرها . فإنا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى  
الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد

الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب الى الغيبة لعلنا حينئذ ان  
الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة  
والا هو متصور على العناية بالمعنى المقصود ، وذلك المعنى يتشعب شعبا  
كثيرة لا تنحصر ، والا يؤول بها على حسب الموضع الذي ترد فيه « (١٣) » .

وطريقة ابن الاثير في اظهار روعة الالفاظ ضرب من الأمثلة والتعليق  
عليها والاشارة الى ما فيها من روعة وجمال ، وهذه الطريقة أضغ نفسي  
معالجة البلاغة وتطيل النصوص . ومن ذلك قوله : « فاما الرجوع من  
الغيبة الى الخطاب فكقوله تعالى من سورة الفاتحة : « الحمد لله رب  
العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين .  
اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم » (١٤) » هذا رجوع من  
الغيبة الى الخطاب ، وما يختص به هذا الكلام من الفوائد قوله : « إياك  
نعبد وإياك نستعين » بعد قوله : « الحمد لله رب العالمين » فانه انما عدل  
فيه من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة ، ألا تراك محمد طهريك  
ولا تبعه ؟ فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع  
الغيبة في الخبر فقال : « الحمد لله » ولم يقل : « الحمد لك » . ولما صار  
الى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : « إياك نعبد » فخطب بالعبادة  
اصراط بها وتربا منه — عز اسمه — بالانتهاء الى محدود منها . وظنى  
لحو من ذلك جاء آخر السورة فقال : « صراط الذين أنعمت عليهم »  
فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال : « غير المغضوب عليهم » عطفا على  
الأول ، لان الاول موضع التقرب من الله بذكر نعمه ، فلما صار الى ذكر  
الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب قاسدا النعمة اليه لفظا وزوى  
عنه لفظ الغضب تحتنا ولطفنا . فاطر الى هذا الموضع وتناسب هذه المعاني  
الشرعية التي الاتهام لا تنكاد تطلقها والأفهام مع قربها صالحة عنها ، وهذه

(١٣) القل السائر ج ٢ ص ١ - ٥ . (١٤) سورة الفاتحة ، الآيات ٢ - ٧ .

السورة قد انتقل في أولها من الغيبة الى الخطاب لتعظيم شأن المخاطب ثم انتقل في آخرها من الخطاب الى الغيبة لتلك العلة بعينها وهي تعظيم شأن المخاطب ايضاً ، لأن مخاطبة الرب - تبارك وتعالى - بإسناد النعمة اليه تعظيم لخطابه ، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب اليه تعظيم لخطابه ، فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من فصاحة والبلاغة عالماً بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها (١٥٠) .

ومن ذلك تعليقه على بيتي تأبط شراً :

بالي قد لقيت القول تهوي بسهوب كالصحيفة مخلصان

فأضربها بلا دحشٍ لخبرتي صريعاً للديس وللجبر ان (١٥١)

قال : « فانه قصد أن يصور لقومه الحال التي تلجج فيها على ضرب القول كآله يصرحهم إياها مشاعدة للتعجب من جرائته على ذلك القول ، ولو قال : « فضربتها » عطفاً على الأول لزالت هذه الفائدة المذكورة . فان قيل : إن الفعل الماضي أيضاً يتخيل منه السامع ما يتخيله من المستقبل ، قلت في الجواب : إن التخيل يقع في الفعلين معا ، لكنه في أحدهما - وهو المستقبل - مؤكد وأشد تخيلاً ، لأنه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر الى فاعلها في وجود الفعل منه . ألا ترى أنه لما قال تأبط شراً : « فأضربها » تخيل السامع أنه مباشر للفعل ، وانه قائم بإزاء القول وقد رفع سيفه ليضربها ، وهذا لا يوجد في الفعل الماضي ، لأنه لا يتخيل السامع منه إلا فعلاً قد مضى من غير احتضار للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه ، وهذا لاخلاف فيه (١٥٢) .

(١٥٠) المثل السائر ج ٢ ص ٥ - ٦ .

(١٥١) السهوب : الأرض المستوية . الصحفان : الأرض الواسعة . الجبران : مقدم خلق البعير .

(١٥٢) المثل السائر ج ٢ ص ١٦ - ١٧ .

إن هذا التحليل لاسلوب الالتفات يطلي صورة جلية لما كان عليه المنهج النقدي عند ابن الأثير ، وهو منهج يقوم على العلاقة اللغوية ود توحى من معنى أولاً وعلى الذوق الرفيع . أما مذهب السكاكي والقزويني وشراح التلخيص فيقوم على القاعدة وكثيراً ما تخلف القاعدة في إثارة المعنى وتقديم ما فيه من تأثير . ومن هنا كان الأخذ بمنهج عبدالقاهر وابن الأثير في التحليل ضرورة تتطلبها النزعة الفنية في البلاغة والتد ، وهي نزعة تثل مرتبطة بالأدب مانام فيه عرق ينبغي وما دام فيه ابتاع وتجديد . ومما يسلخ ذلك الأخذ أن الرطين المطلأ من علاقات الكلم فيما بينها أي من التركيب اللغوي المرتبط بالاسلوب والذوق الأدبي الرفيع ، وهذا ركنا تحليل النصوص ، ومن الوقوف على معناها والتأثر بها فيما من صور . أو الإحصاء بالتأثير .

## المصادر :

- ١ - أساليب بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . القاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .
- ٢ - الاستدراك - ضياء الدين بن الأثير - تحقيق الدكتور حفي محمد شرف . القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٣ - الإيضاح - الططيب القزويني . القاهرة .
- ٤ - البديع - ابن المعتز - تحقيق كزاشكوفسكي . لندن ١٩٢٥ م .
- ٥ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ - تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبد المجيد . القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠ م .
- ٦ - البرهان في وجوه البيان - ابن وهب الكاسبي . تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي . بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م .
- ٧ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والنور - ضياء الدين بن الأثير . تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد . بغداد ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦ م .
- ٨ - دلائل الإحصاء - عبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا . القاهرة ١٣٧٢هـ .

- ٩ - الصاحبي - أحمد بن فارس ، تحقيق الدكتور مصطفى الشويبي ، بيروت ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤ م .
- ١٠ - هروس الانواح في شرح تلخيص الفناج - بهاء الدين السبكي ، ( مطبوع في كتاب سروج التلخيص ) القاهرة ١٩٣٧ م .
- ١١ - فن القول - أمين الطولي ، القاهرة ١٩٤٧ م .
- ١٢ - الكشاف - جلال الزمخشري ، القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ = ١٩٥٣ م .
- ١٣ - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر - طبهء الدين بن الاثير ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩ م .
- ١٤ - المطول - سعد الدين التفتازاني ، تركيا ١٣٣٠هـ .
- ١٥ - مفتاح العلوم - السكاكي ، القاهرة ١٣٥٦هـ = ١٩٣٦ م .



( ٤ )

## الفنون البلاغية

النهج :

الفنون البلاغية هي : التضييق والمجاز والكنية - أو ما سمي  
المأخرون علم البيان - والمحسنات اللفظية والمعنوية - أو ما سمي بالبدع -  
وعلم البيان هو « معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في  
وضوح الدلالة عليه وبالتقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في  
مطابقة الكلام لتسام المراد منه »<sup>(١)</sup>، وتتضح في هذا التعريف عدة حقائق :

الاولى : ان هناك معنى واحداً يراد التعبير عنه في طرق مختلفة .

الثانية : ان التعبير عن ذلك المعنى الواحد قد يكون بالزيادة وقد  
يكون بالتقصان .

الثالثة : ان ذلك التعبير بالزيادة أو بالتقصان يكون لهدف هو الاحتراز  
عن الخطأ في مطابقة الكلام لتسام المراد منه .

وشرح السكاكي هذا التعريف وأوضحه في الفصل الثاني من قسم  
البلاغة وقال : « والخوض فيه يستلزم تهديد قاعدة ، وهي ان محاولة إيراد  
المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالتقصان  
بالدلالات الوضعية غير ممكن ، فإليك إذا أردت تبينه الخد بالورد في  
الحمرة مثلاً » وقلت : « خد يشبه الورد » امتنع أن يكون كلام مؤدٍ لهذا

---

(١) انظر على الشرفين التريويين في معبد تطوير اللغة العربية في ايلول  
سنة ١٩٨١ م .

(١) منهاج العلوم ص ٧٧ .

المعنى بالدلالات الوضعية أكمل منه في الوضوح أو انقصر . فإليك إذا  
أقيمت مقام كل كلمة منها ما يراد منها ، فالسامع إن كان عالماً بكونها موضوعة  
لتلك المفهومات كان فهمه منها كفهفه من تلك من غير تفاوت فسي الوضوح  
والإلا لم يفهم شيئاً أصلاً ، وإنما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل أن  
يكون الشيء تعلق بالآخر وثالث ، وثالث . فإذا أريد التوصل بواحد منها إلى  
المتعلق به ، فتمسى تفاوت تلك الثلاثة في وضوح التعلق وحقائه صَحَّحَ في  
طريق إقادته الوضوح واليقين . وإذا عرفت هذا عرفت أن صاحب علم  
البيان له فضل احتياج إلى التعرض لأنسواع دلالات الكلام <sup>(٢)</sup> . وتكلم على  
الدلالات وبني تقسيم علم البيان عليها فأخرج التشبيه منه لأن دلالاته وضعية  
لا يمكن بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، وحصر الموضوعات الأخرى  
بقوله : « وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأني إلا  
في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما  
كازوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ، ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار  
الملاقات بين المعاني . ثم إذا عرفت أن لزوم إنا تصور بين الشيئين فاما  
أن يكون من الجانبين كالذي بين الأمام والخلف بحكم العقل أو بين طول  
القامة وبين طول النجاد بحكم الاعتقاد ، أو من جانب واحد كالذي بين العلم  
والحياة بحكم العقل ، أو بين الأسد والجرأة بحكم الاعتقاد - ظهر لك أن  
مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين : جهة الانتقال من ملزوم إلى لازم ،  
وجهة الانتقال من لازم إلى ملزوم . ولا يربك بظاهرة الانتقال من أحد لازمي  
الشيء إلى الآخر ما إذا انتقل من بياض الثلج إلى البرودة فمرجه ما ذكر  
ينتقل من البياض إلى الثلج ، ثم من الثلج إلى البرودة  
فتأمل . وإذا حصر لك أن مرجع البيان هاتان الجهتان  
ظلمت أصباب علم البيان إلى التعرض للمجاز والكناية فإن المجاز ينتقل فيه  
من الملزوم إلى اللازم كما تقول : « وعينا الغيث » والمراد لازمه وهو الغيث .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٥٦ .



وقد سبق أن اللزوم لا يجب أن يكون عقليا بل إن كان اعتقاديا إما لعرف أو  
 لغير عرف ، « صح » ابتداء عليه ، وأما نحو قولك : « أضررت النساء بناء » أي  
 غيث من المجازات المنتقل فيها عن اللازم إلى اللزوم منخرط في سلك  
 « رعيها الغيث » . وإن الكناية ينتقل فيها من اللازم إلى اللزوم كما تقول :  
 « فلان طويل النجاد » فلا يضار إلى جعل التجرد طويلا أو قصيرا إلا لكون  
 القائمة طويلة أو قصيرة . فلا غيت أن تخطئها أصدي<sup>(٢)</sup> .

لقد حصر السكاكي علم البيان في بعين هما : المجاز والكتابة لأن  
 دلاليهما عقلية ، أما التشبيه فقد أخرجه من البيان لأن دلالاته وضعية . ويفهم  
 من ذلك أن هذا الفن من الحقيقة لا المجاز ، ولكنه — مع ذلك — لم يستطع  
 أن يبعد عن علم البيان وهو الكثير الاستعمال في اللغة ، وله مزايا تورث  
 الكلام حسنا وجبالا . واضطر إلى أن يستلج طريقة فيها تكلف فقال :  
 « ثم إن المجاز — أعني الاستعارة — من حيث أنها من فروع التشبيه لا تحقق  
 بمجرد حصول الانتقال من اللزوم إلى اللازم ، بل لابد فيها من مقدمة تشبه  
 شيء بذلك اللزوم في لازم له ، تستدعي تقديم التعرض للتشبيه فلا بد من  
 أن تأخذ أصلا ثالثا وتقدمه ، فهو الذي إذا مهوت فيه ملكك زمام التعرّب  
 في فنون السحر الياي<sup>(٣)</sup> » . وليس التشبيه فنا طارئا وإنما هو كثير الدوران  
 في كلام العرب ، وقد قال المبرد : « والتشبيه جارم كثير في الكلام — أعني  
 كلام العرب — حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يعمد<sup>(٤)</sup> » . فعلم  
 البيان هو التشبيه والمجاز بأنواعه والكتابة على الرغم مما حاول السكاكي  
 اصطناعه لإخراج التشبيه من البيان .

ولم يبق السكاكي عند هذه المسألة في دراسة علم البيان وإنما أسرف  
 في تقييده وتفرج مباحته ، واستخدم مصطلحات بعيدة عن فن القول في

(٢) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(٤) الكامل ج ٢ ص ٨١٨ .

ذلك التقسيم . ومن أمثلة ذلك الاسراف تقسيمه طرفي التشبيه الى  
أنواع كثيرة ترتبط بالحسي والعقلي والتميزي والوهمي ، وتقسيمه الاستعارة  
الى ثمانية أنواع هي : الاستعارة المصريح بها التحقيقية مع القطع ، والاستعارة  
المصريح بها التخيلية مع القطع ، والاستعارة المصريح بها المحتملة للتحقيق  
والتخيل . والاستعارة بالكناية ، والاستعارة الأصلية ، والاستعارة التبعية ،  
والاستعارة المجردة ، والاستعارة الترشيفية . الى جانب تنوع الاستعارة الى  
خمس أنواع كتشبيح الشيء بالشيء وهي : استعارة محسوس لمحسوس بوجه  
حسي أو بوجه عقلي ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ،  
واستعارة معقول لمحسوس . ومن ذلك تقسيمه المجاز الى خمسة أنواع  
منها الاستعارة التي قسمها الى ثمانية أقسام وأضاف إليها خمسة أنواع ،  
وتقسيمه الكناية الى الكناية المطلوب بها نفس الموصوف ، والكناية المطلوب  
بها نفس الصفة ، والكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف .

وكان هذا التقسيم أساساً في دراسة علم البيان ، وقد قلل الخطيب  
التقويزي في تعريفه : « هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في  
وضوح الدلالة عليه »<sup>(٦)</sup> . وكان قوله : « بطرق مختلفة في وضوح  
الدلالة عليه » مدعاة للكلام على الدلالات . وذكر — كما ذكر السكاكي —  
أن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا ينأى بالدلالة الوضعية ، لأن السامع  
إن كان عاقلًا بوضع اللفظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض وإلا لم يكن  
كل واحد منها دالاً ، وأنه ينأى بالدلالات العقلية لجواز أن يكون للشيء  
لوازم بعضها أوضح لزوماً من بعض . قال : « ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع  
له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجوز وإلا فهو كناية ، ثم  
المجاز منه الاستعارة وهي ما تبني على التشبيه . فتعين التعرض له ، فانهصر  
المقصود في التشبيه والمجاز والكناية . وتقدم التشبيه على  
المجاز لما ذكره من ابتداء الاستعارة التي هي مجاز على

(٦) الإيضاح ص ٢١٢ ، التلخيص ص ٢٢٥ .

التشبيه . وقدم المجاز على الكناية لتزول عنها منزلة الجزء من الكل<sup>(٢٧)</sup> . وبذلك استقرت مباحث علم البيان فكانت التشبيه والمجاز والكناية ، ودراسها بهذا الترتيب دقيق وإن حاول السكاكي والقروضي وشراح التلخيص إخراج التشبيه لأن دلالته وضعية – ولكنهم على الرغم من ذلك – قسموه على المجاز لأن أحد أنواعه وهو الاستعارة مبني عليه .

وحاول أبو محمد القاسم السجستاني أن يدرس موضوعات علم البيان دراسة أخرى فعقد الجنس الثاني من كتابه لتخييل وأدخل فيه التشبيه والاستعارة والمبالغة والمجاز ، وعقد الجنس الثالث للاستعارة وأدخل فيه الكناية والتعريض والتبويب والابهام والتعمية والرمز والتورية<sup>(٢٨)</sup> . وقد يكون هذا المنهج أكثر دقة ، لأن التشبيه والاستعارة وأنواع المجاز الأخرى متصل بالتخييل ، ولأن الكناية والتعريض والتورية ترتبط بالإشارة واللمحة الغالة . ولكن هذا المنهج لم يستمد وظل منهج السكاكي ومن هنا قصوره عدة الباحثين حتى هذا العصر الذي تعالت فيه دعوات التجديد ، وكان المرحوم أمين الخولي من أكثر الباحثين اقتداراً على وضع منهج جديد لفن القول ، وقد أدخل التشبيه والاستعارة والكناية في صور الإيضاح المعلن<sup>(٢٩)</sup> . وليس ذلك دقيقاً ، لأن هذه الفنون يقصد بها الخفاء أحياناً ، وتسميتها « التخييل » كما فعل السجستاني أقرب ، فال : « هذا الجنس من علم البيان يشتمل على أربعة أنواع تشترك فيه ويحصل عليها من طريق ما يحصل المتواطىء على ما تحتها ، وهي نوع التشبيه ، ونوع الاستعارة ، ونوع المبالغة – وقوم يسمونه التمثيل – ونوع المجاز . وهذا الجنس هو موضوع الصناعة الشعرية<sup>(٣٠)</sup> » .

والتحق السكاكي علم البديع بالبلاغة وقال بعد أن انتهى من بحث علمي المعاني والبيان : « وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيتها ، وإن الفصاحة بنوعيتها ،

(٢٧) الإيضاح ص ٢١٢ ، التلخيص ص ٢٣٧ .

(٢٨) المنزع البديع ص ٢١٨ ، ٢٦٢ .

(٢٩) فن القول ص ٢٢١ . (٣٠) المنزع البديع ص ٢١٨ .

ما يكسو الكلام حلة التزين ورقية أعلى درجات التحسين ، لهما وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام ، فلا ضير أن نشير إلى الأعراف منها ، وهي قسآن : قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ<sup>(١١)</sup> . ولم يسبقها بدعياً ، وكان بدر الدين بن مالك أول من استق عليها ذلك وقال في تعريف علم البديع : « هو معرفة توابع القصاحة<sup>(١٢)</sup> » وقسمه إلى محسنات لفظية ومحسنات معنوية ، والمعنوية أما مختصة بالانهاض والتبيين وأما مختصة بالتزين والتحسين ، أي أن البديع عنده ثلاثة أقسام وهو ما لم يأخذ به البلاغيون ، وجبنا ألف الخطيب القزويني « التلخيص » و « الإيضاح » فصل علم البديع فصلاً تاماً عن البلاغة التي جعلها محصورة في المعاني والبيان . وقال : « إن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره . والثاني – أعني التمييز – منه ما يثبت في علم متن اللغة أو التصرف أو النحو ، أو يدرك بالحدس ، وهو ما عينا التقيد المعنوي . وما يحتز به عن الأول – أعني الخطأ – وهو علم المعاني – وما يحتز به عن الثاني – أعني التقيد المعنوي – هو علم البيان . وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ولمصاحته هو علم البديع<sup>(١٣)</sup> » . وقال عن البديع : « هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة<sup>(١٤)</sup> » .

والبديع عنه ضربان : ضرب يرجع إلى المعنى ، وضرب يرجع إلى اللفظ ، ومن الأول : المطابقة والمقابلة ، ومراعاة النظر ، والأرصاء ، والاستطراد ، والمزاوجة ، والتورية . ومن الثاني : الجناس ، ورد العجز على الصدر ، والسجع ، والموازاة ، والتقلب ، والتشريح ، ولزوم ما لا يلزم .

(١١) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

(١٢) المصباح ص ٧٥ .

(١٣) الإيضاح ص ١١ ، التلخيص ص ٢٦ .

(١٤) الإيضاح ص ٢٢٤ ، التلخيص ص ٢١٧ .

والبديع - عند القزويني - يعود على الكلام بالتحسين العرضي لا الذاتي مع أن كثيراً من ألوانه يقتضيها الحال ويحتاج إليها الأديب كمنحة التقسيم ، والمقابلة ، والمطابقة ، والمبالغة . وسار آثر البلاغيين على خطأ وخلقه بعضهم . قل بهاء الدين السبكي : « يحتل أن يراد بعد معرفة رعاية تطبيقه ووضوح الدلالة ، ويكون المراد هو قواعد يصرف بها وجوه التحسين ووجوه التطبيق والوضوح . ومعرفة التطبيق والوضوح سابقان على معرفة التحسين فيكون المعاني والبيان جزأين للبديع . ويحتل أن يراد قواعد يعرف بها بعد معرفة التطبيق والوضوح وجوه التحسين فلا يكون المعاني والبيان جزأين للبديع بل مقدمتين له ، وقد صرحوا بأن المراد هو الأول .... والعق الذي لا يتزوج فيه منتصف أن البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، ولذا كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الأبراد بطرق مختلفة ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين . وأدلى برهان على ذلك أنك لا تجد في شيء من أمثلة البيان يتعرضون إلى بيان اشتغال شيء منها على التطبيق ولا تجد في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتغاله على التطبيق والأبراد . بل تجد كثيراً منها خالفاً عن التنبيه والاستعارة والكتابة التي هي طرق علم البيان . هذا هو الانصاف وإن كان مخالفاً لكلام الأكثرين <sup>(١٥)</sup> » .

واضطربوا في توزيع فنون البديع فوضعوا قسماً منه في علم المعاني وأعادوا بحثها في علم البديع ، وعلّة ذلك أنهم كانوا ينظرون إليه من زاويتين :

الأولى : أن تحسبته عرضي .

الأخرى : أن تحسبته ذاتي .

ومن ذلك الالتفات ، فقد تحدث عنه السكاكسي في علم المعاني وقال : « ويسمى هذا النقل اتفاقاً عند علماء المعاني ، والعرب يستكثرون منه ويرون

(١٥) عروض الانفراج ج ٤ ص ٢٨٢ .

الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القول عند السامع وأحسن طريقة نشاطه وأمثلاً باستمرار أصغاله»<sup>(١٧)</sup>، وأدخله ثانية في علم البديع وهذه من المحسنات اللغوية ، ولكنه لم يتكلم عليه واكتفى بقوله : « وقد سبق ذكره في علم المعاني »<sup>(١٨)</sup> . وكان الرمخسري قد عدّه من البيان<sup>(١٩)</sup> وأن لم يقصد به علم البيان الذي ضبطه السكاكسي بتعريفه وإنما يريد به البيان بمعناه الواسع ، فالسكاكسي تردد في وضع الالتفات وعمل ابن يعقوب المغربي ذلك بقوله : « فن قلت : لأي وجه خصصت تسميته بعلم المعاني مع أن عدّ الالتفات من البديع أقرب ، لأن حاصل ما فيه أنه يفيد طرافة وحسن طريقة فيصنف إلى لطرافته وإبتداعه ولا يكون الكلام به مطابقاً لمتنقى الحال فلا يكون من علم المعاني ، فضلاً عن كونه يختص بهم فيسونه به دون أهل البديع ؟ قلت : أما كونه من الأحوال التي تذكر في علم المعاني فصحيح كما إذا اقتضى المقام فائدته من طلب مزيد الأصغار لكون الكلام سؤالاً أو مدحاً أو إقامة حجة أو غير ذلك ، فهو من هذا الوجه من علم المعاني . ومن جهة كونه شيئاً لطيفاً مستبعداً يكون من علم البديع . وكثيراً ما يوجد في المعاني مثل هذا لطيفهم ، وأما تخصيص علماء المعاني بالتنسية فلا حرج عليه ، والله أعلم »<sup>(٢٠)</sup> .

ولولا تقسيم السكاكسي لليلغة إلى علومها الثلاثة ما احتاج المغربي وغيره إلى هذا التسهل والاعتراق في التأويل . لأن الالتفات لا يستعمل من غير أن يؤدي معنى فيكون مطابقاً لمتنقى الحال وتكون فيه طرافة وملاوة . إن الانتقال من أسلوب إلى آخر لا يكون ، إلا إذا اقتضى الحال ذلك وأريد

(١٦) مفتاح العلوم ص ٩٥ .

(١٧) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ .

(١٨) الكشف ج ١ ص ١١ .

(١٩) مواهب الفتح ج ١ ص ٤٦٤ .

به نوع من الإبداع والتمعة الفنية ، ولذلك ينطبق عليه تعريفاً علم المعاني وعلم البديع ، أي أنه من مقاصد الكلام وأساليب التعبير . قصد قار المتأخرون إلى الاكتشاف هذه النظرة الجامدة ، فهو من البديع إن كان تحسينه عرضياً ، ومن المعاني إن كان تحسينه ذاتياً ، وأشار السوقي إلى هذه المسألة فقال : « وأعلم أن المحسنات البديعية إما يكون تحسينه عرضياً إذا اعتبرت من حيث أنها معصنة وهي من هذه الجهة يبحث عنها فني علم البديع . وإما إذا اعتبرت من حيث أنها مطابقة لمقتضى الحال لكون الحسان اقتضاها كانت موجبة للحسن الذاتي ومن هذه الجهة يبحث عنها فني علم المعاني . ولهذا ذكر المصنف فيه الاكتشافات الذي هو من المحسنات البديعية »<sup>(٢٠)</sup> . وقال المغربي : « إن البديعيات إذا قصد بها مناسبة الأحوال التي أوردت لأجلها عادت معاني . والمعاني إذا دُخل عن تلك المناسبات فيها وأُتي بها لأجل طرائقها فقط كانت بديعيات »<sup>(٢١)</sup> . وليس وراء هذا النزاع كبير فائدة لأن كل فن بديعي إذا استعمل بدقة وعناية ووضع الوضع الذي يقتضيه المعنى كان جيلاً سواء عدّ تحسينه عرضياً أم ذاتياً .

وجاء بعد القزويني أصحاب البديعيات ولكنهم لم يرددوا بالبديع المحسنات المعنوية والتفنية وحدها وإنما فنون البلاغة كلها أي أنه خضعهم كانت قريبة من نظرة ابن المعتز وأبي هلال العسكري وابن رشيق وأسامة ابن منقذ . ولم تؤثر البديعيات كثيراً في البحث البلاغي ، وساد منهج السداسي والقزويني وشرائح التلخيص ، وأصبح البديع طامساً بالمحسنات التي يؤتمن بها لتحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضع سوح الدلالة . وحاول المحدثون أن يحددوا في منوع البديع وصنفوا فنونه تصنيفاً جديداً يقوم على جمع الأشياء والنظائر ومنهم أورد مرقص الذي ردّها إلى الموافقة ، والمطابقة ، والترتيب والمبالغة . والاستعراج ، والتلخيص ، وحسن التعليل ،

(٢٠) حاشية السوقي ج ١ ص ١٢١ .

(٢١) مواهب الفتح ج ٢ ص ٢٢٤ .

والإيهام ، والتعقيق ، والتوليد ، والكلام الجامع<sup>(٢٢٢)</sup> . وأدخل في  
 المخالفة - مثلاً - الطباق ، والمقابلة ، والإيهام التفسيد ،  
 والمخالفة والعكس والتفريق والسلب والإيجاب والرجوع والاستفراك .  
 ومنهم أنيس المقدسي الذي ردها إلى ستة أبواب هي : التعادل ، والتواظر  
 اللطفي ، والتواظر المعنوي ، والمغايرة ، والخروج عن المعتاد ، والإيهام إلى  
 الغرض<sup>(٢٢٣)</sup> . وأدخل في التعادل - مثلاً - التوازن والمناسبة والسجع  
 والتسيط والترصيع والتسازوج . وهذا أقرب إلى ما ذكره الجلباسي الذي  
 حصر البلاغة في عشرة أبواب هي : الإيجاز - والتخييل ، والأشارة ،  
 والمبالغة ، والرصد ، والمظاهرة ، والتوضيح ، والاتساع ، والاختصاص ،  
 والتكرير . وذكر في الرصد - مثلاً - الأرصاء والمقابلة والاتصالات  
 والتقسيم والتسهيل .

ووزع المرحوم أمين الخولي بعض فنون البديع على هذه أبواب  
 فذكر في الكلمة من حيث هي عنصر لغوي : الجنس ، والسجع ، والترصيع .  
 والتصريح ، ورد العجز على الصدر ، ولزوم ما لا يزم . ووضع في الكلمة  
 - من حيث هي جزء الجملة - الائتلاف ووضع في صور الإيضاح المعان القتب  
 وأسلوب الحكيم والمبالغة وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتدبيح والتهميش  
 والالباب والتجكم والتجامل ، ووضع في صور التعبير المضللة السرمز  
 والإيهام ، والالغاز ، والتورية والاستخفاً والاتساع<sup>(٢٢٤)</sup> . وهذا توزيع  
 طريف وإن كان أسلوب الحكيم - مثلاً - ليس من صور الإيضاح المعان  
 وإنما هو من صور التعبير المضللة . ويبقى رأي الخولي - بعد ذلك - أقرب  
 الآراء في توزيع فنون البديع وإن لم يكن الأخير .

### التطبيق :

ليس في كتب البلاغة المتأخرة ما يضع كثيراً في دراسة فنون البيان

(٢٢٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد التاسع عشر من ١٤٨١ .

(٢٢٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ( المجلد الثلاثون ) من ١٣٥٠ .

(٢٢٤) في القول من ٢١٧ - ٢٢٢ .



والبدیع لأن أصحابها كالكساكي والخطيب والتزويشي وسعد الدين الشاذلي وبنو الدين السبكي وابن يعقوب المغربي والدسوقي أرسنوا في التقسيم وضبط القواعد والافلال من الأمثلة وتحليلها . ولعل العودة إلى الكتب التي تقدمتها كأثر السائر لابن الأثير ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبدالقاهر تنفي عن هذه الكتب التأخر ، وترجع إلى البلاغة العربية أصالتها ، لأن ابن الأثير وعبدالقاهر اعتمدا على التحليل العلمي أولا وعلى الذوق السليم ثانيا ، أي أن القاعدة والذوق كانا أساس الابداع في كتبها . والوقوف على هذه الكتب يرد البحث البلاغي بالجدة والخرافة ، ويقود إلى عمل نقدي خلّاق يدع فيه الناقذ أيما ابداع .

لقد تحدث السكاكي عن التشبيه وقال إنه « مستدع طرفين مشبها ومشبهاً به واشتركا بينهما من وجه واختراق من آخر » مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس . فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولاً وقصراً ، والثاني كالطريقين إذا اختلفا حقيقة انشأاً وفرجاً . وإلا فأت خبر بأن ارضاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعين يأتي التمدد فيطل التشبيه ، لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً بشاؤكه المنسب في أمر ، والشيء لا يوصف بنفسه كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف ، وإن التشبيه لا يصر إليه إلا لفرض وإن حاله تفاوت بين القرب والبعد ، وبين القول والرد<sup>(٢٥)</sup> . وهذا هو معنى التشبيه عند البلاغيين غير أن السكاكي أسرف في التقسيمات والنظر إلى هذا الفن نظرة عقلية ، وتحدث عن طرفيه ووجه الشبه والفرض منه وأحواله . وليس الغريب مثل هذا التحصيل ولكن الغريب أنه لم يظهر وجهة التشبيه والتشليل مثلاً أظهرها عبدالقاهر الذي قسم التشبيه إلى ضربين<sup>(٢٦)</sup> :

(٢٥) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(٢٦) أسرار البلاغة ص ٨٠ .

الأول : أن يكون من جهة أمر يثبت لا يحتاج فيه الى تأويل مشيئ أن يشبه الشيء إذا استعار بالكرة ، أو أن تجعل الصورة واللون ممثلاً كقول الشاعر :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنفود ملائحية حين سورها  
الآخر : أن يكون الشيء محصلاً بضرب من التأويل مثل : « هذه حجة كالتس في الظهور » وقد شبهت الحجة من جهة ظهورها ، ولكن هذا التشبيه لا يتم إلا بتأويل - قال « حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين وبين رؤيتها ، ولذلك يظهر الشيء لك ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب أو لم يكن بينك وبينه ذلك الحجاب - ثم تقول ان الشبهة قد ير الحجاب فيما يدرك بالمعقول لأنها تمنع القلب رؤية ماهي شبهة فيه كسما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من وراءه ، ولذلك توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذي يسروم القلب ادراكه ويصرف فكره للوصول اليه من صحة حكم أو فساد » فاما ارجحت الشبهة وحصل العلم بمعنى الكلام الذي هو الحجة على صحة ما ادعى من الحكم قيل : « هذا ظاهر كالتس » أي ليس هنا مانع عن العلم به ولا للتوقف والشك فيه مبالغ ، وان المنكر له إما مدخول في عقله أو جهاد مباحة ومصرف في المناد ، كما ان الشبهة الطائفة لا يشك فيها ذو بصير ولا يشكرها إلا من لا غرر له في انكاره - فقد احتجت نفسي بتحصيل الشبه الذي أثبت بين الحجة والشمس التي مثل هذا التأويل كما تسرى » (٢٧) .

وما طريقه التأويل يشاوت تشارباً شديداً ، فمنه ما يضرب مأخوذة ويسهل الوصول اليه ويعطي المفادة طوعاً حتى انه يكاد يتداخل الضرب الأول الذي ليس من التأويل في شيء ، ومنه ما يحتاج فيه الى قلر من

التأمل ، ومنه ما يطق ويضطر حتى يحتاج في استخراجها الى فضل روية  
ولطف فكرة ، وفي ذلك مجال واسع للتفنن في القول ووصول الى أرفع  
فنون التشبيه وهو التشيل الذي يكون وجه التشبه فيه عظيماً مفرداً أو  
مركباً غير حقيقي ومحتاجاً في تحصيله الى تأويل كتقول ابن المعتز :

اصبر على متفقير الحشو د ، فان صبرك قاله  
فانصار تاكل بمضغها إن لم تجهد ما تاكله  
وقول صالح بن عبد القدوس :

وإن من أدبته في المطبا كالغود يشقى الماء في غرمه  
حتى تراء مؤرقاً فاضراً بعد الذي ابتصرت من ببه  
وهذه الأبيات تحتاج الى تأويل ولا تخفى الصلة بين الأطراف إلا بطرب  
من التأمل وإطالة النظر .

والتشيل الذي هو أولى أن يسمى كذلك ما لا يحصل إلا من جملة  
من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى أن التشبيه كلما أو غل في كونه  
عظيماً محضاً كانت الحاجة الى الجملة أكثر كقوله تعالى : « إنا مثل الحياض  
الديا كياء أنزلنا من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس  
والأنعام حتى إذا اتخذت الأرض زخرفتها وأزءبكت وطمس أهلها  
أنهم قادرون عليها إماها امرأة ليلاً أو نهاراً فبطنها حصيداً كأن لم  
تغن بالأمس » (٢٨) . فقد كثرت الجمل حتى أننا نرى في هذه الآية  
الكريمة عشر جمل إذا فصلت ، والتشبيه منتشر من مجموعها من  
غير أن يمكن فصل بعضها من بعض ولا حذف شيء منها ، فلو حذف  
جملة واحدة من أي موضع كان أخل ذلك بالمعنى من التشبيه وفرد  
الصورة المركبة . ولا ينبغي أن تعد الجمل في هذا النحو بعد التشبيهات

التي يضم بعضها الى بعض والأمراض الكثيرة التي كل واحد منها متفرّد  
بنفسه بل بعدد جيلة تشكّل ثانية منها على أوّلة وثالثة على ثانية وهكذا .  
لأن ما كان من هذا الجنس لم ترتب فيه العجل ترتيباً مخصوصاً حتى يجب  
أن تكون هذه سابقة وتمتدّ لآلية لها والثالثة بعدها . فلي قولنا : « زيد  
كذلك بآسأ ، والبحر جوداً ، والسيف مضاء » ، والبدن بهاء » لا ينبغي أن  
ترتبه هذا الترتيب دائماً بل نستطيع أن نقدم ونؤخر فيه من غير أن تخلط  
الصورة ، وكذلك قول الشاعر :

الشعرُ ميسكٌ والوجهُ دنا      نيرٌ وأطرافُ الأكفِ غسَمٌ

نستطيع أن نرتبه ترتيباً آخر لولا الوزن ولا نستطيع ذلك في الآية ،  
لأن كل جزء فيها يقود الى الجزء الذي يليه .

ومن أروع صور التحليل عند عبدالقاهر كلامه على التشيل ، وهو  
على وجهين (٢٩) :

الآول : أن يبيّن في أعقاب المعاني .

الآخر : أن يبرز المعنى باختصار في مرضه وينقل عن صورته الأصلية  
الى صورته . قال : « واعلم أن ما اتفق العذراء عليه أنّ التشيل إذا جاء  
في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في مرضه ونقلت عن صورته  
الأصلية الى صورته كمنها آية وكسبها متبّة ورفع من اقتارها ونسب من  
فارها وضاعف قوامها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب اليها واستثار لها  
من أنماهي الاقنعة صياغة وكلها وقصر الطباع على أن تعطىها محبة وشغفا .  
فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم ، وإن كان دماً كان مثله أوجع ، وإن كان  
حبيبا كان برهانه أنور ، وإن كان اقتضاراً كان شأوه أمد » ، وإن كان اعتذاراً  
كان الى القبول أقرب ، وإن كان وعظاً كان أشقى للصدر ، وهكذا الحكم

(٢٩) أسرار البلاغة ص ١٠١ وما بعدها .

إذا استقرت لنون القول وضروبه وتبعت أبوابه وشعوبه وإن أردت أن تعرف ذلك وإن كان نقل الحاجة فيه إلى التعريف ويستغني في الوضوح عليه عن التوقيف فانظر إلى نعر قول البحري :

دائر على أيدي العصفاء وشامع " عن كل ند في الندى وششمير كاليد الطرطة في العلوة وضوءه للعصبة السارمين جنة قريصير وفكر في حاله وحال المعنى منك وأنت في البيت الأول لم تنس إلى الثاني ولم تدبر قصره إياه وتشبه له فيما يلي الإنسان عيناء وسؤدي إليه ناضراء ثم فيها على العدل وقد وقت عليه وامت طرفيه فسمعت تعلم بعد ما بين حالتك وشدة تفاوتها في تسكن المعنى لديك وتعييه إليه وتبته في نفسك وتولجيه لانسك وتحكم لي بالصنن فيما قلت والحق فيما ادعيت " . فالتشيل يبل ويجرد بمقتل تأثيره في النفوس وليس لنا التأثير أسباب وعمل ، فأول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي ونائبها يصريح بعد مكثي وإن تردنا في انشراح تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأه أعلم ونشأ به في المرفقة أحكم ، وهو أن تنقلها عن العقل إلى الأحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة النبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في البوة والاستحكام . وبلوغ الثقة فيه غاية التمام كما قالوا : « ليس بالخبر كالمدينة » و « لا الشن كاليقين » فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأنس ، أي الأنس من جهة الاستحكام والقوة .

وضرب آخر من الأنس وهو ما يوجهه تقدم الآف كما قيل : « ما الحب إلا للحبيب الأول » ، ومعلوم أن العلم الأول أنس النفس أولاً عن طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة النظر والروية فهو إذن أشق بها وأقوى لديها ذمها وأقدم لها صحة وأكد عندنا حرمة . فأت إذن مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى في نفسك

غير مثل ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ثم يكشف الحجاب  
ويقول : ها هو ذا فأبصره تجده على ما وصفت .

والعالي التي يجيء التشيل في عقبها على ضربين :

الأول : غريب بدیع يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه واستحالة  
وجوده وذلك نحو قول النبي :

فإن تكشف الأمانم وأنت منهم فإن المسكك بعضن دهر العزال

الآخر : أن لا يكون المعنى المثل غريباً يحتاج في دعوى كونه على  
الحيطة الى بينة وجبة وإثبات كقول الشاعر :

فأصبحت من ليلي الغداة كفاظير على الماء خاتة فروج الأصابع

فائدة التشيل وسبب الانس في الضرب الأول بين لائح لأنه يفيد  
فيه الصحة وينفي الريب والشك ويؤمن صاحبه من تكذيب المخالف وتهجم  
الشكر وتهكم المعارض . وأما الضرب الثاني فإن التشيل وإن كان لا يفيد  
فيه هذا الضرب من الفائدة فهو يفيد أمراً آخر يجري مجراه وذلك أن  
الوصف كما يحتاج الى إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه وزيادة  
الثبت والتقرير في ذاته وأصله فقد يحتاج الى بيان المقدار فيه ووضع  
قياس من غيره يكشف عن حدته ومبلغه في القوة والضعف والزيادة  
والنقصان .

وسبب ثالث موجب لهذا الحسن وذلك التأثير هو أن لتصور الشبه من  
الشيء في غير جنسه وشكله والنقاط ذلك له من غير محله واجتلابه اليه  
من النيف البعيد باباً آخر من الطرق واللفظ ومنهجا من مذاهب الأعيان  
لا يختص موضع من العقل . وأحضر شاهد على هذا أن تنظر الى تشبيه  
الشاهدات بعضها ببعض فإن التشبيهات سواء كانت مشتركة أم خاصة  
مقصورة على قائل دون قائل تراها لا يقع بها اعتناء ولا يكون لها موقع من  
السامعين ولا تبرز ولا تحرك حتى يكون الشبه مقرواً بين شيئين مختلفين في

الجنس . فتشبه العين بالترجس عامي مشترك معروف في أجسام الناس  
جار في جميع العادات ، وأنت ترى بعد ما بين العينين وبينه من حيث  
الجنس ، وتشبه الثريا بما شبهت به من عقود الكرم المنسور ، والجسام  
المنفض والوشاح المفصل وأشباه ذلك خاصي ، والتباين بين المنبه والمنبه  
به في الجنس على ما لا يخفى . وهكذا إذا استقرت التشبيهات وجددت  
التباعد بين الشئين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب وكانت النفوس  
لها أطرب وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب . وذلك أن موضع  
الاستحسان ومكان الاستطراف والمثير للدين من الأرتياح وأشائف لتناثر  
من المرأة والمؤلف لأطراف البهجة التي ترى بها الشئين مثلين متباينين  
ومؤلفين مختلفين وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض وفي خلقة  
الإنسان وخلال الروض ، وهكذا طرائف تشال ذيك إذا فصلت هذه  
الجملة وتبعت هذه اللوحة ، ولذلك تجد تشبيه البنفسج في قوله :

ولا زوردية ترهبو بزورقتها بين الرياض على حشر الياقوت  
كأثها فون قامات شعثن بها أوائل النار في أطراف كبريت  
أغرب وأعجب وأحق بالولوع وأجدر من تشبيه الترجس بمذاهن در  
حشوهن عقيق ، لأنه أراك شبا نبات غضى يرف وأوراق رطبة ترى الماء  
منها يشف من لب نار في جسم مستوكر عليه اليبس وبادر فيه الكلف .  
ومبنى الطباع وموضوع الجملة على أن الشئ إذا ظهر من مكان لم يشهد ظهوره  
وخرج من موضع لم يسمعن له كانت صبابة النفوس به أكثر وكان  
بالشف منه أجدر .

وإذا ثبت هذا الأصل وهو أن تصوير الشبه بين المختلفين في الجنس  
ما يحرك قوى الاستحسان ويثير الكامن من الاستطراف فإن التشبيل  
أخص شيء بهذا الشأن وأسبق جأر في هذا الرهان . وهل تشك في أنه  
يصل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق

والقرب ويجمع ما بين الشتم والمروق ، وهو يريك للعناني المشقة بالأوهام  
شبهاً في الأشخاص المماثلة والأشباح القائمة وينطق لك الأخرى ويعطيك  
البيان من الأصم ويريك الحياة في الجساد ويريك الثام عين الانسداد  
فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين .

وسبب رابع لهذا الحسن والتأثير هو أن المعنى إذا أتاك مثلاً فصور  
في الأكثر يتجلي لك بعد أن يحوجك الى طلبه بالتمككة وتحريك الخاطر له  
والهمة في طلبه ، وما كان منه الطف كان امتناعه عليك أكثر وإثارة  
أظهر واحتجابه أشد . ومن المركوز في الطباع أن الشيء إذا نيل  
بعد الطلب له أو الاستيقاق اليه ومعاذة العين لحوه كان إليه أحلى وبالمزية  
أولى فكان موقفه من النفس أجل والطف وكأنت به أضى واشغف ، ولذلك  
ضرب المثل لكل مالطف موقفه ببره الماء على الظأ كما قال القطامي :  
وهنَّ يَتَبَذَّنُ من قوله يُصَيِّشُ به "مواقع" الماء من ذي الغلثة الصادي  
وأشياء ذلك ما ينال بعد مكابدة العجبة اليه وتقدم المطالبة من  
النفس به .

ومضى عبدالقاهر في تحليل التشيل وكشف عن جلاله وتأثيره في  
النفوس ، وعرض لنصاحته وبلافته وقال إن نصاحته عظيمة أو معنوية  
لا لفظية ، وذلك « أنه ليس من عاقل يشك إننا نقرأ في كتاب يزيد بن الوليد  
الى مروان بن محمد حين بلغه أنه يتكلم في بيعته : « أما بعد فإني أراك  
تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعلم على أيها شئت  
والسلام » . يعلم أن المعنى أنه يقول له : « بلغني أنك في أمر البيعة بسى  
رأين مختلفين ، ترى تارة أن تباع وأخرى أن تشتت من البيعة ، فإذا  
أتاك كتابي هذا فاعلم على أي الرأي شئت » . وإن لم يعرف ذلك من  
لفظ التقديم والتأخير أو من لفظ الرجل ولكن بأن علم أنه لا معنى لتقديم  
الرجل وتأخيرها من رجل يمشى الى البيعة ، وإن المثل على أنه أراد أن



يقول : «إن مثلك في ترددك في أن تباع وبين أن تمتنع مثل رجل قائم ليذهب في أمر فجمعت نفسه توبه تارة» أن الصواب في أن يذهب والآخرى أنه في أن لا يذهب فجعل يقدم رجلاً تارة ويؤخر أخرى . . . وهكذا كل كلام كان ضرب مثل لا يقتضي على من له أدنى تمييز أن الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الالتباس ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلة على الأغراض والمقاصد» (٢٠) .

ومثال آخر هو الاستعارة التي تعد أهم صور التخييل ، وقد بحثها البلاغيون بصورة مختلفة ، ولكن منهج السكاكي في بحثها ساد الدراسات البلاغية وأحاطها قواعد لا تقني كثيراً وأتساعاً يضل الدارس فيها . . . وكسان معاصره ابن الأثير أبعد منه عن القواعد والتقسيمات فقد نظر إليها نظرة تعتمد على الفوق ولم يحكم فيها الأصول المنطقية والتحليلات العقلية ، وعلق على قوله تعالى : «الزكوة» أثراء اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور» (٢١) بقوله :

«فالظلمات والنور استعارة للكفر والأيان أو الضلال والهدى والمستعار له مطوي» الذكر كانه قال : لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة إلى الأيأن الذي هو كالنور» (٢٢) . وقال بعد أن ذكر آيات ذلك الجن :

لما عرفت الي عن حقائقها وبسكنت عن مفتاح الشوارد وتحكمت بين فطيب بلذ أهيمر وكثيب رمثل عقدة الزنار عصرت خدي في الثرى لك طائفا وعزمت فيك على دخول النار وهذه الآيات لا تجد لها في الحسن شريكا ولأن يسى قائمها شعوراً وأولى من أن يسى ديك» (٢٣) . وقال بعد آيات ذلك الجن الأخرى :

(٢٠) دلائل الإعجاز ص ٢٢٨ .

(٢١) سورة إبراهيم ، الآية ١ .

(٢٢) الملل السائر ج ١ ص ٢٧٤ . (٢٣) الملل السائر ج ١ ص ٢٧٧ .

لا ومكان الصليب في النهر مثلك ومجرى الزوار في القفصر  
والخال في الخد إذ أثبتته وروضة مستكة على نوري نير  
وحاجب منذ حطه قلمك إلى حشون بحر البهاء لا الجسر  
واقصوان بغيرك منتظم على شبيه من رائق الضر  
« فالبيت الرابع هو المخصوص بالاستعارة ، والمستعار له هو  
النهر والرياق » (٢٤) .

وليس في هذا التحليل عيب ولكنه يستند على الذوق ويوضح عن  
الهدف بأقرب عبارة . وكان تحليل عبدالقاهر للاستعارة أعنى وأقرب  
إلى المنهج القوي المتند على العلاقات بين الكلم ، قال عن : « وسالت  
باعتناق المظي الأبطالح » : « وليست القرابة في قوله : « وسالت  
المظي الأبطالح » على هذه الجبلة وذلك أنه لم ينرب لأن جعل المظي في سرعة  
سيرها وسهولته كالماء يجري في الأبطالح فإن هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن  
الدقة واللفظ في خصوصية آحادها بأن جعل « سال » فعلاً للأبطالح ثم  
عداه بالباء ثم بأن أدخل الاعتناق في البيت فقال : « باعتناق المظي » ولم  
يقل بالمظي ، ولو قال : « سالت المظي في الأبطالح » لم يكن شيئاً . وكذلك  
القرابة في البيت الآخر ليس في مطلق معنى « سال » ولكن في تعديته بـ « على »  
والباء ، وبأن جعل فعلاً لقوله « شعاب الحي » . ولولا هذه الأمور كلها  
لم يكن هذا الحسن ، وهذا موضع يندق فيه الكلام » (٢٥) . وهذا تحليل  
لقوي أظهر روعة الاستعارة . وقد طرأ عبدالقاهر هذه الاستعارة تحليلاً  
آخر وصور المعنى مجسداً في الأبيات :

ولما قضينا من ميني كل حاجة ومسح بالاركان من هو مسح  
وشدت على دشمة المهاري رحلتا ولم ينظر القادي الذي هو رائج  
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت باعتناق المظي الأبطالح

(٢٤) النمل السائر ج ١ ص ٣٧٧ . (٢٥) دلائل الإعجاز ص ٦٠ .

قال : « انظر هل تجد لاستحسانهم وحسنهم وثباتهم ومنهجهم منصرفاً  
إلا الى استعارة وقد تموقعها وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل  
معها البيان حتى وصل المعنى الى القلب وصول النقط الى السمع واستقر في  
الضمير مع وقوع العبارة في الاذن . وإلا الى سلامة الكلام من العضو  
غير المفيد ، والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد وشيء داخل المصاني  
المقصودة مداخلة الطفيلي الذي يستغل مكانه والأجنبي الذي يكره  
حضوره ، وسلامته من التقصير الذي يفترق مع السامع الى طلب زيادة  
بقيت في نفس المتكلم فلم يدل عليها بنقطة الخاص بها واعتمد دليل حال  
غير مفسح أو زيادة مذكور ليس لتلك النيابة يستصلح . وذلك ان أول  
ما يتفكك من محاسن هذا الشعر انه قال : « ولما قضينا من متى كل حاجة »  
فعبّر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسنتها من طريق  
أمكنه أن يختصر مع النقط وهو طريقة الصوم ثم نبّه بقوله : « ومسح  
بالأركان من هو مسح » على طواف الوضوء الذي هو آخر الأركان ودليل  
المسح الذي هو مقصوده من الشعر ، ثم قال : « أخذنا بأطراف الأحاديث  
بيننا » فوصل يذكر مسح الأركان ما وليه من زم الركاب وركوب الركبان .  
ثم دلّ بنقطة « الأطراف » على الصفة التي يضمن بها الرفاق في السفر  
من التصرف في فنون القول وتجنون الحديث أو ما هو عادة المتطوفين من  
الإشارة والتلويح والرمز والإيحاء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة  
النشاط وفضل الانقياد كما توجه ألفة الاصحاب وألفة الاحباب ،  
وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الآيات وتنسّم  
روائح الأجر والأوطان واستبجع التهاشي والتخاضع من الخلال  
والإخوان ثم ران ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها من فصل التنبيه وأفاد  
كثيراً من التوائده بلطف الوحي والتنبيه ، فصرّح أولاً بما أومأ اليه فسي  
الأخذ بأطراف الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل وفي  
حال التوجه الى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ووطأة الظهر ، إذ جعل

سلامة سيرها بهم كالماء تسيل به الأبطالع ، وكان في ذلك ما يؤكد ما قيسه  
لأن الظهور إذا كانت وطيفة وكان سيرها السير السهل السرح زاد ذلك في  
تشاط الركبان . ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا . ثم قال : « بأعني  
المطي » ولم يقل « بالمطي » لأن السرعة والبطء يظهران غالب في أعيننا  
وبين أمرها من هوائها وصدورها ، وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة  
وتتبعها في الثقل والخفة ويمرر من المرح والتسلسل إذا كان في أعينها  
بأنواع لها خاصة في العنق والرأس وبذلك طيفها بشمال مخصصة في  
التسليم » (٣٦) .

هذه صورة لتحليل عبدالقاهر وإن كان متأثراً فيه بإبن جني (٣٧) ،  
وقد ظهر فيه روعة الاستعارة والعلاقة بين الجمل التي أحدثت مشاهد  
لايحصي بها إلا من شهد موسم الحج وناق حلاوة التسوق إلى الأهل  
والأوطان . وكان ابن قتيبة قد عثر على الأبيات نظرة تختلف عن نظرة  
ابن جني وعبدالقاهر ورأى أنها ما حسن نظره وطب وليس وراء ذلك كبير  
معنى . قال : « هذه الألفاظ - كما ترى - أحسن شيء مخرج ومطالع  
ومقاطع ، وإذا عثرت على ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلذنا  
الأركان وعالينا أبننا الأضواء ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح . ابتداء  
في الحديث وسارت المطي في الأبطح » (٣٨)

وفرق كبير بين هذا التحليل وتحليل ابن جني وعبدالقاهر المدين  
جسدا المعنى تجسيدا . وجعلنا السامع يتردد للأبيات ويشرب التسوق إلى  
موقف الحج وطواف الرءاع والناهب للعودة إلى الأهل والوطن . وفي ذلك  
تأثير للاستعارة التي تجلت في الأبيات ، وهي استعارة جاءت من ارتباط  
الكلم وأخذ بعضه بأطراف بعضه الآخر .

(٣٦) أسرار البلاغة ص ٢٩ - ٢٢ .

(٣٧) الخصائص ج ١ ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

(٣٨) الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦-٦٧ .

ولست فنون البديع بأقل أهمية من فنون البيان ، لقد حفل الشعر الجاهلي وكتاب الله العزيز وحديث الرسول الكريم والشعر الإسلامي بصور كثيرة منه ، فالمطابقة والمذهب الكلامي والمبالغة وغيرها من المحسنات المعنوية يتطلبها المعنى ويتغنىها التعميم، والجناس والسجع والموازنة وغيرها من المحسنات الشكلية تثير في النفس مالا يثيره الكلام حينما يجيء خلوًا من غلب الإقفاط . ولعل الذي جعل الأدباء والنقاد ينفرون من صور البديع هو ما أسرف فيه المتأخرون من الإكثار منها والتسابق في إيجاد الروان جديدة لا يقبلها الذوق الرفيع . وكان الأوائل قد اكتفوا بما له أثر في الكلام ، وتوضح ذلك في كتاب « بديع القرآن » لابن أبي الأصبح المصري الذي جسع كثيراً من فنون البديع التي جاءت في كتاب الله وكان لها موقع حسن وبيان بليغ . وأعمل الخطيب القزويني كثيراً مما كان شائعاً في عصره لأنه لم يجد فيها روعة وجسالا ، قال بعد أن اكتمل من بحث البديع : « وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين منها ما يدين أصالة لأحد سيبين لعدم دخوله فسي من البلاغة فهو ما يرجع في التحسين إلى الخط دون النقط مع أنه لا يخلو من التكلف ككون الكتبتين متماثلتين في النقط وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة واحداً ما لا أثر له في التحسين كما يسمى التريديد . أو لعدم جدواؤه فهو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه كما سماء الإيضاح فإنه في الحقيقة راجع إلى الألفاظ . أو خلق فيه ، كما سماء حسن البيان» (٢٧) .

ومثال فنون البديع الجنس أو التمجيس وهو غني اعتم به البلاغيون والنقاد ، ووضعه ابن المعتز ثاني فنون بديع النسبة وقال : « وأن نجبي» الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام» (٢٨) . واعتم به عبد القاهر وأشار إلى بعض أنواعه وذكر أنه لا يحسن إلا إذا اقتضاه المعنى وتطلبه . قال : « فأنك لا تجد تجنيساً مقبولا ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي

(٢٧) البديع ص ٢٥ .

(٢٨) الإيضاح ص ٤٠ .

طلبه واستعداد وساق نحوه ، وحتى تجده لا ينبغي به بدلا ولا تجد عنه  
حولا . ومن هنا كان أحلي تجنيس تسعة وأغلاء وأحقه بالحسن وأولاده  
ما وقع من غير قصد من المتكلم الى اجلابه وقاهب لطلبه ، أو ما هو لحسن  
ملاسته — وإن كان مطلوبا — بهذه المثلثوني هذا الصورة وذلك كما يستلزم  
به أبداً من قول الشافعي — رحمه الله تعالى — وقد سئل عن النبي فقال :

« أجمع أهل الحرمين على تحريمه » . وما تجده كذلك قول البحري :

يحض عن المجد القبي والسن ترى في سؤدد أرباً لغير أرب

وقال : « فإن ساعدك الجد كما ساعد في قوله : « أو دعاني أمت بما  
أو دعاني » وكما ساعد أبا تمام في نحو قوله :

وأجدثتم من بعد إتهام داركم قيادتم » أتجدني على ساكني تجدر

لذلك ، وإلا أطلقت السنة العيب وأقضى بك طلب الأخصان من حيث

ثم يحسن الطلب الى أحسن الاساءة وأكبر الذنب » . وعمل جبال الجناس

بقوله : « أما التجنيس فافك لا تسحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع

معنيهما من العقل موقفاً حيداً وإلا يمكن رمي الجامع بينهما رمي بعيدا .

أراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

« هَبَّتْ بِذِهِ السَّاحَةُ فَاتُوتُ فِيهِ الطُّنُونُ » « مَذْهَبٌ » أم مَذْهَبٌ

واستحسن تجنيس القائل : « حتى لجأ من خوفة وما نجا » وقول

المحدث :

لغراء فينا جنسى فاطسراء أو دعاني أمت بما أو دعاني

لأمر يرجع الى اللفظ ؟ أم لافك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقسوت

في الثاني ؟ ورأيتك لم يرد به مَذْهَبٌ » و « مَذْهَبٌ » على أن اسمك

حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجد لها إلا مجهرولة منكورة ؟ ورأيت الآخر

قد أعاد عليك اللفظة كأنه يندبك عن الفائدة وقد أعطاه ، وبرهناك كأنه لم

يؤكد وقد أحسن الزيادة ووافعا ؛ فهذه السورة صار التجنيس وخصوصا المستوفي منه المثلث في الصورة من جنس الشعر وبذكورا في أقسام البديع » . وقال « وأعلم أن النكتة التي ذكرتها في التجنيس وجعلتها العلة في استجابة القضية وهي حسن الاستفادة مع أن الصورة صورة التكرار والاعادة وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه إلا في المستوفي المثلث الصورة كقوله :

ما مات من كثرهم الزمن فاته      يحيى لدى يحيى بن عبد الله

أو المرنو الجاري هذا المجري كقوله :

أظراء فيما جنى لأظراء      أو دعاني أمت بما أودعاني  
فقد تشعّصوا في غير ذلك من أقسامه أيضا . فما يظهر ذلك فيه ما كان يحق قول أبي تمام :

يدون من أيدٍ عوامهم عوامهم      تصول بأسيافهم قواضير قواضيرهم  
وقول البحتري :

لئن صدقت عث قريحتُ أشتدَّ صرادهم إلى تلك الوجوه الصوادف  
وذلك أنك توهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كاليم من « عوامهم »  
والباء من « قواضير » أنها هي التي مضت وقد أرادت أن تبينك ثانية ونعود  
إليها مؤكدة حتى إذا تمكن في نفسك تمامها ووعى سبك آخرها انصرفت  
عن تلك الأول وزلت عن الذي سبق من التثخيل ، وفي ذلك ما ذكرت لك من  
طروح القائدة بعد أن يخالطك اليأس منها وحصول الرجع بعد أن تخالط فيه  
حتى ترى أنه رأس القل<sup>(١١)</sup> . وهذا أسبق تعليل لجعل الجنس  
وذلك حينما يطلبه المعنى ويستدعيه ، وقد سار التزويجي على خطى عبد الله  
في الحديث عن تأثير هذا الفن وجعله<sup>(١٢)</sup> . وقال السبكسي عن صاحب

(١١) أسرار البلاغة ص ٦ - ١٩ ، دلائل الإعجاز ص ١٠١ - ١٠٣ .

(١٢) الإيضاح ص ٢٨٤ .

« كثر البلاغة » أن أهمية التجنيس هي الميل إلى الاصغاء إليه ، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً واصغاءً إليها . ولأن اللفظ المشترك إذا حصل على معنى ثم جاء المراد به معنى آخر كان للنفس تنسوق إلى<sup>(١٣)</sup> ، ولو نظر البلاغيون إلى هذا الفن كما نظر عبدالقاهر إليه ما أصبح فناً ثقيلاً ، ولأخذ موقفه الصحيح الذي يقتضيه المعنى ويتطلبه الجرس البديع .

وحاول المتحدثون أن يملأوا جمال هذا الفن فقال الدكتور إبراهيم سلامة إنه لا يخرج عن نظرية تداعي المعاني وتداعي الألفاظ في علم النفس . فهناك ألفاظ متفقة كل الاضاق أو بعضها في الجرس وأختها قسي المعنى كما يولد المعنى الأول معنى ثانياً وثالثاً . وهذه الناحية النفسية هي التي تشرح لنا كيف يقع التجنيس للشاعر دون معناه إذا كان ملماً بلغته محسناً بنوعها ، عالماً بتضاريفها واشتقاقاتها<sup>(١٤)</sup> . وأرجع علي الجندي جماله إلى ثلاثة أسباب :

الأول : تناسب الألفاظ في الصورة كنها أو بعضها ، وهو ما يطمئن إليه اللغوي ويرتاح له .

الثاني : التجاوب الموسيقي الصادر من تناثر الكلمات تناثراً كاملاً أو ناقصاً فيطرب الأذن ويزق النفس ويهز أوتار القلوب .

الثالث : التلاعب الإحفاذ الذي يلجأ إليه المجنس لاختلاب الأذهان واختصاع الانتكاس<sup>(١٥)</sup> .

ولا يكاد كلام هذين الباحثين يخرج عما ذهب إليه عبدالقاهر وإن استخدمنا المصطلحات الحديثة كتداعي الألفاظ وتداعي المعاني والتجاوب

(١٣) عروس الأفراح ج١ ص ١١٢ .

(١٤) بلغة أرسطو بين العرب واليونان ص ١١٧ .

(١٥) فن الجشاس ص ٢٩ .



ومثال آخر من فنون البديع هو « حسن التعليل » وذلك « أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي »<sup>(١٦)</sup> . وهذا الفن من التعليل عند عبدالقاهر ، قال : « ونوع آخر وهو أن يدعى في الصفة الثابتة للشيء أنه إنما كان لعله يضعها الشاعر ويختلفها إما لأمر يرجع إلى تنظيم المدح أو تعظيم أمر من الأمور »<sup>(١٧)</sup> . ومن الغريب في ذلك قول القاهر :

لو لم تكن قبة الجوزاء خيد<sup>١</sup> منه لما رأيت عليها عي<sup>٢</sup>د<sup>٣</sup> منسطق<sup>٤</sup>  
فقد عكس اجتماع النجوم حول الجوزاء بأنها استعداد لخدمة المدح  
والأ<sup>٥</sup> لما انتظم ذلك الانتظام . ومنه قول المتنبي :

لم تحبك<sup>١</sup> فأفلك<sup>٢</sup> السحاب<sup>٣</sup> وإنما حبكت به فصبها الرشضاء<sup>٤</sup>  
فالسحاب لم تنزل المطر لأنها حبكت من نال المدح وكرمه فكانت كالعرق  
الذي يصب من جسم المصوم . وقد تكون للشيء علة مشهورة عن  
طريق العادات والطباع ، ثم يجيء الشاعر فيمنع أن يكون لتلك العلة  
المعروفة ويضع له علة أخرى كقول المتنبي :

ما به قتل<sup>١</sup> أعاديه ولكن يفتي<sup>٢</sup> إغلاف<sup>٣</sup> ما ترجو الذئاب<sup>٤</sup>  
والمعروف أن قتل الرجل لعدوه يكون للدفاع عن النفس أو حماية الوطن  
ولكن المتنبي لم يذكر هذه العلة وإنما قال إن<sup>٥</sup> سيف الدولة يقتل أعاديه لأجل  
إطعام الذئاب التي وعدوا بأن يقدم لها لحم الأعداء ، وهو فضل ذلك  
لكن لا يختلف وعده .

(١٦) الإيضاح ص ٣٦٧ .

(١٧) أسرار البلاغة ص ٢٥٦ .

ودراسة عبدالقاهر لهذا الفن من أبداع الدراسات القديمة وأحسنها ، ولم يصف اليها أحد ما يكتسبها جدة أو بطورها ، وكل ما فعله الآخرون أنهم لخصوا كلامه وأمثلة ، فالفروزي - مثلاً - قسم حسن التعليل الى أربعة أقسام ؛ لأن الوصف إما ثابت قصد بيان علة أو غير ثابت أريد اثباته ، والاول إما أن لا يظهر له في العادة علة أو يظهر له علة غير المذكورة ، والثاني إما ممكن أو غير ممكن . وكلام عبدالقاهر أقرب من هذا الكلام الى دلالة حسن التعليل لأنه لم يقسم هذا الفن تقسيماً عقلياً ولم يدخل الممكن وغير الممكن ؛ لأن الأمر يتعلق بالتخييل ، والتخييل ربما لا يكون ممكناً . ولذلك جاءت دراسة عبدالقاهر طريقة لهذا الفن الذي يرتبط بالخيال والسبب ذلك أشار المحدثون فقال حامد عبدالقادر : « أما التعليل الأدبي وهو المسمى بحسن التعليل فأساسه الخيال والعاطفة ، والغرض منه التأثير في الوجدان وإدخال السرور على السامع بصفه أو التخفيف من وقع مصيبة أصابته أو شدة ألم ألم به ... أما التعليل العلمي فمردّه الى العقل والتدبر العقلي والبحث في طبائع الأشياء » . وفرق بينهما من جانب آخر فقال : « إن التعليل العلمي لتعليل واقعي موضوعي يرجع فيه العالم الى الواقع والحقيقة ، وإن التعليل الأدبي لتعليل ذاتي نفسي يرجع فيه الأديب الى ذوقه الفني وخياله الأدبي وعاطفته الجمالية » (٢٨) . وهذه نزعة فنية تظهر ما نسي فنون البديع من نعتٍ وصور وتكشف عما وراءها من دلالات غابت عن كثيرين .

(٢٨) دراسات في علم النفس الأدبي ص ٤٩-٥٩ .

## المصادر :

- ١ - أسرار البلاغة - عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق ريتز . استانبول ١٩٥٤م .
- ٢ - الإيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة .
- ٣ - البديع - ابن العنبر . طبعة كرانسكوفسكي . لندن ١٩٣٥م .
- ٤ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ . تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبدالمجيد . القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م .
- ٥ - بديع القرآن - ابن أبي الأصمحم المصري . تحقيق الدكتور حفصي محمد شرف . القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٥٧م .
- ٦ - بلاغة أرسطر بين العرب واليونان - الدكتور ابراهيم سلامة . القاهرة ١٩٥٢م .
- ٧ - التلخيص - الخطيب القزويني . تحقيق عبدالرحمن البرقوقي . القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- ٨ - حاشية الدسوقي على شرح التفاتاني - محمد بن محمد الدسوقي . ( مطبوع في شروح التلخيص - القاهرة ١٩٣٧م ) .
- ٩ - الخصائص - ابن جني . تحقيق محمد علي النجار . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ١٠ - دراسات في علم النفس الأدبي - حامد عبدالقادر . القاهرة ١٩٤٩م .
- ١١ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ .
- ١٢ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٦٦م .
- ١٣ - عروس الأفراح - بهاء الدين السبكي ( مطبوع في شروح التلخيص ) .
- ١٤ - فن الجناس - علي الجندي . القاهرة ١٩٥٤م .
- ١٥ - فن القول - أمين الخولي . القاهرة ١٩٤٧م .
- ١٦ - اكتشاف - جاراك الزمخشري . القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م .
- ١٧ - الجمل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
- ١٨ - مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق .
- ١٩ - الصباح - بدو الدين بن مالك . القاهرة ١٣٤١هـ .
- ٢٠ - مفاتيح العلوم - السكاكي . القاهرة ١٩٣٦م .
- ٢١ - المنزع البديع - أبو محمد القاسم السجلجاسي . تحقيق غلال الفاري . الرباط - المغرب ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .
- ٢٢ - مواهب الفناح - ابن يعقوب المغربي . ( مطبوع في شروح التلخيص ) .



## البلاغة بين المنطق والتنسيق

ليس ما أقوله اليوم جديداً فقد كتبه امس وسأقوله غداً ما نامت اللغة العربية خالقة كخلود العروبة والقرآن . وقد يكون القول أكثر فصاً في هذه الأيام بعد أن أخذت البلاغة تنحصر في المراسلات الحديثة وخيل لبعضهم أن عهداً قد انتهى وأنه قد جاءت مقاييس جديدة هي أحسن مما كان العرب يلجأون اليه ، حتى إذا ظهرت البيوية وفطنت المراسلات القويمة والتفدية عام الباحثون الى البلاغة العربية واتخذوا عبدالقاهر الجرجاني إماماً .

ولست البلاغة ما يلقى حيناً ويرجع اليه أحياناً ؛ لأنها « فن القول » المنفرد بتعبير الكلام العذب منه ويرجع اليه . وكان هذا الفن عبدة المنسر وزاد الإديب وارتبط منذ نشأته بالعجاز وأصبح معلماً من معالم الثقافة ، ولايكاد دارس ينأى عنه وإن آمن بما قلل الى العربية في عهود الازدهار . وما الصدود عنه إلا تنكر للاسالة وإبتعاد عن السبيل القويم ، وليس تجديداً ما يشيع اليوم من قطيعة بينه وبين الفارسين ولا تحرراً ما يرسف في أغلاله قوم أشاعوا لماضي، والجاهل فاذا هم في درب لا يقضي الى مسارب التور .

القيت هذه المحاضرة في مقر الاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين مساء يوم الاربعاء ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٤ الموافق ٢٧ صفر ١٤٠٥ هـ وعرضت في ظفرون بغداد مساء الثلاثاء ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٤ وانتشرت نقاشاً في بعض الجلات والبرائد العراقية مثل مجلة الف باء وجريدة الجمهورية وجريدة بغداد الصادرة بالانكليزية ، ونشرت في مجلة الحقائق عربية ( آذار ١٩٨٥ ) - العدد الثالث .

لقد ظنوا أن البلاغة هي ما قرؤوه في كتب المتأخرين وأنها قواعد صارفية صيغت بأسلوب عقيم ، وأن لا ميسل إلى التطوير والتجديد وما علموا أنها سررت بمراحل كثيرة تطورت خلالها وقلوب بالوران مختلفة وطبعتها مؤثرات اثنتى بعضها من البيئة العربية كالقرآن الكريم واللغة والنحو والأدب ، وازدهر بعضها في سبل العلوم المستحدثة كالمنطق والفلسفة وعلم الكلام . وكان هذان المؤثران : الأسيل والمستحدث سببا في ظهور الاتجاهين مهيمنين في البلاغة العربية هما « المدرسة الكلامية » و « المدرسة الأدبية » . وأهم هذين الاتجاهين أو المدرستين قديم وعقد بك أبو هلال العسكري ( ٣٨٥هـ ) الهما وقال : « وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وإنما قصدي فيه قصد مستأج الكلام من الشعراء والكتاب فلهذا لم أتل الكلام في هذا الفصل »<sup>(١)</sup> . وقال جلال الدين السيوطي ( ٩١١هـ ) وهو يترجم لنفسه « ووزقت البحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمغاني والبيان والبديع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهمل الفلسفة »<sup>(٢)</sup> . ولو لم تكن معالم هذين الاتجاهين واضحة ما صرح أبو هلال بذلك منذ عهد مبكر ولا افتخر السيوطي بأنه درس البلاغة على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة وعلم الكلام . وذلك يؤكد وقوع البلاغة بين المنطق والتدقيق ووضوح بعض السمات لكل اتجاه ، ولعل أهم ما تضاف به طريقة الفلاسفة العناية بالتعديد والتعريف والتقسيم المنطقي والاهتمام بجعل التعريف جامعا مانعا ، واستعمال أساليب الفلسفية والمنطقية في تحديد الموضوعات وتحسينها وحصرها واستعمال الالفاظ الفلسفية والمنطقية والافتقار من الأمثلة الأدبية وتفوقها والطلاق الأحكام العقلية . وأهم ما تسم به طريقة العرب والبلغاء الابتعاد عن التعديد والتقسيم وإن جئنا إلى ذلك فملى غير متفق وهذا والتزام التصحيح التام للأصول المنطقية

(١) كتاب الصنائع ص ٩ .

(٢) حسن الحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج ١ ص ١٥٧ .

وتجنب اقتباس المنطقيات ومبادئ الفلسفة ، وإطلاق الأحكام الأدبية، ولذلك كانت تملأ مرة ولا تستطيع التعليل مرة أخرى ، لأنها ترجع الروعة والجمال إلى الذوق والاحساس الفني<sup>(٢)</sup> .

إن هذين الاتجاهين يمثلان واقع البلاغة العربية في عهد ازدهارها ولكن هل كانت بينهما قطيعة ؟ وهل كان كل اتجاه يسمى بعيداً عن الاتجاه الآخر ؟ لقد كان البلاغي يمزج بين المنهجين في كثير من الأحيان ، لأن الاعتماد على القاعدة وحدها أو على الذوق وحده أمر لا يتحقق في الدراسات المبينة على نظرة علمية ومنهج دقيق ، والبلاغة والتقدم من هذه الدراسات وليسا أحكاماً مطلق من غير وعي أو برهان . فالجناح ( ١٢٥٥ هـ ) - وهو رأس فرقة اعتزالية سيئت الجناطية - يميل إلى الناحية الأدبية ويعتكم الذوق ، وأبو هلال الذي حاول الابتعاد عن طريقة المتكلمين اتجه نحوهم في العرض والتقسيم . وكان عبدالقاهر الجرجاني ( ١٢٧١ هـ أو ١٢٧٤ هـ ) يميل إلى المدرسة الكلامية في كتابه « دلائل الإعجاز » ويتجه إلى المدرسة الأدبية في كتابه « أسرار البلاغة » ويمزج بينهما في كثير من الأحيان . وكان يعين حسن حمزة الطوسي ( ٧٤٩ هـ ) قد جمع بين الاتجاهين في كتابه « الطراز المنضبط لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز » . ولكن على الرغم من هذا الامتزاج كانت هناك كل اتجاه واضحة ، ولعل الموازنة بين متعاصرين هما السكاكي ( ٦٢٦ هـ ) وابن الأثير ( ٦٣٧ هـ ) توضح أوجه الاختلاف بين المبرزين .

قسم الأول البلاغة إلى علمين متميزين هما : علم المعاني وعلم البيان ، وحصر موضوعات كل علم حصراً منطقياً وألحق بها البديع الذي عسده وجوهاً يؤول بها لتزوين الكلام ، وأدخل الأساليب الكلامية والفلسفية في

---

(٢) التفصيل ينظر : البلاغة عند السكاكي ص ١٠١ ، القزويني وشسروح التلخيص ص ٢٥ ، دراسات بلاغية وتقدية ص ١٤ ، البلاغة العربية ص ٢٥ ، البلاغة والتطبيق ص ٢٠ .

معالجة القضايا الأدبية . وقسم الثاني البلاغة الى الصناعة اللفظية وهي الالفاظ وبعض فنون البديع كالجمع والتجنيس والترصيع ولزوم ما لا يلزم والموازنة اختلاف صيغ الالفاظ وانماها والمعاظلة اللفظية والمتافرة بين الالفاظ في السبك . والصناعة المعنوية وهي الاستعارة والتشبيه والتجريد والالفاظ والابجاز والالطاف والتكرار والكناية والسرقات وغيرها . ولم يحصر الموضوعات حصراً منطقياً ولم يدخل الأساليب الكلامية فهي بحث القضايا الأدبية لانه كان ثائراً على تلك الأساليب وكان يعدّ ايضاً سيناً والفارابي وامثالها رجالاً أضلهم أرسطو وأفلاطون .

أما معالجة الموضوعات فتفتح في عرض الاستعارة عندها إذ بدأ السكاكي هذا الفن الذي أدخله في علم البيان بتعريفه قائلاً : « عسى أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدحياً دخول المشبه في جنس المشبه به » <sup>(١)</sup> . فالأولى على ذلك إثباتك للشبه ما يخص المشبه به <sup>(٢)</sup> . ويدخل في هذا التعريف التسمان الاسميان للاستعارة - هما : الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية . وقد أوضح ذلك بالتشليل الذي ذكره بعدد التعرف فقال : « كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع مدحياً أنه من جنس الأسود فثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنس مع سدّ طرق التشبيه باقراده في الذكر » . وهذا مثال التصريحية ، أما المكنية فتألفها كما قال : « أو كما تقول إن الميتة أثبتت أظفارها وأنت تريد بالميتة السبع بادعاء السبعية لها وانكار أن تكون شيئاً غير سبع فثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار » . ثم تحدث عن أقسامها المختلفة وذكر لكل لوناً أمثلة قليلة اقتطع بعضها من أمثلة عبد القاهر .

وبدا ابن الأثير بحث الاستعارة بالكلام على رجوعها الى المعنى لا اللفظ وقسم الجاز الى قسمين : توسع في الكلام وتشبيه ، والتشبيه

ضربان : تشبيه عام وتشبيه محذوف ، فالتشبيه التام أن يذكر المشبه والمشبه به ، والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه دون المشبه به . وفسر قسمن الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة ، وعرف الاستعارة بقوله : « والذي عندي من ذلك أن يقال : حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المقول اليه ، لانه إذا احتز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حدا لها دون التشبيه . وطريقه انك تريد تشبيه الشيء بالشيء مظهراً ومضراً ونجى الى المشبه لخصه اسم المشبه به وتجرى عليه »<sup>(٥)</sup> . ولم يقسم الاستعارة الى أقسامها المعروفة وانما تحدث عن أقسام المجاز التي ذكرها الامام الغزالي وقال إنها ترجع الى ثلاثة أنواع : التوسيع والتشبيه والاستعارة . ثم بدأ بالأمثلة التي يستفيد منها المتعلم ما لا يستفده من ذكر الحد والحقيقة ، وهي أمثلة كثيرة بدأها بقوله تعالى : « الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور »<sup>(٦)</sup> ثم قال : « فالظلمات والنور استعارة للكفر والايان أو للضلال والهدى ، والمستعار له مطوي الذكر كانه قال : لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة الى الايمان الذي هو كالنور »<sup>(٧)</sup> . وهذا تحليل واضح لقوله تعالى يبين الاستعارة فيه بلا استخدام للأساليب العقلية أو الكلامية في العرض والتأويل . وقال مطلقاً على آيات ذلك الجن :

لما ظنرت الي عن حدائق المفا      وبسست عن مفتاح النواجر  
وعقدت بين قضيبين أحييف      وكتيب دكلمر عقدة السزائر  
عشرت خدي في الثرى لك طاماً      وعزيت فيك على دخول المسار

(٥) الملل السائر ج ١ ص ٣٦٥ .

(٦) سورة ابراهيم ، الآية ١ .

(٧) الملل السائر ج ١ ص ٣٧٤ .



« وهذه الآيات لا تجد لها في الحسن شريكاً ، ولأن يسمى قائمها ضرورياً  
أولاً من أن يسمى ديناً »<sup>(٨)</sup> . وقال عن آيات ذلك الجن أيضاً :

« لا مكان الصليب في النحت من ذلك ، ومجرى الزمان في الضمير  
والخال في الضد إذ أثبتته وردة منك على ثرى تبسم  
وتصوّر فيك منظم على نبيه من رائحة الخمر  
« قاليت الرابع هو المخصوص بالاستعارة ، والمستعار له هو التفسير  
والربق »<sup>(٩)</sup> .

وقال عن بيت البحتري :

وصافته في كفه تنكفي بها على أروؤس الأعداء خشن سحاب  
« وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر  
إلى استعارته ، والمراد بالسحاب الخمس الأصابع »<sup>(١٠)</sup> . وقال السكاكي :  
« أظن حين أراد استعارة السحاب لأفعل بين المدحج ضرماً على ما جرت  
به العادة من تشبيه الجواد بالبحر القياض تارة وبالسحاب الهطل أخرى ماذا  
صنع ؟ ذكر أن هناك صاعقة ثم قال : من « نضله »<sup>(١١)</sup> فيبين أن تلك الصاعقة  
من نضل سيفه . ثم قال : « على أروؤس الأقران » ثم قال : « خسر » فذكر  
العدد الذي هو عدد جميع أفعل اليد فيجعل ذلك كله قرينة لمسا أراد من  
استعارة السحاب للأفعل »<sup>(١٢)</sup> . وهذا الشرح أكثر توضيحاً من كلام ابن  
الأنثري وأقرب إلى مدارك المتطمين وإن كان الأول يسمى « الجواب الفني مستألفاً »

(٨) المثل السائر ج ١ ص ٣٧٧ .

(٩) المثل السائر ج ١ ص ٣٧٧ .

(١٠) المثل السائر ج ١ ص ٢٨٠ .

(١١) رواية السكاكي للبيت :

وصافته من نضله تنكفي بها

على أروؤس الأقران خمس سحاب

(١٢) مفتاح العلوم ص ١٧٧ .

رفيعة وترك السامع يسبح في ديا الخيال . وتظهر الموازنة أن السكاكي يسيل الى الحد الجامع المانع وهو مهم في الدراسات العلمية ، وأن ابن الاثير يرمي الى معنى الاستعارة من غير ضبط لأركانها وتحديد لأقسامها . وتبدو استفادة الاول من المصطلحات العلمية في تقسيم الاستعارة ، فهو يذكر التحقيق والتخييل والاسلي والتبني والتمريح والكنائية والقطع والحمل والحسي والعقلي ، وليس في كلامه شيء من ذلك لأنه يفر من هذه التقسيمات والمصطلحات . ويبدو الجور على الناحية الأدبية في أمثلة السكاكي فهو لا يذكر إلا آياتاً قليلة تمثل الاستعارة بأنواعها الثمانية التي حصرها ، وذكر ابن الاثير عشرات الأبيات والقطع الشعرية وعلق عليها تعليلاً ذوقياً واكتفى بالعبارة الموحية والمبحة الفاتحة ولم يسرف في التأويل كما فعل السكاكي الذي أحال مباحث البلاغة ميداناً للجدل وعرضه أساليب علم الكلام .

إن هذه الموازنة العجلى توضح اختلاف المدرسة الكلامية عن المدرسة الأدبية في التعرف والتقسيم والتحليل ، وهو اختلاف ينبع من طبيعة المنهج الذي اتبعته كل مدرسة ومن ثقافة المؤلف وذوقه ، وهو اختلاف تقتضيه الدراسات الأدبية لولا أنه يسرف في التحلل ويسم في التحكم العقلي عند أصحاب المدرسة الكلامية ويوغل في الإيجاز أو اللبس عند أصحاب المدرسة الأدبية . وهذا الاختلاف لا يؤدي الى القطيعة بين المدرستين أو يلقي دور البلاغة في تقويم الأدب ، فمسي « فن القول » أو طرائق التعبير التي يعرض بها الأديب أفكاره ويصوغها في أسلوب متميز يسم صاحبه ويدل عليه دون غيره ، وهذا من أهم صفات الأديب ، أي أنه صاحب أسلوب ، وليس غريباً أن يقال بهذا ذلك : « إن الأسلوب من الرجل نفسه » أي هو طابع الكتاب وإمضاءه على الفكرة . فالبلاغة مهنة للأديب ولن يتغنى عنها النقد لأنه يفقد جزءاً من وسائله إذا ما أهملها أو أشاح عنها ، وكان العرب قد جمعوا بين البلاغة والنقد وعدوها فناً واحداً

ولا يكاد كتاب قديم ينفرد بالبلاغة أو النقد إلا ما كان من الكتب المتأخرة التي اتخفت السكاكي إماما .

وفرق المعاصرون بين البلاغة والنقد وقالوا : « إن البلاغة ترشدنا بقواعدها إلى الطرق والوسائل التي تجعل كلماتنا فعلا ومؤثرا ، والنقد يفسح لنا المجالس العامة التي نقد بها ما في الكلام من فائدة أو قوة أو جمال » (١٣) . أي أن البلاغة أقرب إلى الناحية الفنية ما دامت قواعدها تقود إلى الإبداع ، وأنها أكثر ما تعنى بالأسلوب . أما النقد فيأتي دوره بعد أن تتم عملية الإبداع وتعرض " الأدب " على مقاييسه ليحكم عليه . وأنه يتناول المعاني والأساليب ، ولذلك كانت دائرته أوسع ميلافا . وليس هذا الترتيب دقيقا ؛ لأن البلاغة وإن كانت ترشد الأديب غير أنها تتسلسل المعاني والأساليب أي أنها وسيلة مهمة من وسائل النقد . وقد حملت قديما هذا المعنى وتحمله اليوم الدراسات الحديثة على تحليل الكلام كما فعل عبدالمعز قبل سبعة قرون وأولى التحليل اللغوي أهمية عظيمة وبنى عليه أروع نظرية تمثلت في « النظم » . قال وهو يتحدث عن الأسلوب الرفيع والتركيب البديع : « وإذا عرفت ذلك فاعد إلى ما تواسفوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل . ثم جعلوه كذلك من أجل النظم خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر أو غير الشعر من معنى لطيف أو حكمة أو أدب أو استعارة أو تجنيس أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم وتأمله . فإنا رأيتك قد ارتعت واهتزت واستحسنست ، فانظر إلى حركات الأريحية مع كانت وعندما ظهرت ؟ فإني أرى عياذ أن الذي قلت لك كما قلت . اعهد إلى قول البحسري :

بلوغا ضرائب من قد نرى

هو المرء أبدت له العادنا

(١٣) الأسلوب ص ٧ .

تثقل في خلقي سؤدد      ساعاً مرجسى وبأساً مويبة

فكالكيف إن جنته صارخاً      وكالبحر إن جنته مستيب

فإذا رأيتك قد رافقت وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازاً في ضحك فعد  
فاظر في السبب واستفعر في النظر فإليك تعلم ضرورة أن ليس إلا أن  
قدم وأخر . وعرف وفكر ، وحذف وأضر ، وأعاد وكسر ، ونوحى  
على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيا علم النحو فأصاب في ذلك كله  
ثم لقد موضع صوابه وأنى مآتي يوجب التضيعة . أفلا ترى أن أول شيء  
يردك منها قوله « هو المرء البتة » له الحادثات » ثم قوله : « تثقل في خلقي  
سؤدد » بتكرير السؤدد وإضافة الغلقين إليه ، ثم قوله « فكالكيف »  
وعطفه بالفاء مع حذفه البتة لأن المعنى لا محالة « فهو كاليف » . ثم  
تكريره الكاف في قوله : « وكالبحر » . ثم أن قرن اسى  
كل واحد من التشبيهين شرطاً جوابه فيه ، ثم أن أخرج  
من كل واحد من الشرطين حالاً على مثال ما أخرج من الآخر  
وذلك قوله « صارخاً » هناك و « مستيباً » ههنا . لا ترى حسناً تنسبه إلى  
النظم ليس سببه ما عدت أو ما هو في حكم ما عدت فاطر ذلك . وإن  
أردت أظهر أمراً في هذا المعنى فاظر إلى قول إبراهيم بن العباس :

ظرو إذ نيا دهره وأنكر صاحب      وسنقط أهداه وغساب نصير

تكون عن الأحواز ناري بنجوة      ولكن مقادير جرت وأمسود

والسي لأرجو بعد هذا محمداً      لا أفضل ما يرجى أخ ووزير

فإليك ترى ما ترى من الروق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة ثم  
تفقد السبب في ذلك فتجده إنما من أجل تقديمه الطرف الذي هو « إذ نيا »  
على عاملة الذي هو « تكون » وأن لم يقل « ظرو تكون عن الأحواز ناري  
بنجوة إذ نيا دهر » ثم قال : « تكون » ولم يقل « كان » ثم أن فككسر

« الدهر » ولم يقل « إذ لبنا الدهر » ثم أن ساق هذا التشبيه في جميع ما أتى به من بعد ، ثم أن قال « وأنكر صاحب » ولم يقل « وأنكرت صاحباً » ، لا ترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عدته لك تجعله حسناً في النظم وكذا من معاني النحو كما ترى . وهكذا السبيل أبداً في كل حسن ومزية رأيتها قد لبنا إلى النظم ونفضل وشرف حيل فيها عليه ، (١٠) .

وهذا تحليل يقوم على العلاقات بين الكلم . وهو تحليل يعطي النص قيمة لأنه يظهر ميزته ويوضح ما بين القاطع من صفة وما توجه من صور تعينه المعنى ويبرزه . وقد عبد عبدالقاهر فيه إلى إيضاح أثر الذوق وسعى إلى تبيان قيمة القاعدة ، فهو في النصف الأول من تحليله يدعو إلى تأمل النص وتذوقه ويشير إلى حكم ألقته ، ولكنه لا يرضى بالذوق وحده ولا يقتنع بالحكم إن لم يتبعه تحليل وتحليل ، وهذا ما فعله في النصف الثاني من كلامه فكان بذلك ناقداً يجمع بين القاعدة والذوق لا شارحاً ولم يقل في تحليله عند مباحث علم المعاني وأنا أعمس في تحليل فنون البيان بالأسلوب منه ومطبق نظرية « النظم » على المجاز فقال من أحيات الشعراء :

ولما قضينا من منى كل حاجة      وشكح بالأركان من هو ماسح  
وشد من على دهنها الهوى رحلتنا      ولم ينظر الفادي الذي هو رائج  
أخذة بأطراف الأحاديث ينسب      وسالت بأعنان المطي الأباطح  
« وليست الغاية في قوله : « وسالت بأعنان المطي الأباطح » على هذه العجلة ، وذلك أنه لم يشغرب لأن جعل المطي في سرعة سيرها وسهولة كالماء يجري في الأبطح ، فإن هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن الدقة واللفظ في خصوصية أضافه بأن جعل « سال » فعلاً للأبطح ثم عداه بالياء بأن

(١٠) دلائل الإعجاز ص ٦٧-٦٩ .

أدخل « الاعناق » في البيت فقال « بأعناق المظي » ولم يقل « بالمظي » ولو قال : « سالت المظي في الأباطح » لم يكن شيئا . وكذلك الغرابة في البيت الآخر ليس في مطلق معنى « سأل » ولكن بتعديته بـ « على » وإليه ، وأن جعل فعلا لقوله « شعاب الحي » ، ولولا هذه الأمور كلها لم يكن هذا الحسن ، وهذا موضع يثق الكلام فيه <sup>(١٢٠)</sup> .

وهذا تحليل لغوي أظهر روعة الاستعارة ، وقد حل عبدالقاهر الأبيات فيها تحليلا آخر لا يعد كثيرا عن السابق وصور المعنى مجسدا فيها ، قال : « انظر هل تجد لاستحسانهم وحسنهم وثناهم ومنحهم منحرفا إلا الى استعارة وقعت موقعها وأصاب غرضها أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ الى السمع واستقر فيهم مع وقوع العبارة في الأذن . وإلا الى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد والتفضل الذي هو كالزيادة في التحديد ، وشيء داخل المعاني المتصورة بداخله الطفيلي الذي يستقل مكانه والاجنبي الذي يكره حضوره ، وسلامة من التقصير الذي يفترق مع السامع الى طلب زيادة بقيت في نفس المتكلم فلم يدل عليه بنظها الخامس واعتمد دليل حال غير منصح أو لياية مذكور ليس لتلك التباينة يستصلح <sup>(١٢١)</sup> . ومضى يحلل الأبيات متأثرا بابن جني ( ٣٩٢ هـ ) <sup>(١٢٢)</sup> ومستفيدا من نظريته في النظم التي أطال الكلام عليها في كتابه « دلائل الإعجاز » . وقد فاق ابن جني في انحصار روعة الاستعارة وتبيان العلاقة بين الجمل التي أحدثت مشاهد لا يحسن بها إلا من شهد موسم الحج وذاق حلوة الشوق الى الأهل والوطن . وكان ابن قتيبة ( ٢٧٦ هـ ) قد نظر الى الأبيات نظرة أخرى ورأى أنها ما حسن لفظه وطاب وليس وراء ذلك كبير معنى ، قال : « هذه الالفاظ — كما ترى —

(١٥٠) دلائل الإعجاز ص ٦٠ . يريد به قول الشاعر :

سالت عليه شعاب الحر حين دما      اتصاره يوجوه كاللذنانسير

(١٦) اسرار البلاغة ص ٢٢ .

(١٧) الخصائص ج ١ ص ٢١٨ .

أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ، وإذا قطرت إلى ماتحتها من المعنى وجده : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعلمنا إيلنا الانضاء ومضى الناس لا ينتظر القادي الرائح ، ابتدأنا في الحديث وسارت الطلي في الأبطح (١٨) . ولهم في كثير من هذا القول وتحليل عبدالقاهر الذي جعل المعنى تجسيدا ، وجعل السامع يهتز للآيات ويمر به الشوق إلى موقف الحج ومطواف الوداع ، والتأهب للعودة إلى الأوطان ، وفي ذلك تأثير للاستعارة التي تجلت في الآيات ، وهي استعارة جاءت من ارتباط الكلام واختار بعضه بوقاب بعض لا من الكلام وحده أو جرس اللفاظ . وكلام ابن قتيبة ليس مقننا ، لانه حكيم " يستند على الذوق وحده . وكلام عبدالقاهر ينزع مسرعا على قوامه الشرح والتعليل ، والوقوف على مواطن الصحة والروعة ، والجودة والاستحسان ، ولا ينسى الذوق وإثارة المشاعر بما يقدم من عبارات ويوحى من جو يظهر المعنى واضحا . وليس كذلك ابن قتيبة أو غيره ممن اعتسبوا على الذوق وحده واتخذوه مقياسا في تقديم فلم يعرفوا لانهم لم يفهموا الفارسين ، وظلت عباراتهم حلوة تتردد من غير تأثير أو افئاض .

وليست فنون البديع بأقل أهمية من علمي المعاني والبيان ، وقد حفل بها الشعر القديم والقرآن الكريم وجاءت معبرة عن المعنى غير تعبير ، ولكن المتأخرين من القدماء أخذوها بما أضفوا من زخارف أثقلت الكلام وأفسده فنيا عنه الفنون . قال عبدالقاهر : « فأنك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعنا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستمعاء وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبني به بدلا ولا تجد عنه حولا . ومن هنا كان أخطى تجنيس تسمعه وأغلاء وأحقه بالحصن وأولاه ما وقع من غير قصد من التشكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه ، أو طاهر لحسن ملائمة . وإن كان مطلوباً . بهذه التزلة وفي هذه الصورة ، وذلك كما يشلون به أهدأ من قول الشافعي - رحمه الله

(١٨) الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦-٦٧ . يجيد القاري بعض النصوص قد تكررت في هذا الكتاب ، لانه مجموعة بحوث .

تمالى - وقد سئل عن النبيذ فقال : « أجمع أهل الحرمين على تحريمه »<sup>(١٩)</sup> .  
وهذا هو الصواب لأن البديع ليس حلية تقتصر ولا زينة ينو عنها الفنون ،  
والها هو وسيلة من وسائل التعبير كما يلاحظ في القرآن الكريم وكلام  
العرب البليغ .

لقد جمع عبدالقاهر في بلاغته وقده بين القاعدة واللون فكان قدأ  
ذا منهج وبلاغياً صاحب رأي سديد . ولم يستفد البلاغيون من هذا المنهج  
الواضح ومضى السكاكي ( - ٦٢٦ هـ ) والقزويني ( - ٧٣٩ هـ ) وشرح  
التلخيص يلخصون كلام عبدالقاهر ويقتطعون بعض أمثلته مغبين إليها  
الكثير من مسائل الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، تاركين تحليله وملاحق  
منهجه النقدي . وقد حاول ابن الاثير أن يقترب من عبدالقاهر ولكن إزراءه  
النحو وتشبيعه على النحاة<sup>(٢٠)</sup> أبعدته عن منهج عبدالقاهر التحليلي . ولو لا  
هذا الموقف وأعماله النحو لجفرت المتقدم لأنه كان مهتماً بالنظم ولكن  
كما فهمه أو أراد أن يفهم فهو عنده « سيك الألفاظ بعضها مع بعض »<sup>(٢١)</sup>  
وكان عند عبدالقاهر توخي معاني النحو ، وهذا مدلول أوسع مدى وأرحب  
أفقاً ، وقد ظهر في « دلائل الإعجاز » ظهوراً جلياً يدل على أصالة وابداع .

لقد حدد ابن الاثير أوصاف النظم بأربعة هي : أن تكون الالفاظ  
واضحة بيّنة ليست بغريبة الاستعمال . وأن تكون حطوة في القسم سهلة  
في النطق غير مستغلة ولا مستكرهة ، وأن تكون كل لفظة من الالفاظ  
ملائمة لاختيارها التي عليها غير فائرة عنها ولا مباينة لها . وأن لا يكون فصي  
الالفاظ تقديم وتأخير يستغرق به المعنى فججه قلم الكلام مضطرباً . وهذه  
الأوصاف تتعلق بالالفاظ حينما تألف ، وقد حددها ابن الاثير بهذه الصورة

(١٩) أسرار البلاغة ص ١٠ .

(٢٠) ينظر المثل السائر ج ١ ص ٢٨٢ ، الاستدراك ص ١٢ .

(٢١) الاستدراك ص ٨٨ .



لأنه كان يعطي الكلمة المفردة قيمة ويضرب بين واحدة وأخرى ، أما عبد القاهر فقد أعطاهما المزية من خلال النظم ، وهنا فرق واضح بين الرجلين جاء من اختلافهما في المنهج وإن حاول الثاني أن يسير على خطى الأول في دراسة التقديم والتأخير وأن ينتفع من منهجه في دراسة الالتفات ، فقد ذهب البلاغيون إلى أن الكلام إذا قل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن طريقة لنشاط السامع وإيقاظه للاهتمام إليه من إجراءاته على أسلوب واحد<sup>(٢٢٢)</sup> ، ونظر إليه ابن الأثير نظرة أعمق وقال : « إن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة انتضت ، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تعدّ بعدد ولا تضبط بضابط ، ولكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها ، فإما قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتنظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، فقلنا أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة وإنما مقصور على الغاية بالمعنى المقصود ، وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر وإنما يترتب بها على حسب الموضوع الذي ترد فيه »<sup>(٢٢٣)</sup> ، وطريقته في الظاهر روعة الالتفات هي ضرب الأمثلة والتعليق عليها والاشارة إلى ما فيها من روعة وجمال ، ولكنه لا يترك التعليل والتوضيح ، فهو عند كلامه على سورة الفاتحة وما فيها من التفات يقول : « وما يقتضيه هذا الكلام من التواتر قوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » بعد قوله : « الحمد لله رب العالمين » فإنه إنما عدل فيه من الغيبة إلى الخطاب لأن الحمد دون العبادة ، ألا تراك تحمد نظيرك ولا تبيده ؟ فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ « الحمد » لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال : « الحمد لله » ولم يقل « الحمد لك » ، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطامعات

(٢٢٢) ينظر الكشف ج ١ ص ١١ ، مفتاح العلوم ص ٩٦ .

(٢٢٣) التلخيص السائر ج ٢ ص ٥ .

قال « إياك لعبد » فنطاب بالمبادأة إصراراً بها وتقرباً منه — عز اسمه —  
 بالإنهاء الى محفوظ منها ، وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال :  
 « صراط الذين أنعمت عليهم » فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال : « غير  
 المنضوب عليهم » عطفاً على الأول ؛ لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر  
 نعمه فلما صار الى ذكر الغضب جاء باللفظ متحرراً عن ذكر الغاضب فاستند  
 النعمة اليه نظراً وزوى عنه لفظ الغضب تحسناً ولفظاً ، فاعلر الى هذا الموضع  
 وتناسب هذه المعاني الضمنية التي الأقدام لانكاد تطلوها والأفهام مع قرعها  
 صالحة عنها . وهذه السورة قد انتقل في أولها من الغيبة الى الخطاب لتعظيم  
 شأن المخاطب ثم انتقل في آخرها الى الغيبة لتلك العلة بعينها ، وهي تعظيم  
 شأن المخاطب أيضاً ؛ لأن مخاطبة الرب — تبارك وتعالى — باستناد النعمة اليه  
 تعظيم للخطاب وكذلك تترك مخاطبته باستناد الغضب اليه تعظيم للمخاطبه .  
 فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من الفصاحة والبلاغة عالماً بوضع أنواعه  
 في مواضعها على اشتباهها » (٢١) .

أما مذهب السكاكي والتزويدي وشرح التلخيص فيقوم على القاعدة  
 وحدها وكثيراً ما تخلق القاعدة في إثارة المعنى وإظهار روعة الكلام ، ومن  
 هنا كان الأخذ بمنهج عبدالقاهر وابن الأثير — على الرغم مما بينهما من تفاوت  
 — ضرورة تتطلبها النزعة الفنية في البلاغة والنقد . ولما يذهب بمع  
 البلاغة وقوعها بين المنطق والتذوق ؛ لأن القواعد والتجريب والتعليل مهمة للوصول  
 الى الحكم السليم وتضيق الضيق المنفع مثلما كان الذوق مهماً في النقد لأن  
 الناقد إن لم يكن ذا موهبة فنية وإحساس مرهف ، كان عالماً بعينه ، الخطأ  
 والصواب أكثر من التأثير وكشف مواطن الجمال .

وليس النقد علماً بالمعنى الدقيق وإن ذهب الى ذلك بعض النارسين  
 ويطرد منهج البحث العلمي فأحاطوه قواعد صارمة كما فعل البلاغيون

في عهد الجود ، وليس تذوقاً فحسب ، وإنما هو الالتئام بها . وقد دلّ تاريخ البلاغة والنقد على أنّ أرواح الكتب في هذا الحقل ما امتزج المنطق والتذوق فيها كما ظهر في « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » و « المنهل السائر » . وهذه الكتب الثلاثة تعدّ زبدة التراث البلاغي والنقدي عند العرب لأنها جسدت بين القاعدة والتذوق ، والمرضى والتحليل ، والعكس والتفسير . ولن يكون النقد قدماً إن ابتعد عن هذه الأصول مهما تعددت المناهج واختلفت الأزمنة وتفاوتت البيئات ، وبذلك يبقى تراث العرب ثراً يفتح آفاق الإصالة والتجديد .

إن الأدب ثقافة عميقة ومغاثة عظيمة وجهد كبير ، وإله بلاغته وروعة أسلوبه وسور مناهيه ، وإن النقد بأصوله وأحكامه ، وعلوم البلاغة أصلاً لا يصل ما دام الأدب مرتبطاً باللغة العربية وأساليبها ، وقد أسفد الأدب كثيراً حينما انفصل عن البلاغة ومقاييسها وأحرف النقد حينما ابتعد عن النزعة العلمية والتفوق وأصبح شرحاً أو تاريخاً أو شيئاً لا يحل من سلات النقد إلا اسمه ، ولأنفني الأسماء ولو كانت من نور .

## المصادر :

- ١ - الاستدراك - ضياء الدين بن الأثير . تحقيق حنفي محمد شرف . القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢ - أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني . تحقيق ريتز . استانبول ١٩٥٤ م .
- ٣ - الأسلوب - أحمد الشايب . الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٥٢ .
- ٤ - البلاغة العربية - الدكتور أحمد مطلوب . الموصل ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٥ - البلاغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب . بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٦ - البلاغة والتطبيق - الدكتور أحمد مطلوب والدكتور كامل البصير - الموصل ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٧ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي . القاهرة ١٩٢٩ م .

- ٨ - الخصائص - ابن جني . تحقيق محمد علي التجار . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ٩ - دراسات بلاغية ونقدية - الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ١٠ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا . القاهرة ١٣٧٢هـ .
- ١١ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- ١٢ - القرويني وشروحه التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- ١٣ - كتاب الصناعين - أبو حلال العسكري . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ١٤ - الكشف - الرمضاني . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م .
- ١٥ - مثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - شباه الدين بن الأثير . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
- ١٦ - مفتاح العلوم - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي . القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .



(٦)

## أثر القرآن في البلاغة

كلمة :

كان للقرآن الكريم مجزة محمد - صلى الله عليه وسلم - وكثيرة  
العربية الخالد أعظم الأثر في علوم اللغة العربية ، فقد صدرت عنه وانتثرت  
من معنه ووقفت تكشف أسرارها وتعني بأساليبه وتصرع اجزائه وتفسر  
ألفاظه ، وتظهر معانيه ، وكانت البلاغة من تلك العلوم التي ثنأت على كنه  
كتاب الله وتمحيات بطلاله منذ أن بدأت تخرج في ميدان الحياة ، وكان القرآن  
مجززة تحدث العالمين ، ووقف العرب عند نزوله مبهورين وهم أصحاب  
لسن وبلاغة ولم يجدوا ما يفتخرون به عن أنفسهم إلا أن يقولوا كذا زوي  
الكتاب عنهم « ما هذا إلا سحر » ففترى ، وما سمعنا بهذا نسي آياتنا  
الأولين<sup>(١)</sup> ، واخذوا يفرون من سماعه خوفاً من أن يؤثر في قلوبهم  
ويهديهم إلى سواء السبيل كما عدى من قبل طليعة المسلمين ، وصاروا يحولون  
دون الاستماع إليه ثلاثين القلوب - وفي سيرة ابن هشام أن الطفيل بن  
عمرو الدوسي قدم مكة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بها فبشني  
إليه رجال قريش وكان الطفيل رجلاً شريفاً وشاعراً لبيبا فقلوا له : ذبا طينتي  
إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعطل بنا ، وقد تـ

✽ نشر في كتاب ( رحلة في الفكر والتراث ) الذي أصدرته جامعة بغداد سنة  
١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ بمناسبة الاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري وكانت  
أحد المشرفين على الاحتفالات التي أقيمتها الجامعة وعلى أخراج الكتاب .

(١) سورة القصص ، الآية ٣٦ .

جاءتنا وشتت أمراً ، وأما قوله كالمسح يفرق بين الرجل وبين زوجه وأنا  
نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا لتكلمه ولا تسمع منه شيئا » .  
قال : « فوالله ما زالوا بي حتى أجبت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكله حتى  
حسوت في أذني حين حسوت إلى المسجد كثر<sup>(٢)</sup> متناً<sup>(٣)</sup> فترافاً من أن يلغني شيء  
من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع » . فحسوت إلى المسجد لماذا رسول الله  
— صلى الله عليه وسلم — قائم يصلي عند الكعبة فقلت منه قريباً فأبى الله إلا  
أن يسمعي بعض قوله فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي : وأتكل أمي ،  
والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح فما ينعني  
أن أسمع من هذا الرجل ما يقول . فان كان الذي يأتي حسناً فكله ، وإن كان  
قبيحاً تركه » . ومكث الطويل حتى انصرف الرسول — صلى الله عليه وسلم —  
إلى بيته فأتبعه حتى إذا دخل بيته دخل عليه وقال : « يا محمد إن قومك  
قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا ، فوالله ما يرحوا يخفونني أمرك حسني  
سددت أذني بكرمك لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعي قولك  
فسمعت قولاً حسناً ، فأعرض عليّ أمرك » . وعرض الرسول الكريم الاسلام  
عليه وتلا القرآن فأسلم ، قال : « فلا والله ، ما سمعت قولاً قط أحسن منه  
ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق »<sup>(٤)</sup> .

وقال الوليد بن المغيرة وقد سمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم —  
يقرأ آيات الكتاب : « والله ، إن لقوله الحلاوة ، وإن أصله لعلق ، وإن قرع  
لجنانة<sup>(٥)</sup> » . وشاء الله أن يعتدي العرب برسالة السماء الكبرى ويرفعوا  
القرآن دستوراً في الآفاق ويخذوه تراثاً يضيء لهم الطريق في دلياسهم  
وأخراهم ، وأن يكون القرآن الكريم مرجع المسلمين ومنار دراساتهم الفقهية  
والتحوية والثقافية والعلمية والأدبية وغير ذلك من شؤون الحياة . وكان تأثيره  
واضحاً في البلاغة العربية وشجلى ذلك في أمور كثيرة غير أن من أهمها أمرين

(٢) الكرسي : القطن . (٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٢ .

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ .

يدخل فيها كثير من المسائل والقضايا ، وذلك الأمران هما :  
النافع والشاهد .

### النافع :

كان القرآن الكريم دافعا الى التأليف في البلاغة والكلام على نحوها المختلفة ، وكانت إحدى آياته منبذة الى أن يؤلف أبو عبيدة ( ٢٠٨ هـ ) كتابه « مجاز القرآن » ، قال : « أرسل الي الفضل بن الربيع الى البصرة في الخروج اليه سنة ثمان وثمانين ومائة فقدمت الي بغداد واستأذنت عليه فأذن لي فجلست عليه وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفسى صدره فرش عالية لا يرتقى اليها إلا على كرسي وهو جالس عليها فسلمت عليه بالسوزارة ، فردّ وضحك اليّ واستداني حتى جلست اليه على فرشه ثم سألتني وأقنني وبأسني وقال : أتدني ، فأنشدته قطرب وضحك وزاد نشاطه . ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة ، فأجلسه الي جانبي وقال له : أتعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقبلنا لتستفيد من علمه . فلما له الرجل وفرطه لعملة هذا وقال لي : إني كنت اليك مشتاقا وقد سألت عن مسألة أفادني لي أن أعزك إياها ؟ فقلت : جات . قال : قال الله — عز وجل — : « طَلَعُوا كَاذِبًا وَوَدَّ الشَّيْطَانُ » (١) ، وأين يقع الوجد والايصاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف . فقلت : انما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقنني والمشرقي مضاجعي وسبي زمني كأياب الخواصر

وهم لم يروا القول قط ، ولكنهم لما كان أمر القول يهولهم أوعدوا به ، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن في مثل هذا وأشباعه وما يحتاج اليه من علمه ، فلما رجعت الى

البصرة علمت كتابي الذي سميته « المجاز »<sup>(١)</sup> . ومها يكن من أمر هذه الرواية فإن أبا عبيدة وغيره اتجهوا الى خدمة القرآن الكريم وظهرت دراسات كثيرة من أهمها الدراسات البلاغية التي اتجهت الى اعجاز القرآن وتفسير آياته وإيضاح أساليبه وكشف فنونه البلاغية . وقد كان الهدف الأول من التأليف في البلاغة غرضاً ديناً أوضحه أبو هلال العسكري بقوله : « اعلم - علمك الله الخير ودلك عليه وقيضه لك وجعلك من أهله - أن أحسن العلوم بالتعلم وأولاهها بالتحفظ بعد المعرفة بالله - جل ثناؤه - علم البلاغة ومعرفة القصاحة الذي به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق ، الهادي الى سبيل الرشاد ، المفلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت أعلام الحق وأقامت منار الدين ، وأزالت شبه الكفر ببراهينها ، وهتكت حجب الشك بقيتها . وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم العربية وأخل بمعرفة القصاحة لم يقع عليه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التراكيب وما شحنته من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف وضمت من العلاوة وجلته من رونق الطلاوة مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها الى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتعميت عقولهم فيها . وانما يعرف اعجازه من جهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلوغ غايته في حسن وبراعة وسلاسة ونصاعة وكمال معانيه وصفاء ألفاظه . وقبح لمصري بالثبته التزم به والقارئ المتكتمى بهديه والمتكلم المشار اليه في حسن منظرته وتمام آرائه في مجادلته وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي العليل والقرشي الصريح أن لا يعرف اعجاز كتاب الله - تعالى - إلا من الجهة التي يعرف منها الزنجي والنبطي أو أن يستدل عليه بما استدل به الجاهل النبي - لينبني من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر

(١) معجم الادباء ج ٧ ص ١٦٦ ، وينظر نزهة الإلياء ص ٧٠ .



العلوم بعد توحيد الله - تعالى - ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعده  
إن كانت المعرفة بصحة النبوة تلو المعرفة بأنه جلّ اسمه (١٧) .

أن مسألة اعجاز كتاب الله كانت من القضايا الأولى التي شغلت بال  
المسلمين ، وقد دفعهم ذلك الى الخوض في دراسة البلاغة ليستطيعوا الوصول  
الى فهم أسرار الاعجاز ، وظهرت آراء كثيرة (١٨) ، غير أن ما يتصل بأسلوبه  
وروعه كان الدافع الأول الى التأليف في الاعجاز . ومن أهم ما ألف في  
هذه المسألة كتاب « اعجاز القرآن في فقهه وألفيه » لأبي عبد الله محمد  
ابن يزيد الواسطي ( - ٣٠٩ هـ ) ورسالة « النكت في اعجاز القرآن »  
لأبي الحسن علي بن عيسى الرمانى ( - ٣٨٦ هـ ) ورسالة « بيان إعجاز  
القرآن » لأبي سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي ( - ٣٨٨ هـ )  
وكتاب « اعجاز القرآن » لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ( - ٤٠٣ هـ )  
والجزء السادس عشر من كتاب « المغني في أبواب التوحيد والعدل »  
لأبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي ( ٤١٥ هـ ) و « معترك الاثران في  
اعجاز القرآن » لجلال الدين السيوطي ( - ٩١١ هـ ) (١٩) . وكانت هذه الكتب  
والرسائل كتباً بلاغية الى جانب ما فيها من دراسات تتصل بالمعقبة والتوحيد،  
وقد انتهى ابن خلدون الى أن ثروة علم البلاغة « الناهي في فهم الاعجاز من  
القرآن » لأن اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة  
ومضمومة . وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالاتفاظ في انتقالها  
وجودة رسلها . وهذا هو الاعجاز الذي تقرر الاقحام عن إدراكه (٢٠) .

ولم يلق الأمر عند الاعجاز وانما خاض المتسرون غمار البحث في  
البلاغة ليصلوا الى فهم كتاب الله وإدراك معانيه ، وقد بحث محمد بن جرير

(١٧) كتاب الصائغين ص ٢٠١ .

(١٨) التفصيل في : البلاغة عند السكاكي ص ٢٦٦ ، مناهج بلاغية ص ٣٩ .

(١٩) معرفة هذه الدراسات في كتاب مناهج بلاغية ص ٤١ .

(٢٠) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

الطبري ( ٣١٠ هـ ) كثيراً من مباحثها في تفسيره لتكون عوناً على فهم كلام الله الذي نزل بلسان عربي مبين وجاء فيه ما في كلام العرب من أساليب وفنون في التعبير . قال بعد أن أشار إلى تلك الأساليب والفنون : « ونحن مبينو جميع ذلك في أماكنه إن شاء الله ذلك وأمدّ منه يعوله »<sup>(١١٥)</sup> . وأوضح جارا الله الزمخشري ( ٥٢٨ هـ ) أهمية البلاغة وصلتها بالقرآن وفيه بقوله : « إن أملاً العلوم بما يضر القرائح وأنهاضها بما يهر الآليات القوارح من غرائب نكت يطفئ مسلكها ومستودعات أسرار يفتح مسلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتابه « علم القرآن » . فالتفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ، والمكالم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القريّة أحفظ ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحوي وإن كان أنعم من سيويه ، واللغوي وإن عكك اللغات بقوة لحيه لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق ولا يغمس على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن هما : علم المعاني وعلم البيان ، وتعمل في أويلدهما آوفاً وتعم في التفرع عنهما أزمناً ، ويمنته على تتبع مظاهيرها في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيفاض معجزة رسول الله »<sup>(١١٦)</sup> . وقال عبد القاهر الجرجاني ( ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ ) « ومن عادة قوم ممن يتعطلون التفسير بغير علم أن يتوهوا أبداً في الالتفات الموضوعية على المجاز والتشليل أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويظلموا القرض وينسبوا أنفسهم والسامع منهم العلم بمواضع البلاغة وبمكان الشرف . وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرلون في غير طائل ، هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه وزاد ضلالة قدهم قد ضلوا به »<sup>(١١٧)</sup> .

(١١) جامع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٦ .

(١٢) الكشف ج ١ ص (د) . (١٣) دلائل الامجاد ص ٢٢٦ .

ورأى السكاكي ( ١٩٢٩هـ ) أن دراسة البلاغة واجبة على المفسر وقال :  
 « الواقع على تمام مراد الحكيم - تعالى وتقدس - من كلامه مفتقر الى  
 هذين الطرفين - المعاني والبيان - كل الانتقار ، فالويل كل الويل لمن يتعصى  
 التفسير وهو فيها راجل »<sup>(١٤)</sup> . ومتى أتقن المفسر البلاغة وتمهيدا استطاع  
 التسابق للمشور على السبب في الزا ان الله - سبحانه وتعالى - فراه المجيد  
 على هذه المناهج إذ « لا علم في باب التفسير بعد علم الاصول اقرا منها  
 - المعاني والبيان - على المرء لمراد الله - تعالى - من كلامه . ولا أعون على  
 تعاطي تأويل مشبهاته ولا أضع في درك لطائف نكته وأسراره . ولا اكشف  
 للكناع عن وجه اعجازه . هو الذي يتولي كلام رب العزة في البلاغة حقه ،  
 ويصون له في نطاق التأويل مائه وروحه . ولكم آية من آيات القرآن  
 تراها قد ضيبت حقا واستلبت ماءها وروقتها ان وقعت الى من ليسوا من  
 اهل هذا العلم فأخذوا بها في مأخذ مردودة وحصلوها على محامل غير مقصودة  
 وهم لا يدركون أنهم لا يدرون . فلتلك الآي من مأخذهم في حويل . ومن  
 معاملهم في ويل طويل ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »<sup>(١٥)</sup> .

وأصبحت كتب البلاغة سبيلا تفضي الى رحاب القرآن ومعالج يمتدني  
 بها المارسلون ويستعين بها فيها من ومضات مشرقة ولمحات بدية المفسرون .  
 ومن هنا كانت البلاغة مقدمة لدراسة كتاب الله وتفسيره وإدراك فصاحته  
 وبلاغته ، وسار الشيوخ لا يقتدون على تدريس كتب التفسير إلا بعد أن  
 يلمّ طلابهم بطرف من البلاغة وفنونها كما فصل يحيى بن حزمة العلوي  
 ( ١٧٤٩هـ ) حينما ألف كتابه « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق  
 الاعجاز » ليكون عونا لمن شرع في قراءة تفسير « الكشف » عليه . قال :  
 « ثم ان الباحث على تأليف هذا الكتاب هو أن جباة من الاخوان شرعوا علي  
 في قراءة كتاب الكشف تفسير الشيخ العالم المحقق استاذ المفسرين محمود  
 ابن عمر الزمخشري فانه أسسه على قواعد هذا العلم فانضح عند ذلك وجه

(١٤) مفتاح العلوم ص ٧٧ . (١٥) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

الاعجاز من التنزيل ، وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج ، من التأويل ، وتحققوا انه لاسبيل الى الاصلاح على حقائق اعجاز القرآن إلا بإدراكه والوقوف على أسراره وانواره ومن أجل هذا الوجه كان متبصراً عن سائر التفاسير لاني لم أعلم تفسيراً مؤسسا على علمي المعاني والبيان سواء ، فإلني بعضهم أن أجلي فيه كتابا يشتمل على التهذيب والتحقيق ،<sup>(١١٧)</sup> .

وصارت كتب التفسير كلها تستخدم هذه الفكرة ، ولعل أهم تفسير علمي بهذا الجانب « الكشف » للزخشري الذي ترقى تفسيره مسائل البلاغة واستعان بها في تفسير القرآن الكريم ، وهو حينما يفسر الآيات يطبق أصول البلاغة عليها وينبأ الى ما فيها من أسرار الفصاحة والبلاغة ، وقد قال ابن خلدون عنه : « وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله »<sup>(١١٨)</sup> . ومن هنا كان دارس « الكشف » محتاجا الى ثقافة بلاغية واسعة ، وقد شعر القدماء بذلك فكانوا إذا أقدموا على دراسته تزودوا بتلك الثقافة ووضعوا الكتب عليها لتعلمها واقتانها كما فعل العلوي في كتابه « الطراز » .

وفي كتب أصول الفقه يعثر مستفيدة عن البلاغة ، وهي بحوث تدل على استئثار علم أصول الفقه بها ، قال السكاكي : « بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ؟ ومن يتولاها »<sup>(١١٩)</sup> . وأشار بهاء الدين السبكي ( ٨٧٧ هـ ) الى الصلة الوثيقة بين علمي المعاني وأصول الفقه وقال : « وأعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل فان الخير والانتفاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي والتحريم ومسائل الاخبار والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد والاجمال والتفصيل والتراجيح كلها ترجع الى موضوع علم المعاني . وليس في أصول الفقه

(١١٧) الطراز ج ١ ص ٥ .

(١١٨) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ . (١١٩) مفتاح العلوم ص ١٦٦ .

ما يفرد به كلام الشارع عن غيره إلا الحكم الشرعي والقياس وأشباه  
يسيرة (٢٩١) .

ويرى ابن خلدون أن معرفة أركان علوم اللسان وهي : اللغة والنحو والبيان  
والآداب ضرورة على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من  
الكتاب والسنة وهي لغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح  
مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد  
علم الشريعة (٢٩٢) . وكان الإمام محمد بن إدريس الشافعي ( ٢٠٤ هـ )  
من أوائل الذين أشاروا إلى ما في القرآن من أساليب العرب وقال : « عاينا  
خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ، وكان مما تعرف  
من معاني السام لسانها وإن فطرت أن يخاطب بالشيء منه عاينا ظاهراً يراد به  
العام الظاهر ويستغنى بأول هذا منه عن آخره ، وعاينا ظاهراً يراد به العام  
ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه ، وعاينا ظاهراً يراد  
به الخاص وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره ، فكل هذا موجود  
عليه في أول الكلام أو وسطه أو آخره . وتبتدى الشيء من كلامها يبين  
أول لفظها فيه عن آخره ، وتبتدى الشيء بين آخر لفظها منه عن أوله .  
وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الإشارة ثم يكون  
هذا عندها من أعلى كلامها لأفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها .  
وتسمي الشيء الواحد بالاسماء الكثيرة ، وتسمي بالاسم الواحد  
المعاني الكثيرة (٢٩٣) . وهذه بعض الموضوعات التي تحدث  
عنها البلاغيون فيما بعد وبحوثها مستقلة عن الموضوعات الأخرى ، أما  
الإمام الشافعي فقد اتخذها مقدمة للدراسة أصول الفقه وعقد لها أبواباً تجلت  
فيها معرفته بأساليب العرب وإطلاعه على اللغة وقدرته على فهم حقيقتها  
ومجازها وعاينها وخاصها واستنباط الأحكام والأصول . وكانت هذه الدراسة

(٢٩١) عروض الإفراج ج ١ ص ٥٢ .

(٢٩٠) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ . (٢٩١) الرسالة ص ٥١ .

مدعاة لغرض الأصوليين والفقهاء في البلاغة وإدخالها في كتبهم ، وبنا على ذلك طريقة الاجتهاد البياني ، وصار العلماء عندما يقفون أمام نص ليهتموه يستعينون بهذا الأسلوب .

ومن الذين عنوا بالبلاغة في كتبهم الأصولية أبو الحسين محمد بن علي ابن الطيب البصري المعتزلي ( - ٤٣٩ هـ ) صاحب كتاب « المختصر في أصول الفقه » والامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ( - ٥٠٥ هـ ) مؤلف كتاب « المستصفى من علوم الأصول » وأبو الحسن علي بن أبي علي سيفالدين الأملدي ( - ٦٣٩ هـ ) صاحب كتاب « الأحكام في أصول الأحكام »<sup>(١٣١)</sup> ولغيرهم من الأصوليين والفقهاء الذين خدموا القرآن الكريم خدمة كبرى ، وقدموا للدراسات البلاغية خير ما يقدمه مؤمن بالقرآن وفقه الغالب . وكان لاهتمام علماء أصول الفقه بالمباحث البلاغية التي وشحوا بها كتبهم وعدوتها من طرق الفقه أن وضعوا القواعد الواضحة ، والتفسيرات الدقيقة لحاجتهم اليها في استنباط الأصول والأحكام .

وكان لكتب علوم القرآن أثر في العناية بالبلاغة ودراستها ، وقد اتخذها المؤلفون وسيلة لفهم القرآن ومعرفته أساليبه وأهدافه ، وكانت البلاغة أحد تلك العلوم التي يحتاج اليها الدارس ، ومن أشهر الذين عنوا بهذا الجانب بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي ( - ٧٩٤ هـ ) في كتابه « البرهان في علوم القرآن » وجلال الدين السيوطي في كتابه « الامتحان في علوم القرآن » . ويشكل هذان الكتابان جانباً كبيراً من جواب تلك العناية التي أثمرت مؤلفات كثيرة عالجت البلاغة من أجل الوصول الى اعجاز القرآن وإدراك أسراره .

وأدت العناية بأسلوب القرآن الكريم الى ظهور دراسات كثيرة ولعل من أقدمها « مجاز القرآن » لأبي حبيدة و « تأويل مشكل القرآن » لآس قتيبة ( - ٢٧٦ هـ ) و « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشرع الزبي

(١٣٢) التفصيل في كتاب مناهج بلاغية ص ٦٤ .

( ٤٠٦ هـ ) و « دلائل الإعجاز » لعبدالقاهر الجرجاني ( ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ ) و « نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز » لشمس الدين الرازي ( ٦٠٦ هـ ) و « البيان المطلع على إعجاز القرآن » و « البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن » لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم المعروف بابن الزمكاني ( ٦٥١ هـ ) و « الإشارة إلى الإيجاز في أنواع المجاز » لمز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ( ٦٦٠ هـ ) و « الفراز التفسر لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » ليحيى بن حمزة الطوسي ( ٧٤٩ هـ ) و « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن » لابن قيم الجوزية ( ٧٥١ هـ ) .

ونشرت كتب خاصة ببعض موضوعات البلاغة في كتاب الله ، وقد ألف ابن قايما البغدادي ( ٤٨٥ هـ ) كتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » رفق في مقدمته : « التشبيهات نوع مستحسن من أنواع البلاغة ، وقد ورد منه في كتاب الله تعالى ما نحن ذاكروه في هذا الكتاب وقاهبون إلى إيضاح معانيه والتشبيه على مكان الفضيلة فيه »<sup>(٢٢)</sup> ، ودرس ابن أبي الأصبع المصري ( ٦٥٤ هـ ) فنون البلاغة التي وردت في كتاب الله ، وألف كتاباً في ذلك هو « بديع القرآن » وقد جمع فيه مائة وستة من فنون البلاغة ، ويحتسبها بأسلوب أدبي متنع وذكر الشواهد الرفيعة وفي مقدمتها كلام الله لأن الكتاب ألف لهذا الهدف ولإظهار روعة أسلوب القرآن الكريم وإعجازه . وهذا الكتاب مفرد من كتابه « تحرير التبيين » الذي ضمّ مائة وخمسة وعشرين فناً ، لأن المؤلف وجد في كلام العرب ما لم يجده في كتاب الله من فنون ، ينزه القرآن عنها مثل : « المزل الذي يمراد به الجدد » و « الاغتراف » و « المقدر » و « الاتقان » و « الهجاء في معرض المدح » و « الالغاز والتسمية » وغيرها<sup>(٢٣)</sup> .

(٢٢) الجمان في تشبيهات القرآن ص ٤٣ .

(٢٣) التفصيل في كتاب مناهج بلالية ص ١٤٩ .

وعلى القرآن الكريم يرغد البلاغة العربية ويطلع الى التأليف فيها ، وكانت  
مئات الكتب التي ظهرت استجابة لخدمة كتاب الله ولا يكاد كتاب منها يخلو  
من الإشارة الى هذا النافع ، وهو دافع ديني الى جوانب الموانع الأخرى  
التي ذكرها المتخصصون<sup>(٢٥)</sup> .

منها

الشاهد :

كان الشاهد القرآني المثل الأعلى في كتب اللغة العربية ، وهو رأس  
شواهد البلاغة التي كانت استجابة للحياة الفكرية التي استطل بها العرب  
والمسلمون بعد زول كتاب الله بلسان عربي مبين . ولا يخلو كتاب بلاغي  
من الشاهد القرآني ؛ لأن ذلك من أول ما يسعى اليه المؤلف بل هو ما يريد  
تأكيد فيه حينما خاض البحث وقلم فتون البلاغة في أصول .

إن تحدي القرآن للعرب لن يأتوا بمثله دفعهم الى التفكير في أسلوبه  
والوقوف على ألفاظه ومعانيه ، وكان ثمره ذلك السوقوف والتأمل هذه  
الدراسات المستفيضة التي أبارت قلوب المؤمنين وعمرت حياتهم بالأمل وأطلقتهم  
بكل عذب جميل . وقد كانت البلاغة أول ما نشأت في كتب القرآن ، وكانت  
فتونها تتردد في الكتب المتقدمة ككتاب «معاني القرآن» ليجيى بن زياد الفراء  
( ٢٠٧هـ ) وكتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ( ٢٠٨هـ ) ولم يكن  
بطبيعة الحال أن يخرج هذان المؤلفان على الشاهد القرآني لأن موضوعهما  
يتصلان بكتاب الله اتصالاً وثيقاً بل هما موضوع واحد أريد به الكشف عن  
معاني القرآن وطرق التعبير فيه . ولعل عبدالله بن المعتز ( ٢٩٦هـ ) كان  
من أوائل الذين سنوا البدء بالشاهد القرآني في دراسة البلاغة وبتوضيح ذلك في  
أول عبارة بدأ بها كتابه « البديع » قال وهو يتحدث عن فنونه : « قد تدعى  
في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله

(٢٥) معرفة ذلك في كتاب الصناعتين ص ١ ، مباح بلاغية ص ٣٩ .



— صلى الله عليه — وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم ، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي ساء المحدثون « البدیع »<sup>(٢٦)</sup> . ثم قال : « من الكلام البدیع قول الله تعالى : « وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم »<sup>(٢٧)</sup> . وكان عندما بدأ بنون البدیع : « الباب الأول من البدیع وهو الاستعارة » قال الله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنن أم الكتاب »<sup>(٢٨)</sup> . وقال « واختص لهذا جناح الذئل من الرحمة »<sup>(٢٩)</sup> . وضال : « وانتعل الرأس شيئا »<sup>(٣٠)</sup> وقال : « أو يأتيكم عذاب يوم عقيم »<sup>(٣١)</sup> . وقال : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار »<sup>(٣٢)</sup> . وذكر بعد ذلك من أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — ما فيه استعارة ، ثم أتبعه بكلام الصحابة — رضوان الله عليهم — وبأمثلة من الشعر القديم والحديث . وسار على هذا النهج في ضرب الأمثلة وذكر الشواهد ، ولم يلتزم البلاغيون الآخرون بشل هذا الالتزام وإن كان الشاهد البلاغي يفت على قبة الشواهد لغير أن يحيى بن حمزة الطوسي عاد إلى هذا النهج في ترتيب الشواهد والتزم به كل الالتزام ورتب شواهد على هذه الصورة :

النوع الأول : من القرآن الكريم .

النوع الثاني : من الأخبار النبوية .

النوع الثالث : من كلام أسير المؤمنين علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — .

النوع الرابع : ما ورد من الفن البلاغي في كلام البلغاء .

النوع الخامس : ما ورد من الفن البلاغي في النظم .

(٢٦) البدیع ص ١ .

(٢٧) سورة الزخرف ، الآية ٤ .

(٢٨) سورة آل عمران ، الآية ٧ .

(٢٩) سورة الإسراء ، الآية ٢٤ .

(٣٠) سورة مريم ، الآية ٤ .

(٣١) سورة يس ، الآية ٣٧ .

(٣٢) سورة الحج ، الآية ٥٥ .

ولم يخرج الطوي على هذا التهج في ضرب الأمثلة وذكر الشواهد  
 ويوضح أن ترتيبه يقوم على المنزلة والأهمية ، فكتاب الله في قصة البلاغة وفي  
 أرفع مقام ، يأتي بعده كلام النبي العظيم فكلام الإمام علي - كرم الله وجهه -  
 فكلام العرب الفصحاء البلقاء فاشعار الشعراء القدماء والمحدثين . وكان  
 الطوي نظر إلى ما فعله ابن المعتز - وإن ادعى أنه لم يطلع على كتب البلاغة  
 كلها وإنما رأى أربعة منها وطالعها ، وقال : « ولم أطالع من المتأولين الموافقة  
 فيه مع قلتها وتزورها إلا أربعة : »

أولها : كتاب « المثل السائر » للشيخ أبي الفتح نصر بن عبدالكريم  
 المعروف بابن الأثير .

وثانيها : كتاب « التبيان » للشيخ عبدالكريم<sup>(٣٣)</sup> .

وثالثها : كتاب « النهاية » لأبي الخطيب الرازي<sup>(٣٤)</sup> .

ورابعها كتاب « المصباح » لأبي السراج المالكي<sup>(٣٥)</sup> .

وأول من أسس من هذا العلم قواعده وأوضح براهينه وأظهر فوائده  
 ورتب أماليه الشيخ العالم الحرير علم المحققين عبدالقاهر الجرجاني<sup>(٣٦)</sup> .  
 وادعى أنه لم يطلع على كتابي « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة »  
 ولم يبق على شيء منهما إلا ما نقله العلماء في تعاليقهم منها . ولكن ذلك  
 لا يضر الالتئام الواضح في ضرب الأمثلة وتصنيف الشواهد بينه وبين  
 ابن المعتز الذي كان من أوائل المهتمين بهذه المسألة حينما أراد أن يقول إن  
 القرآن الكريم سبق إلى كثير من فنون البديع التي ادعاها المجددون ولج  
 فيها المولودون ، ولذلك ابتدأ بالشاهد القرآني ليحضر اقوالهم وفنونه

(٣٣) يريد به ابن الزمكاني المتوفى سنة ٦٥١ هـ .

(٣٤) يريد به فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

(٣٥) يريد به بدو الدين بن مالك المتوفى سنة ٦٨٦ هـ .

(٣٦) الطراز ج ١ ص ٢ - ٤ .

آراءهم ويوقفهم حيث ينبغي أن يفتقروا غير مباهين ولا مقهورين . وهذا المثلان — ابن المعتز والمعتزلي — يدلان على ما كان عليه القدماء من ارتباط بالشاهد القرآني فيما يقولون وفيما يؤلفون ، وليس معنى ذلك أن<sup>٢٣٧</sup> البلاغيين الآخرين ابتعدوا عن ذلك بل أخذوا بهذا النهج ووضعوا الشاهد القرآني فوق كل شاهد ، ووقفوا أمامه مبهورين .

وكان من أثر اهتمامهم بالشاهد البلاغي تحليلهم لكلام الله والوقوف على ما فيه من روعة وجلال واستبطاء الفنون البلاغية منه . ومن ذلك قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلغي ماءك ، يا سماء اقلعي ، ونحيض الماء » ، وقضي الأمر<sup>٢٣٨</sup> ، واستوت على الجودي<sup>٢٣٩</sup> ، وقيل بثعداً للقوم الظالمين<sup>٢٤٠</sup> ، وقال ابن أبي الاسمعالمصري وقد ذكر هذه الآية في باب « الإبداع » : « ما رأيت في جميع ما استقرت من الكلام الثور والشمس الموزون كآية كريمة من كتاب الله تعالى استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من المعاني »<sup>٢٤١</sup> . وبدأ بذكر تلك الضروب من المعاني وقال : « وهي المناسبة التامة بين اقلعي » و « ابلغي » والمطابقة بذكر الأرض والسماء ، والمجاز في قوله : « يا سماء » فلان المراد — والله أعلم — يا مطر السماء . والاستعارة في قوله « اقلعي » . والاشارة في قوله تعالى « ونحيض الماء » فانه عبر بهاتين اللفظتين عن معاني كثيرة . والتشثيل في قوله تعالى : « وقضي الأمر » فانه عبر عن هلاك الهالكين ولجأ قاتلحين بلفظ فيه بثعد<sup>٢٤٢</sup> عن لفظ المعنى الموضوع له . والإدخاف في قوله تعالى :

« واستوت على الجودي » فانه عبر عن استقرارها بهذا المكان وجلوسها جلوساً متيناً لا زلزال فيه ولا ميل بلفظ قريب من لفظ المعنى ، والتعليل لان نحيض الماء علة الاستواء . وصحة التقسيم إذ استوعب — سبحانه — أقسام

(٢٣٧) سورة هود ، الآية ٤٤ .

(٢٣٨) تحرير النجيب ص ٦١١ ، وينظر بدیع القرآن ص ٣٤٠ .

أحوال الماء حالة تقفه إذ ليس إلا احتباس ماء السماء واحتقان الماء الذي ينبع من الأرض ونقيض الماء الحاصل على ظهرها . والاحتباس في قوله تعالى : « وقيل بئساً للقوم الظالمين » إذ الدعاء يشمر بأنهم مستحقو الهلاك احتباساً من ضعف يتوهم أن الهلاك لعمومه ربما شمل من يستحق ومن لا يستحق فتأكد بالدعاء على المالكين لكونهم مستحقين ذلك والإيضاح في قوله « للقوم » ليبين لهم أن القوم هم الذين سبق ذكرهم في الآية المنتدمة أيها حيث قال تعالى : « وكثراً مرء عليه ملا » من قومه ستغفروا منه<sup>(٣٩)</sup> ، وفي قوله قبل ذلك : « ولا تخطبني في الذين ظلموا إنيهم مفروقون »<sup>(٤٠)</sup> . فإني سبحانه — في آخر هذه الآية بلفظة « القوم » التي الإلف واللام فيها للمود ليس أنهم القوم الذين سبق ذكرهم ووصفهم بالظلم كما وصفهم في أول الكلام بالظلم ، وذلك ما يوضح المعنى ويبين ، فلم أن لفظة القوم هنا ليست لفظة في الكلام وإنما يحصل بسقوطها لبس في المعنى ، وعدم بيان الكلام محتاج له . والمساواة لأن لفظة الآية لا يزيد على معناها . وحسن النسق لأنه — سبحانه — عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب حسبما وقعت . واثنالف اللفظ مع المعنى ، لأن كل لفظة لإيضاح موضعها غيرها . والإيجاز لأنه — سبحانه — اقتصر القصص بلفظها مستوحية بحيث لم يخل منها بشيء في أخصر عبارة . والتسليم لأن أول الآية إلى قوله تعالى : « اقلعي » يقتضي آخرها . والتهذيب لأن مسردات الاثناظ موصوفة بصفات الحسن ، كل لفظة سمحة سهلة مخارج الحروف عليها رونق النصاحة مع الخلو عن البشاعة والتركيب سليمة من التعقيد وأسبابه . والتقديم والتأخير ، والحذف المخل ، والزائدة المسببة ، وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء من هذا النظام . والتكئين لأن الفاصلة مستقرة في قسارها

(٣٩) سورة هود : الآية ٢٨ .

(٤٠) سورة هود : الآية ٣٧ .

مطبقة في مكانها غير قلقة ولا مستعدة • والانسجام وهو تحدّد الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وينساب انسياب العليل من الهواء • وما في مجموع الآية من الابداع وهو الذي سبّني به هذا الباب من أن كل لفظة لا تظفر عن أن يستخرج منها ضرب أو ضربان من البديع • فهذه آية عدة الفانطازيا سبع عشرة لفظة تتضمن أحداً وعشرين ضرباً من البديع غير ما يتصوّد من ضروبها فإن الاستعارة وقعت منها في موضعين : وهما استعارة الأيضاح للأرض والافلاخ للنساء • والمجاز في مكانين في قوله سبحانه « وأساء » وفي الإشارة والتشليل والاراداف لأن المجاز مجازان : مجاز بالحذف ومجاز بالتخيير وقد وقعا معا • فاعظم رحمتك الله - إلى عظمة هذا الكلام لتعلم ما الطوى عليه قلبه وما تفسنه لفظة « •

وكان عبدالقاهر الجرجاني قد وقف عند هذه الآية الكريمة ونظر إليها من خلال النظم حيناً يدق واللفظ حين يتحد فقال وهو يتحدث عن نسيم ألبان الآية : « وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك وأساء اقله ويغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل : بعداً للقوم الظالمين » فتجلى لك منها الاعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلام ببعضها البعض وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقرها إلى آخرها وأن الفضل نتائج ما بينها ، وحصل من مجموعها • إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين اخوانها وأردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية « قل « ابلعي » واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها • وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة فسي أن تردت الأرض ثم أمرت ، ثم في أن كان النداء بـ « يا » دون « أي » نحو « يا أيها

الأرض » ثم إضافة الماء الى الكاف دون أن يقال « ابطسي الماء » ثم أن اتبع فباء الأرض وأمرها بما هو شأنها فلباء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم قيل « وغيض الماء » فجعل الفعل على صيغة « ففعل » الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر أمر وقدره قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى « وقضي الأمر » ثم ذكر ما هو غائبة هذه الأمور وهو « استوت على الجودي » ثم اخصار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الضخامة والدلالة على عظم الشأن مقابلة « قيل » في الضخامة بـ « قيل » في الفائدة . اقترى لشيء من هذه الخصائص التي تتلوك بالأعجاز روعة وتعطرك عند تصورها هيئة تحيط بالنفس من أقطارها تطلقاً بالنظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في الفم أم كل ذلك لما بين معاني الالفاظ من الانساق الجيب (١١) .

ووقف السكاكي عند هذه الآية وقفة طويلة ونظر إليها من خلال تقسيمه البلاغة الى فئتين متيزين هما : علم المعاني وعلم البيان ، ومن خلال التفصاح والبلاغة اللتين حددتهما وأرسى قواعدهما ، وحللها تحليلًا مفصلاً معتمداً على تحليل عبدالقاهر ، ولكنه لم يستطع أن يكشف السحر الحلال الذي تميز به كلام الله كما استطاع الشيخ وابن أبي الاصبح المصري (١٢) . وما يحسد للسكاكي أنه حاول أن يتفوق القرآن الكريم وأن يشير الى ما فيه من روعة وجلال ، ووجه الى مواطن ذلك ، ولكنه لم يعلق كما حلق غيره لأنه عاش في بيئة بعيدة عن مهد العرب وفي زمان اتجه الأدب فيه نحو الجمود وأخفت علوم اللغة تنحصر في التقسيم والتحديد ، وإن كان السكاكي نفسه يرى « أن شأن الأعجاز عجيب يترك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تمرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة » وإن مدرك الأعجاز عنده « هو الذوق

(١١) دلائل الإعجاز ص ٣٦-٣٧ .

(١٢) ينظر تحليل الآية في مفتاح العلوم ص ١٩٧ .

ليس إلا " وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العليين - العسائي والبيان<sup>(٤٢)</sup>، ولكن أتى له التحليق، وهو صاحب «مفتاح العلوم» الذي صيغ قواعد الصرف والنحو والبلاغة فيه صيغاً ألقدها رواده وأحاطها قواعد تحفظ وأمثلة مبتكرة تتردد بين المتأدبين .

ومهما يكن من أمر فقد كان القرآن سبباً في تحليل البلاغين لأياته لكي يكشفوا عن روعته وجماله وقارونه بكلام العرب البليغ . وكان من ذلك أن وقف بعضهم يقارن بين قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة »<sup>(٤٣)</sup> وقول بعضهم : « القتل أهنى للقتل » . قال الخليل القزويني ( ٧٣٩ هـ ) : « وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم « القتل أهنى للقتل » من وجوه :

أحدها : أن عددة حروف ما ينظره منه وهو « في القصاص حياة » عشرة في اللفظ ، وعددة حروفه أربعة عشر .

وثانيها : ما فيه من التصريح بالملطوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أجزر عن القتل بغير حق لكونه أدمى إلى الانقصاص .  
وثالثها : ما فيه تشكيك « حياة » من التعظيم أو التوعية .

ورابعا : المراد بخلاف قولهم ، فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

وخامسها : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم .

وسادسها : استفادته عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فإن تقديره : القتل أهنى للقتل من تركه .

وسابعها : أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق .

(٤٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦ - (٤٤) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ .

وثامتها : جعل التخصيص كالمنع والممنوع للحياة بإدخال « في » عليه <sup>(١٥٠)</sup> .

إنَّ مثل هذه المقارنة بين كلام الله وكلام البشر لا تثبت إن كلامه — تعالى — أسس من كلام غيره لأن ذلك مستقر في النفوس المؤمنة ، ولكنها تكشف عن الفرق بين التورين من التعبير وأداء الفكرة وتعطي صورة واضحة لروعة القرآن وهو ما يحتاج إليه المسلم أولاً والثاني ثانياً والمكرر ثالثاً ، وفي ذلك خدمة عظيمة لكلام الله واللغة العربية وبلاغتها .

وساعد الشاهد القرآني علماء البلاغة على الكشف عن مسائل كثيرة اتصل بالأسلوب العربي والرد على من يذهب بعيداً في تفسير الكلام أو يشك في ظن القرآن . ومن أمثلة ذلك وقوفهم على « براعة التخلّص » التي لم يحسن القدماء تطويرها وعلوّها الشراء المحدثون في العصر العباسي .

قال ابن أبي الأصبغ المصري وهو يتحدث عن هذا الفن : « وقد ذهب أصحاب الإعجاز إلى أنه وجه الإعجاز ، وهو دقيق في عين الغبيّ خفيّ يخفى على غير الحنّان من ذوي النقد . وهو مبثوث في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره فانك تحق من الكتاب العزيز على مواضع تجددها في الظاهر فصلاً متناثرة لا تعرف كيف تجمع بينها فانما أنعت النظر وكنت ممن له ذرية بهذه الصناعة ظهر لك الجمع بينهما كقوله سبحانه وتعالى : « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً » من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير . وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لني إسرائيل ألا تخفوا من دوني وكبلاً . ذريعة من حسبنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً » <sup>(١٥١)</sup> . فانك إذا نظرت إلى قوله تعالى : « وآتيناه موسى الكتاب » وجدت هذا الفصل

(١٥٠) الايضاح ص ١٨٢ .

(١٥١) سورة الاسراء : الآيات ١ - ٢ .



مباينا لما قبله حتى نذكر تشدد الوصل بين الفصلين في قوله : « سبحانه الذي أسرى بعبده » فانه - سبحانه - أخير بأنه أسرى بعبده - صلى الله عليه وسلم - ليريه من آياته ويرسله الى عباده كما أسرى موسى من مصر حين خرج منها خائفاً يترقب فأنى مَدِينَتَيْنِ وزوج بابنة شعيب ، وأسرى بها فرأى النار فخطبه ربه وأرسله الى فرعون وآناه الكتاب . فهذا الوصل بين هذين الفصلين ، وأما الوصل بين ما ذكرت وبين قوله تعالى : « ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً » فقد كان هي بنسي اسرائيل نعمة عليهم قديماً حيث نجاهم في السفن إذ لو لم ينج لإداهم من أبناء نوح لما وجدوا وأخبرهم أن نوحاً كان شكوراً وهم ذريته والولد سرّ أبيه فيجب أن يكونوا شاكرين لأبيهم » (١٢٧) .

وكان السامع القرآني مثلاً يحتذى في الكتابة ، وقد ظهر ذلك فيما طرقة البلاغيون في « الحل » و « العقد » (١٢٨) ولا يكاد البحث يستلعب حصر ذلك خلال القرون الطويلة لأن كتاب الله ملا النفوس إيماناً ، والعقول ازدهاراً والألسنة بقاء ، وسيظل ذلك الى ما شاء الله نهراً سائياً يضيء طريق المؤمنين .

تلك بعض ملامح أثر القرآن الكريم في البلاغة العربية وقد انفسح انه أثر في مسألتين :

الأولى : الدافع وهو البحث في أساليب العرب ليقتب الناس على روعة كتاب الله وجماله وفهم مقاصده ومعانيه وإدراك اعجازه . وقد تثل نفسي الكتب التي تحدثت عن معاني القرآن ومعجازه ، وفي الدراسات التي تحدثت عن وجوه الاعجاز ، وهي دراسات بلاغية لأنها عتبت بفنون البلاغة وحددتها

(١٢٧) تحرير التحرير ص ١٢٣ ، وينظر بديع القرآن ص ١٦٧ .

(١٢٨) ينظر في موضوع الحل والعقد : البديع في نقد الشعر ص ٢٥٩ ، التل السائر ج ١ ص ٧٧ ، حسن التوسل ص ٢٢٥ ، جوهر الكثر ص ١٩٥ .

وقسمتها وشرحت وسائل التعبير بها . واتضح لي كتب التفسير والاصول وهي كتب كانت تدور في مقدماتها وفي ثانياً فصولها الى تعلم البلاغة ودراستها لانها السبيل الموصل الى فهم القرآن واستنباط الاحكام منه . وقد اتضح ان ذلك ظل مرتبطاً بالدراسات البلاغية وقرن البلاغيون وغيرهم علم المعاني بالاصول .

الثانية : الشاهد ، وذلك ان كلام الله كان المثال الأعلى عند البلاغيين وغيرهم وقد اتضح ذلك لي وضع الشاهد القرآني على قمة النواهد ، وفي تحليل الآيات القرآنية واستخراج القسوس البلاغية منها ، وفي حلها في الكلام أو عقدتها في الشعر .

ولا يفتأ اثر القرآن عند هذه الجوانب بل هناك جوانب كثيرة كان له دور في ظهورها وكشفها ، وقد ظل - وسيبقى - منسل الادياء وقدمه البلاغيين ومعين المسلمين في حياتهم وزادهم في آخرتهم الى ماشاء الله ؛ لانه الكتاب الأعظم والدستور الأوحد لكل من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر .

## المصادر :

- ١ - الإيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة ( مطبعة السنة المحمدية ) .
- ٢ - البديع - ابن المعتز . طبعة كرانسكونسكي . لندن ١٩٢٥ م .
- ٣ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ . تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبد الجيد . القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠ م .
- ٤ - بديع القرآن - ابن أبي الاصمعي المصري . تحقيق حفني محمد شرف - القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧ م .
- ٥ - البلاغة عند السكاكي . الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ٦ - تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان اصحار القرآن . ابن أبي الاصمعي المصري . تحقيق الدكتور حفني محمد شرف . القاهرة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م .

- ٧ - جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، القاهرة .
- ٨ - الجندان في تشبيهات القرآن - ابن نايف البغدادي - تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديدي ، بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .
- ٩ - جواهر الكنز - نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي - تحقيق الدكتور محمد زغول سلام ، الإسكندرية - مصر .
- ١٠ - حسن التوصل - ضياء الدين الحلبي ، تحقيق الدكتور أسرم عثمان يوسف ، بغداد ١٩٨٠م .
- ١١ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ .
- ١٢ - الرسالة - محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م .
- ١٣ - سيرة ابن هشام - ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته - القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- ١٤ - الطراز - يحيى بن حمزة الطولي - القاهرة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .
- ١٥ - هروس الأفراح في شرح تلخيص الفناج - بهاء الدين السبكي ، ( شروح التلخيص ) - القاهرة ١٩٢٧م .
- ١٦ - كتاب الصناعاتين - أبو هلال العسكري - تحقيق علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ١٧ - الكتاب جاراه الرمشري ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .
- ١٨ - القل السائر في ادب الكلاب والسياف - ضياء الدين بن الأثير الجزدي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحيد - القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
- ١٩ - معجم الأدباء - ياقوت الحموي - تحقيق مرقليوث ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٢٣م .
- ٢٠ - مفتاح العلوم - يوسف بن أبي بكر السكاكي ، القاهرة ١٣٥٩هـ - ١٩٣٧م .
- ٢١ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون ، دار الكتاب - بيروت .
- ٢٢ - مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب ، بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٢٣ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء - ابن الأثيري ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٥٩م .



(٧)

## بديع القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله المنزل على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو أبلغ كلام وأنصح ، وقد وقف العرب أمامه مبهورين ولم يستطيعوا أن يقولوا إلا الله «أساطير الأولين» وإن الرسول الكريم «اكتبناه» شلى عليه بكرة وأصيلا»<sup>(١)</sup> . وعجزوا عن أن يأتوا بشئ أو يعثر سور أو بسورة ولما بان عجزهم قال الله تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بشئ هذا القرآن لا يأتون بشئ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »<sup>(٢)</sup> . وكان هذا التحدي تقوم عرفوا بالبالغة والقصحة وكان كساب الله من جنس كلامهم فهو « لسان عربي مبين »<sup>(٣)</sup> . وشغلت بلاغة القرآن وقصاحته الناس ، وعدّ العلماء ذلك وجها من وجوه الإعجاز وشرعوا يبحثون في هذا الوجه ويؤثنون الرسائل والكتب ، وكان وصف الله - سبحانه وتعالى - لكتابه العزيز أنه « عربي مبين » منطلق البحث في فنون البلاغة والوقوف على أثرها في المعنى وفعلها في النفوس ، والبديع - بمعناه المتأخر - أحد الموضوعات التي سموا إلى اظهارها وتبيان قيسها وأثرها في الكلام وهو - كما عرفته القصاص - « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال

(هـ) نشر بعنوان « القرآن الكريم والبديع » في مجلة الرسالة الإسلامية (العددان ١٥٥ - ١٥٦) / رجب ١٤٠٣ هـ - نيسان ١٩٨٢ م . (الطبعة السادسة عشرة) .

(١) سورة الفرقان ، الآية ٥ .

(٢) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ .

(٣) سورة النحل ، الآية ١٠٣ .

ووضوح الدلالة»<sup>(١)</sup> . ولكنهم لم يصيبوا في ذلك لانهم أخذوا تعرضهم ما وصلت اليه البلاغة العربية في عهودها المتأخرة ومن انصرف المنشئين الى الزخرف الذي أبعدهم عن الهدف الذي يسعى اليه البليغ الفصيح .

لقد كان العرب قبل الاسلام وبعده يلغون كلامهم بصور البديع ولم يتقصدا الى الزينة أو الحلية قصداً وانما وجدوا البديع جزءاً مهماً من الصياغة وأنه يعبر عن المعنى تعبيراً دقيقاً ويطغى على الكلمات إحصاءٌ يثير في النفوس أجمل الصور وأروعها . ولو كان هدف البديع غير ذلك ما حفل به القرآن الكريم ولتجرد منه لأنه كتاب هداية . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»<sup>(٢)</sup> وقد فصله الله تعالى « على علم ، هدى » ورحمة لتقوم يؤمنون»<sup>(٣)</sup> . وكان كتب الله من جنس كلامهم والى ذلك أشار المتقدمون فقال الامام محمد بن ادريس الشافعي : « إن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ، لأنه لا يعلم من إيضاح جمل عام الكتاب أحد جمل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجناب معانيه وتفرقها . وما علمه اتقت عنه الشبهة التي دخلت على من جهل لسانها»<sup>(٤)</sup> . ثم تحدث عن أساليب العرب وقال : « فلما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ، وكان ما تعرف من معانيها اتساع لسانها وان فيظن أنه يخاطب بالشئ منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر ويستغنى بأول هذا منه عن آخره ، ووعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه ، وعاماً ظاهراً يراد به الخاص ، وظاهراً يعرف في سبيله أنه يراد به غير ظاهره ، لكل هذا موجود عليه في أول الكلام أو وسطه أو آخره . وتبتدىء الشئ من كلامها يتبين أول لفظها فيه عن آخره وتبتدىء الشئ يتبين آخر لفظها منه عن أوله ، وتكلم

(١) الإيضاح ص ١٢٢ ، التلخيص ص ٢١٧ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية ٥٢ .

(٧) الرسالة ص ٥٠ .

بالشيء، تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الإشارة ثم يكون هذا عندنا من أعلى كلامها لأفراد أهل عليها به دون أهل جهاتها . وتسمى الشيء الواحد بالاسماء الكثيرة ، وتسمى بالاسم الواحد المعاني الكثيرة « (٨) » . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : « قتي القسرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني ، ومن المحتل من مجاز ما اختصر ، ومجاز ما حذفت ومجاز ما كتبت عن غيره ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع ، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين ، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خير الواحد ، ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد إذا اشرك بينه وبين آخر مفرد ومجاز ما خبر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك فجعل الخبر الواحد أو للجميع وكلف عن خير الآخر ، ومجاز ما خبر عن اثنين أو أكثر من ذلك فجعل الخبر الأول منها ، ومجاز ما خبر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك فجعل الخبر للآخر منها . ومجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس ، والحيوان كليل ما أكل من غير الناس وهي الدواب كلها ، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغالب ومعناه مخاطبة الشاهد ، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحوت مخاطبته هذه الى مخاطبة الغالب ، ومجاز ما يزداد من حروف الزوائد ويقع مجاز الكلام على الفائت ، ومجاز الضم استثناء عن إظهاره ، ومجاز المكرر للتوكيد ، ومجاز المجمل استثناء عن كثرة التكرير ، ومجاز المقدم والمؤخر ، ومجاز ما يحول من غيره الى خبر غيره بعد أن يكون من سببه فيجعل خبره للذي من سببه ويشرك هو . وكل هذا جائز قد تكلموا به » (٩) .

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في مقدمة تفسيره : « وإذا كان لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - عربيا فليكن أن القرآن عربي وبذلك أيضا نطق بحكم تنزيل ربنا فقال جل ذكره : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا

(٨) الرسالة ص ٥١ - ٥٢ .

(٩) مجاز القرآن ج ١ ص ١٨ - ١٩ .

لعلكم تستقيمون» (١٢١) وقال : « والله لتنزّلن رب العالمين » تنزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » (١٢٢) .  
 وإذا كانت واضحة صحة ما قلنا - بما عليه استشهدنا من التواحد ودلالتنا عليه من الدلائل - فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزّل على نبيّنا محمد - صلى الله عليه وسلم - لمعاني كلام العرب موافقة وظاهره وظاهر كلامها ملائمة ، وإن باقته كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان بما قد تقدم وصحّته . فإذا كان ذلك كذلك فيسّر إذ كان موجوداً في كلام العرب الإيجاز والاختصار ، والاجتزاء بالاختفاء من الظاهر ، وبالقلّة من الإكثار في بعض الأحوال ، واستعمال الإطالة والإكثار والترداد والتكرار والظهار الثماني بالأسماء دون التكناية عنها ، والأسرار في بعض الأوقات الخاص في المراد بالعام الظاهر ، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر . وعن التكناية والمراد منه الصريح وعن الصفة والمراد الموصوف ، وعن الموصوف والمراد الصفة ، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر وتأخير ما هو في المعنى مقدم ، والاكتفاء ببعض من بعض وبما يظهر عما يحذف والنهار ما يحذف الحذف أن يكون ما في كتاب الله المنزّل على نبيّنا محمد - صلى الله عليه وسلم - من ذلك في كل ذلك له ظهيراً وله مثلاً ونسبها » (١٢٣) .

ولا يكاد كتاب بلاغي يخلو من آيات هذه الحقيقة الخالفة التي لا ينكرها إلا جاحد القرآن وأسلوبه العربي المبين . وهذه الحقيقة الناصعة التي لا ريب فيها كانت دافعة إلى البحث في بلاغة كتاب الله ، وقد بذل الأقدمون جهوداً عظيمة في هذه السبيل مما يعني المعاصرين عن العودة إلى بحثها والوقوف عليها لولا ما يثار بين حين وآخر من شبهات تجد صدق في بعض البيئات . ومن ذلك أن البلاغة العربية نشأت في ظل الأثر الأجنبي وهي دعوة أخذت تزداد

(١٠٠) سورة يوسف ، الآية ٢ .

(١١١) سورة الشعراء ، الآيات ١٩٢ - ١٩٥ .

(١٢٢) جامع البيان ج ١ ص ٧ .

منذ أكثر من نصف قرن في الدراسات ويزعمها بعض المستشرقين وأنصارهم من العرب ، فقد ألهم أن تكون اللغة العربية متميزة على غيرها من اللغات وأن تظل خالدة على أصالتها التي نمت من الأمة وروحها واستقلت روحها وروعتها وبهاهما من كتاب الله العزيز . وكان الدكتور طه حسين قد ذهب إلى أن البيان العربي في أول نشأته وفي عهد الجاهلية تبين فيه ثلاثة عناصر هي : العنصر العربي ، والعنصر الفارسي الذي يميل إلى البراعة والظرف في القول والهيئة ، والعنصر اليوناني الذي يتصل بالعلماني من حيث دقتها والعلاقة بينها وبين الالفاظ . وانتهى إلى أن البيان العربي « كلن في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا وبالبيان اليوناني أخيرا » <sup>(١٣)</sup> . وادن لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان <sup>(١٤)</sup> . وليس ذلك بصحيح لأن أرسطو لم يذكر سوى فنون بلاغية قليلة كالتشبيه والمجاز وهما ما اهتمت فيه الأمم وعرفا في جميع اللغات ، وإلا بعض ألوان البديع التي زخرت بكثير منها بلغة العرب . وذهب السيوطي مرسية إلى أن « الزخرف الفني وصل إلى العرب من الفرس » وحججه « أن المؤلفين بالزخرف من كتاب اللغة العربية أكثرهم من الفرس المستعربين » <sup>(١٥)</sup> . والغريب أن القائلين بالآثر الفارسي لم يدرسوا المسألة دراسة علمية وانما اكتفوا بما رذكه المستشرقون والمعرضون ، وقد ثبت أن البلاغة الفارسية — فنا وتأليفا — نشأت في عهد متأخر ، وكان كتابها متأثرين بالفن العربي ، وكان أهم كتبها « ترجمان البلاغة » لحسين بن عسر الرادوياني و « حقائق السحر في دقائق الشعر » لرشيد الدين الوطواط متأثرين بكتب البلاغة العربية وهما متأخران في الظهور ويرجعان إلى القرن الخامس للهجرة وما بعده ، وكانت البلاغة العربية وكتبها قد أخذت طريقها إلى التأليف منذ أواخر القرن الثاني <sup>(١٦)</sup> ،

(١٣) مقدمة نقد النشر ص ٢١ .

(١٤) النشر الفني ج ١ ص ٤٤ .

(١٥) ينظر مناهج بلاغية لمعرفة ذلك بالتفصيل .



وكانت نشأتها عربية وفنونها أصيلة عرقها العرب قبل الإسلام وبعده ولأجل ذلك ألف ابن المعتز العباسي كتابه «البدیع» وقال: «قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا ما وجدناه في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه - وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي ساء المحدثون البدیع، ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأباتواس ومن تقيهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فاعرب عنه ودل عليه» (١٦) .

والأدلة على أن البلاغة العربية فن أصيل كثيرة (١٧) ، ولكن كتاب العربية الأكبر أعظم تلك الأدلة وأصدقها ، وكانت العناية ببلاغته وفصاحته علمية فوضع أبو عبيدة كتابه «مجاز القرآن» من أجل مسألة بلاغية تتعلق بالتنبيه في قوله تعالى: «ملكتموها كأنه رؤوس الشياطين» (١٨) ، وألف ابن المعتز كتابه لاثهار أصالة البدیع في كتاب الله العزيز وكلام العرب البلیغ ، وكتب يحيى بن حمزة الطولي كتابه «الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» ليكون مقدمة يستعين بها كل من يقرأ تفسير «الكشاف» الذي بناء مؤلفه الزمخشري على البلاغة وفي القول: «وألف غيرهم كتبهم من أجل ذلك لأن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شحنه به من الإعجاز البدیع والاختصار اللطيف وضته من الحلاوة ، وجلته من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلفة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها إلى غير ذلك من محاسن التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها» وأنا يعرف إعجازه من

(١٦) البدیع ص ١ .

(١٧) ينظر «أثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية» المنشور في مجلة «دراسات لاجبال» ٢ - السنة الخامسة - العدد الثالث (كانون الأول ١٩٨٢) ص ١١٩ - ١٥١ ، وسبالي في هذا الكتاب .

(١٨) سورة الصافات ، الآية ٦٥ .

جهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلوغ غايته في حسنه وبراعته وسلامته  
 ونصاته وكمال معانيه وصفاً القائله . وقبيح لمصري بالقبح المؤتم به والقارى .  
 المتهدى بهديه والمنكلم المنار اليه في حسن متالوته وتسام آتله في مجادله  
 وشدة شكيبته في حجاجه ، وبالعربي الصليب والقرشي المريح الآ يعرف  
 اعجاز كتاب الله تعالى إلا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي أو أن  
 يستدل عليه بنا استدل به الجاهل القبي . فينبغي من هذه الجهة أن يقدم  
 اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفته عدله والتصديق  
 برحمته ووحيده (١٩) .

وألفت كتب خاصة في البديع ومن أشهرها « بديع القرآن » لابن أبي  
 الاسبع المصري الذي أحصى فيه تسعة ومائة فن من بينها المساواة والإيجاز  
 والزائدة وهي من علم المعاني ، والتشبيه والتشيل والجاز والاستعارة والكناية  
 وهي من علم البيان . وتبقى فنون الأخرى خاصة لعلم البديع وهي كثيرة  
 تدل دلالة واضحة على أن لغة العرب واسعة وانها لم تأخذ فنونها البلاغية من  
 الفرس أو اليونان وانما ولدت في البيئة العربية يوم كان اسرق القيس وأوس  
 ابن حجر وزهير بن أبي سلس وطرفة بن العبد والأعشى صناجة العرب وحسان  
 ابن ثابت وغيرهم يطفون البلاد ويرجون على العساسنة في الشام والمنافذة  
 في العراق وقطمون البوادي بين الحجاز واليمامة ووصولون الى البحرين .  
 وتألفت يوم نزل القرآن الكريم على خاتم الرسل وسيد الأنبياء ، ويوم أصبح  
 المثل الأعلى لكل فاطق بالضاد .

إن فنون البديعية التي ضحها كتاب الله تدل على أمرين :

الاول : ان هذه الفنون عربية غير منقولة عن الفرس واليونان ، وانها تمثل  
 روح العرب وأصالتهم في التعبير .

الآخر : ان هذه الفنون ليست حلية تقتصر ، وانما هي دكن مهم في العبارة لا يستغنى عنها ، ولولا ذلك لم يحتفل بها القرآن الكريم والحديث الشريف ولم يذهر بها كلام العرب البليغ .  
وتلك الفنون قسمان :

الأول : ضرب يرجع الى اللفظ كالجناس ورد العجز على الصدر والجمع والموازنة والتضريع ولزوم ما لا يلزم .

والآخر : ضرب يرجع الى المعنى كالمطابقة - الطباق - ومراعاة النظر والارصاد والمساكلة والاستطراد والمزاوجة والتورية والاستخدام واللف والنشر والجمع والتفريق والتقسيم والمبالغة والمذهب الكلامي وحسن التاكيد وتاكيد المدح بما يشبه الذم وتاكيد الذم بما يشبه المدح .  
وقد عده المتأخرون هذه الألوان محسنات يثوي بها لتحسين الكلام ، وذلك التحسين ذاتي أو عرضي ، قال الدسوقي : « واعلم أن المحسنات البديعية انما يكون تحسينها عرضيا إذا اعتبرت من حيث أنها محسنة ، وهي من هذه الجهة يبحث عنها في علم البديع . وأما إذا اعتبرت من حيث أنها مطابقة لمتقضى الحال تكون الحال اقتضاءا كانت موجبة للحسن الذاتي ، وهي من هذه الجهة يبحث عنها في علم المعاني » (١٣٠) . وهذا خلاف لا يفتنى الى شرة بل يؤدي الى انكار ما للفنون البديع من قيمة في التعبير ، ولو اكنى المتأخرون بما جاء في القرآن الكريم من ألوان البديع الكثيرة لأعرضوا عن البحث في التحسين الذاتي والعرضي ؛ لأن ذلك لا يتفق وبلاغة القرآن وروعة أسلوبه المبين . إن التأمل في كلام الله والوقوف على معانيه السامية وتذوق أطلاله الموحية ومعانيه المؤثرة يؤكد أن البديع لم يكن حلية أو محسنا عرضيا وانما هو أسلوب يهدف الى أمور منها :

(٢٠) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٣١ .

الأول إبراز المعنى بأجلى صورة وأوضحها .

الثاني : جمال التعبير واتساقه البديع .

الثالث : روعة التأثير وقلمه في النفوس .

ولايضاح الفكرة لايتأت من عرض بعض صور البديع من القرآن الكريم، فمن ذلك ما جاء من جناس تام في قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق ينزل من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برق فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار . ينقلب الله الليل والنهار ، إن في ذلك لعلية لأولي الأبصار » (٢١) . فقد تحدث سبحانه وتعالى عن قسوته حين يسوق سحاباً في السماء ثم يؤلف بينه ويخرج المطر من خلاله ثم ينزله من السماء فيصيب من يشاء فتغضب أرضهم وينمو زرعهم ، ويصرفه عن من يشاء فتجذب أرضهم وتسوء حالهم . والصورة هنا مرئية بالعين فالتسا يذهب بالابصار ، ومحسوسة بالقلب وما يمثل فيه حين يفرح الإنسان بخير يمه أو يحزن لشئ يصيبه . وقد جاءت « الابصار » الأولى وهي جمع « بصر » معبرة بدقة عن المعنى في قوله تعالى : « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » وجاءت الثانية بمعنى البصيرة والادراك في قوله تعالى : « إن في ذلك لعلية لأولي الابصار » . وليست هناك لحظة تغني عن إحداها كالعيون والقلوب ، وما أروع لحظة « البصر » التي ترددت في القرآن الكريم كقوله تعالى : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (٢٢) وقوله : « وما أمروا إلا لعلح البصر أو هو أقرب » (٢٣) . وقوله : « ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير » (٢٤) . وما أجمل « الابصار » في

(٢١) سورة النور ، الآيات ٤٣ - ٤٤ .

(٢٢) سورة ق ، الآية ٢٢ .

(٢٣) سورة النحل ، الآية ٧٧ .

(٢٤) سورة الملك ، الآية ١ .

قوله : « فانها لا تسمى الأبصار » ولكن تسمى القلوب التي في الصدور (٢٥) .  
وقوله : « واذا زاعثر الأبصار » وبلغت القلوب الحناجر (٢٦) .

ومن الجنس التام أيضا قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة » تفسيره\*  
المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك يؤفكون (٢٧) ، « فالساعة الأولى يوم  
القيامة ، والثانية الوقت ، وقد جاءت للتعبير عن شعور المجرمين بالوقت القصير .  
ووردت لفظة « الساعة » كثيرا في كتاب الله وكانت تدل على يوم القيامة  
مرة وعلى الوقت مرة أخرى ، ولكن الآية الكريمة جمعت الدلائل  
في المعنيين ، وعبرتنا عن المعنى أدق تعبير .

ومن الجنس الناقص قوله تعالى : « والتفت الساق بالساق » الس  
ربك يومئذ المساق (٢٨) . و « المساق » هنا غير الرجوع أو الذهاب أو  
السير وغير ذلك من اللفاظ التي تدل على الاختيار ولكنه الجبر إلى الله  
تعالى للحساب ، فكانت اللفظة شديدة الدلالة على المعنى ومعبرة عن الصورة  
التي يلقى فيها الإنسان العاجل ربه . وتتجلى الصورة بوضوح حين نربط  
بالمعنى العام كله ، يقول تعالى : « كلا ! إنا بلغت التراخي » وقيل من  
راق . وطن . أنه الفراق . والتفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذ  
المساق . فلا صدق ولا صلي . ولكن كذب وتولي . ثم ذهب إلى  
أهله ينطى . أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى . يحسب الإنسان  
أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى . ثم كان علقة  
فتخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر  
على أن يحيي الموتى (٢٩) .

(٢٥) سورة الحج ، الآية ٦ .

(٢٦) سورة الاحزاب ، الآية ١٠ .

(٢٧) سورة الروم ، الآية ٥٥ .

(٢٨) سورة القيامة ، الآيتان ٢٩ - ٣٠ .

(٢٩) سورة القيامة ، الآيات ٢٦ - ٤٠ .

ومن صور اليديع السجع كقوله تعالى في سورة الضحى : « والضحى .  
والليل إذا سجى » ما ودّك ربك وما قلى » وللآخرة غير لك من الأولى .  
والسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدك يتيماً فاوى . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى . فأما اليتيم فـ فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث » . لقد أقسم الله تعالى بالضحى ثم بالليل  
ولكنه ليس بالمعصوف لأن ذلك لا يتفق واشراق الضحى وعذوبة » ثم وجّه  
الكلام الى نبيه العظيم فقال : « ما ودّك ربك » وأوفى كلمة تأتي بعد  
ذلك فعل « قلى » الذي لا تؤدي معناه لفظاً أخرى كالهجر أو التترك لأن  
القلبي فيه بنسب وكراهية ، وقد يترك الإنسان صاحبه أو يهجره من غير أن  
يتكرهه أو يحمل في قلبه عليه حقاً ولا يقابل « الآخرة » إلا « الأولى »  
ولا يكون بعد العطاء إلا الرضى في مثل هذا الموقف ، وحينما انتهى الكلام  
الى ما كان عليه محمد - صلى الله عليه وسلم - من يتمر وحيرة ، حامت  
لفظة « الهدى » أو الفعل « هدى » بعد الضلالة و « الغنى » بعد « الفقر » ،  
وكانت لفظة « تنهر » بعد « تقهر » لأن كلام من الصالحين يقتل على المعنى  
المقصود ، فالتقهر لليتيم والنهر للسائل ما يثير الألم في النفس ، وليس في  
اللغة ما يعبر عن هذا المعنى تعبيراً دقيقاً مثل هذين الفعلين - وإنّ ما جاء  
فيها مما شكّي - لزوم ما لا يلزم » ليس حلية أو صناعة ، وإنما هو ما اقتضاه  
المعنى ولو كان المقصود غير ذلك لجاءت أفعال أخرى ليس فيها هذا  
اللون من اليديع ، ولما أراد - سبحانه وتعالى - من نبيه المرسل رحمة للعالمين  
أن يحدث بنمته قال : « وأما بنعمة ربك فحدث » أي بلغ ما أرسلت  
به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وهي أجل النعم ، والفرق كبير بين  
« حدث » و « خبر » ولذلك لم يقل « فخير » . فالسجع في سورة  
« الضحى » لم يأت زينة وإنما تطلبه المعنى واقتضاه ، ولو غيّرت اللفظ  
لتغيّر المعنى وذهب المقصد ، وهذا هو السجع الذي حرص عليه البلغاء  
والأدباء . أما ما شاع في كلام المتأخرين فهو قيود أفضت الكلام رواء

ومعناه وحلية جعلت الناس يتفرون منه ويتهون كما هي النبي - صلى الله عليه وسلم عن سجع الكهان ولذلك ابتعد الباحثون عن هذه التسمية المأخوذة من سجع الحمام وهو تزييد صوتها وأطلقوا مصطلح « التواصل » على هذا اللون من التعبير في كتاب الله . وأصبحت الفاصلة أهم من السجع ودخلت فيها الموازنة وهي « أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقية »<sup>(٣٠)</sup> كقوله تعالى : « ونساق مصفوفة » و « زرابي مبثوثة »<sup>(٣١)</sup> ، لفظ « مبثوثة » لا تنتهي بـ « اتتهت به » مصفوفة » ولكنها على وزنها . ومثل ذلك قوله تعالى : « وآياتها الكتاب المبين » و « آياتها » الصراط المستقيم »<sup>(٣٢)</sup> ، لفظ « المستقيم » لا تنتهي بـ « اتتهت » وإنما بالميم القريبة منها ، وهي تعطي إيقاعاً يديماً إلى جانب التوازن بين الآيتين في عدد الكلمات والارتباط بينهما في المعنى .

والجناس والسجع من المحسنات اللغوية عند المتأخرين ، وفي ذلك إيمان بأنها يختصان بالنظ وحده ، وليس الأمر كذلك بل هما مادة المعنى وأداة التعبير في الآيات السابقة وفي بليغ كلام العرب ولصيحه . أما الضرب الآخر من البديع فهو المحسنات المعنوية ، وقد جعل المتأخرون منه المطابقة - الطباق - وهي « الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة »<sup>(٣٣)</sup> . والمطابقة من الأساليب المهمة في التعبير ؛ لأن في مقابلة الاضداد إبرازاً للمعنى وقد قيل : « والضد يظهر حسنه الضد » . ومن بديع هذا الفن قوله تعالى : « وأنت هو أضحك وأنت هو أمات وأحيا » وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى »<sup>(٣٤)</sup> ، فقد جاءت

(٣٠) الإيضاح ص ٣٩٨ ، التلخيص ص ٤٠٤ .

(٣١) سورة القاشية ، الآيتان ١٥ - ١٦ .

(٣٢) سورة الصافات ، الآيتان ١١٧ - ١١٨ .

(٣٣) الإيضاح ص ٣٢٤ ، التلخيص ص ٣٢٨ .

(٣٤) سورة النجم ، الآيات ٤٣ - ٤٥ .

المطابقة بين « أشحك » و « أبكى » وبين « أمات » و « أحيا » وبين « الذكر » و « الأنثى » وكانت التواضع دالة على المعنى أحسن دلالة ومعبرة عن الغرض أبدع تعبير . ومثله قوله تعالى : « وإن يروا سبيلا الرشيد لا يتخذوه سبيلا » وإن يروا سبيلا الذي يتخذوه سبيلا<sup>(٣٥)</sup> . فقد جاء « الرشيد » و « الذي » وهما متضادان وجاء « لا يتخذوه » و « يتخذوه » وهما متضادان . ولم يقصد الى هذه المطابقة قصداً وإنما طلبها المعنى واستدعاه ، ومثل ذلك قوله تعالى « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »<sup>(٣٦)</sup> فقد جاءت لفظة « الأسود » مطابقة للفظة « الأبيض » والمعنى هو الذي طلبها ، ولا تصح كلمة أخرى مكانها لأن « الأبيض » يقابل « الأسود » مقابلة تامة ولو ذكر لون آخر لذهبت الصورة وخفي المنصود من التعبير بل لظهرت العبارة شاذة تقتضي الاشتراق والحياة .

ومما سبي محسنات ألف والنثر وهو « ذكر متعدد على جهة التفصيل والأجمال » ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يردّه اليه<sup>(٣٧)</sup> كقوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله »<sup>(٣٨)</sup> . فإن « لتسكنوا » يرجع الى الأول وهو الليل ، و « لتبتغوا » يعود الى الثاني وهو النهار . وكقولاه : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى »<sup>(٣٩)</sup> فإن الضمير في « قالوا » لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى : وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى . فلفظ « بين القولين ثقة بأن السامع يردّه الى كل فريق قوله ،

(٣٥) سورة الأعراف ، الآية ١٢٦ .

(٣٦) سورة البقرة ، الآية ١٨٧ .

(٣٧) الإنشراح ص ٣٥٥ ، التلخيص ص ٣٦١ .

(٣٨) سورة القصص ، الآية ٧٣ . (٣٩) سورة البقرة ، الآية ١١١ .



وهذا أسلوب مهم في اللغة العربية كثير الاستعمال في حصر القضايا ثم  
تفسيرها .

ومنا المذهب الكلامي وهو « أن يورد المتكلم حجة لا يدعيه على طريقة  
أهل الكلام »<sup>(١٠٦)</sup> كقوله تعالى : لو كان فيها آية إلا الله لفسدنا «<sup>(١٠٧)</sup> ،  
وقوله : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه »<sup>(١٠٨)</sup> أي أن  
الاعادة أهون عليه من البدء ، وما دام الله قد خلق الناس فهو قادر على  
أن يعيدهم ويمتحنهم من جديد . وكان المذهب الكلامي من الفنون التي  
أفكر ابن المعتز وجودها في القرآن الكريم فقال : « وهذا باب ما أضمر  
أبي وجدت في القرآن منه شيئا ، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن  
ذلك علوا كبيرا »<sup>(١٠٩)</sup> . ولكن هذا الفن من الأساليب التي يعتمد عليها  
الكلام ولذلك لم يأخذ البلاغيون برأي ابن المعتز وتحدثوا عنه في يدعي  
القرآن وقال ابن أبي الأصم المصري : « الكتاب الكريم مشحون به »<sup>(١١٠)</sup>  
وذكر كثيرا من الآيات الدالة على أهمية هذا الأسلوب في عرض القضايا  
والاستنتاج منها .

ومن جميل ألوان البديع فن سماء البلاغيون « الإبداع » وهو « أن  
تكون كل نقطة من لفظ الكلام على أفرادها متضمنة بديما أو بديعين  
بحسب قوة الكلام وما يعطيه معناه بحيث يأتي في البيت الواحد والجملة  
الواحدة عدة ضروب من البديع ، ولا تخلو نقطة منه من يدعي فما زاد  
عليه »<sup>(١١١)</sup> . وقد استخرج ابن أبي الأصم كثيرا من الفنون في آية  
واحدة وهي قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، وياساء اقلعي ،  
ونحيض الماء » ، وقضي الأمر ، واستوت على الجودي » ، وقيل بعتدا

(١٠٦) الإيضاح ص ٢٦٦ : التلخيص ص ٢٧٤ .

(١٠٧) سورة الروم ، الآية ٢٧ . (١٠٨) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .

(١٠٩) البديع ص ٥٢ .

(١١٠) بديع القرآن ص ٢٧ ، تحرير التحرير ص ١١٩ .

(١١١) بديع القرآن ص ٢٤٠ ، تحرير التحرير ص ٦١١ .

للقوم القائلين « (١٥) » . وبغيت الفنون التي استخرجها أحداً وعشرين من  
 المحاسن منها : المناسبة ، والمطابقة ، وحسن التعليل ، وصحة التقسيم ،  
 وحسن التسق ، والتسليم ، وحسن البيان . ثم قال بعد أن ذكر الوجوه  
 الكثيرة : « إذ في كل لفظة بديع » وبديعان - كما تقدم - سبع عشرة  
 لفظة تضمنت أحداً وعشرين ضرباً من البلاغة سوى ما يتعدد من ضروبها  
 فإن الاستعارة وقعت في موضعين وهما استعارة الإبتلاخ والاقصلاخ .  
 فاطر - رحمة الله - إلى عظمة هذا الكلام وما انطوى عليه فله  
 وما تضمنه لفظة لتفهمه قلوبهم . وهذا ما ظهر لي منه على ضعف نظري وقلة  
 مداتي من العلوم وكلال ذهني والله أعلم « (١٦) » .

وفي كتاب الله كثير من الفنون البديعية الأخرى كالاتقان والتأكيد  
 المدح بما يشبه الذم ونجاة العارف والتعريف والمباغة والانجم والتحكم  
 والقرائد والزخاة وغيرها من الفنون التي ذكرها البلاغيون ، وهي كلها ترتبط  
 بالمعنى ارتباطاً وثيقاً أي أنها ليست طرية أو محسناً يؤتى به لتزيين  
 الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة . ولو كان هذا  
 هدف البديع لأعرض عنه القرآن وثأى وابعد عن استعماله النبي العربي  
 وسعته الأبرار وتجنبه البلغاء والمصحاء .

إن البديع فن عربي لا رب في ذلك وإن الفرس أو غيرهم من الأمم  
 الإسلامية أخذوه من العرب ، ولم يكن الجاحظ مبالغاً حينما قال :  
 « والبديع مقصور على العرب ومن أجل ما كانت لغتهم كل لغة وأريت على كل  
 لسان » (١٧) ، وإنما هي الحقيقة الناصعة التي لا ينكرها إلا من كان  
 جاهلاً أو من كان شديد الغصام . لقد استعمله الشعراء قبل الإسلام ورفق  
 شأنه القرآن وأكسبه جمالا وقسرة على أداء المعنى بدقة ووضوح ولأن  
 بعض الدارسين المتأخرين أرجعوا كل فضل إلى الفرس أو اليونان ، وسلبوا

(١٥) سور هود ، الآية ١٤ . (١٦) بديع القرآن ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(١٧) البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥ .

الأمة العربية كثيراً من خصائصها الفكرية وسماتها الفنية ، والموازاة الدقيقة بين ما للعرب وغيرهم من الأقوام والأمم تظهر أن أبناء الضاد متمسكون لا مقلدون ، وأن بلاغتهم وسعت ألوان التعبير ، وكانت ذات قدرة حجية على التصور . ومن هنا جاءت الدعوة إلى إعادة النظر فيما كتب في القرن العشرين والنظر في الآراء التي تردت سنوات من غير تحييص ليوضع الفكر العربي الاسلامي حيث ينبغي أن يوضع وبأخذ مكانه في الحضارة الانسانية . وفي ظل هذه الدعوة الصادقة كان النظر في البلاغة العربية ، وهي دعوة بدأت في مطلع هذا القرن أو قبله بقليل وأسرت بعض الشار على يدي الامام الكبير الشيخ محمد عبيد الذي أولى البلاغة عناية كبيرة وأمر بطبع كتابي « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » لعبدالقاهر الجرجاني ، ولكن دعوة الامام أصابها الركود بعد وفاته ولم ترشح إلا أصوات قليلة في سبيل إحياء بلاغة القرآن ، وظلت الاتجاهات المرية تسيطر على الدرس البلاغي متخذة من صور الأدب المتأخرة منطلقاً أفرى كل حاقه على العرب بأن يصم فن قولهم بما لا تؤيده الحقيقة ولا يقبله البحث العلمي الدقيق . والعودة إلى النبع الصافي والأخذ بما أبدعه العصر الحديث يمتد الطرق ويفتح الأفق الرحب لكل من يرئس هذه السبيل . والقرآن الكريم هو المثل الأعلى لكل باحث يؤمن بالمعاني السامية والقيم الرفيعة ، ولعل دراسة البديع من هذا المنطلق تغير ما درج عليه الباحثون وتعيد إلى هذا اللون من صور التعبير سماته وترجع إليه وجهه الشرق الذي تجلّى في كتاب الله وكلام البلغاء والنصحاء . وهذا هو المقياس الصحيح فسي شمل هذه الدراسة الفنية النابعة من روح الأمة العربية وأصالتها ؛ لأن الحكم على فنون البديع من خلال أدب المهود المتأخرة يسلبه قيمته ويجعله زخرفاً وزينة وقينا ولن تنهض اللغة العربية وتجلّى أصاليتها المثمرة ويعود إليها رواؤها ما لم ينهل أبناءها من معينها الصافي ويتنوقسوا عذوبتها ويعتروا بها ، لأنها لغة كتابهم الخالد وعزة وحدتهم ووجه فكرهم وعنوان حضارتهم .

- ١ - اثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية - الدكتور احمد مطلوب . بحث نشر في مجلة ( دراسات للأجيال ) كانون الاول ١٩٨٢م .
- ٢ - الإيضاح - الخطيب القزويني . مطبعة السنة المحمدية - القاهرة .
- ٣ - اليديع - ابن المعتز . طبعة كراشكوسكي . لندن ١٩٢٥م .
- ٤ - يديع القرآن - ابن ابي الاصبع المصري . تحقيق الدكتور حفي محمد شرف . القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- ٥ - البيان والتبيين - الجاحظ . تحقيق عبدالسلام عارون . القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- ٦ - تحرير التنجيز في صناعة الشعر والنثر وبيان امجاز القرآن - ابن ابي الاصبع المصري . تحقيق الدكتور حفي محمد شرف . القاهرة ١٣٢٨هـ - ١٩٦٣م .
- ٧ - التلخيص - الخطيب القزويني . تحقيق عبدالرحمن البرقوقي . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- ٨ - جامع البيان في تأويل أي القرآن - ابن جرير الطبري . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
- ٩ - حاشية الدسوقي - محمد بن محمد عرفة ( مطبوع في شروح التلخيص - القاهرة ١٩٣٧م ) .
- ١٠ - الرسالة - الامام محمد ابن ادريس الشافعي . تحقيق أحمد محمد شاكر . القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٤٠م .
- ١١ - كتاب الصناعاتين - ابو غلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ١٢ - مجاز القرآن - ابو عبيدة معمر بن المنذر . تحقيق الدكتور محمد مؤاد سركين . القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- ١٣ - مناهج بلاغية - الدكتور احمد مطلوب - بيروت ١٣٦٢هـ - ١٩٧٣م .
- ١٤ - النشر الفني في القرن الرابع - الدكتور ركسي مبلوك . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- ١٥ - نقد النثر - التسويب الي قدادة بن جعفر . تحقيق الدكتور طه حسين وعبدالحميد المبادي . الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٣٨م .



## ( ٨ )

### أثر الحديث في البلاغة

الملاح :

كان الرسول الأعظم محمد - صلى الله عليه وسلم - في ذروة الفصاحة والبلاغة وقد قال عن نفسه : « أنا أنصح العرب بيد أبي من قرشي » ، قال يحيى بن حمزة الطوسي : « فلن كلامه - صلى الله عليه وسلم - وإن كان نازلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته في الطبقة العليا بحيث لا يتأنيبه كلام ولا يقاربه وإن انتظم أي النظام <sup>(١)</sup> » . وكلامه - عليه السلام - المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، غير أن اللغويين والنحاة لم يستفيدوا منه كثيراً مع اعتزازهم به وتصديقهم لصاحب الرسالة الإسلامية عليه أفضل الصلاة والسلام . ولو اعتد القدماة كثيراً على كلامه - عليه السلام - لتطورت اللغة العربية واستجذبت صيغ وبنيات قواعد تغير كثيراً مما استقر في الأذهان . ولعل البلاغيين - أي علماء البلاغة - كانوا أشد التصاقاً بالأحاديث الشريفة من علماء اللغة والنحو فقد تحسبوا البلاغة النبوية ونهلوا منها ما وسعهم قواعدهم وأسعفتهم تقسيباتهم .

ولعل الشريف الرضي ( - ٤٠٦ هـ ) كان من أكثر القدماء رجوعاً إلى كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد ألف كتاباً سماه « الجازات

---

١١٠ نشر في مجلة ( دراسات عربية وإسلامية ) ج ٢ سنة ١٩٨٢ م . وهي التي أصدرتها اللجنة الوطنية لاحتفالات القرن الخامس عشر للهجرة ، والباحث أحد أعضائها .

(١) الطراز ج ١ ص ١٦٠ .

النبوة » تعرض فيه لما ورد في الأحاديث الشريفة من فن المجاز بعناء الواسع وبه إلى ذلك فقال : « والي سلكت من ذلك محجبة لم تسلك وطرقت باباً لم يطرُق ، وما رُحبت الي فيه من سلوك مثل تلك الطريقة في عمل كتاب يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ولمع البيان الغريبة وأسرار اللغة اللطيفة »<sup>(٢)</sup> . وهذه الثغاة عظيمة من الشرف الرضي إلى الحديث الشريف ، وقد مكّنه بذلك السبيل للبلاغيين الذين أخذوا يعتمدون على كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويوردون منه أمثلة واضحة لفصاحة والبلاغة .

وتجلى أثر الحديث الشريف في البلاغة في موقعتين :

الأول : اتخاذ الحديث سبيلاً لتعلم الكتابة وإتقانها والتوصل إلى الأساليب الرفيعة ، أي أن كلام الرسول - عليه السلام - مادة أساسية لضبط اللغة والتفنن فيها . وكان شهاب الدين بن الأثير (١٠٤٧هـ) أشهر من دعا إلى ذلك في التوصل الذي عقده لألات علم البيان وأدواته فقال : « إذا ركب الله تعالى في الإنسان طبعاً قابلاً لهذا الفن فيفتقر حيثش إلى ثمانية أنواع من الآلات »<sup>(٣)</sup> وكانت إحدى تلك الآلات « حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال » . وقال شهاب الدين الحلبي ( ٧٢٥هـ ) : « ويظهر ذلك الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية - صلوات الله على قائمها وسلامه - وخصوصاً في السير والمعازي والأحكام والنظر في معانيها ولغويها وفصاحتها وفتح ما لا يمدّ من معرفته من أحكامها لينلق منها عن سعة ويستشهد بكل شيء في موضعه ويحجج بكتاب العجبة ويستدل بموضع

(٢) المجازات النبوية ص ١٩ .

(٣) المثل السائر ج ١ ص ٩ .

الدليل ، وتصرف عن علم بوضوح اللفظ ومعناه ، وبني كلامه على أصل لا يرفع ويسوق مقاصده الى سبيل لا يصد عنه ولا يدفع . فان الدليل على المقصد إذا استند الى النص سلم له وسلم ، والفصاحة إذا طلبت لها بها فانها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم . وقد كان على ذلك في الصدر الأول من الصحابة ولابنهم<sup>(١)</sup> . وقال ابن الأثير الحلبي ( ١٣٧٧هـ ) فيما يحتاج اليه كاتب الانشاء من العلوم والتفصيل ليعد كتابا : « ومنها حفظ جملة من الأحاديث النبوية لفائدتين :

إحداها : تتركب بالحديث لقوله — صلى الله عليه وسلم — : « من حفظ على أمي أربعين حديثا من أمر دينها بعث الله يوم القيامة في زمرة العلماء » وهذه فائدة أخروية .

والفائدة الثانية : السلوك به ملك كتاب الله العزيز باستعماله في مطلوب كلامه مكان الاستشهاد به ، وعند الاحتياج اليه بأمر أو نهي بشرط لزوم الأدب الشرعي في استعماله حتى لا يستعمله فيما يكره الاستعمال فيه شرعا »<sup>(٢)</sup> .

ودخل الحديث الشريف في كلام الأدباء واقتبسوا منه كثيرا فقال مندور الهروي الأزدي :

فلو كانت الاخلاق تحوى وراثة\* ولو كانت الآراء لا تشعب\*  
 لأصبح كل الناس قد ضلهم هوى\* كما أن كل الناس قد ضلهم آف\*  
 ولكنها الأقدار ، كل ميسر\* لما هو مخلوق له ومقرع\*

(١) حسن التوسل ص ٢٨ .

(٢) جوهر الكنز ص ٢٠ .

والبيت الأخير مقتبس من قوله عليه السلام - : «اعملوا ، كل "ميسر" لما خلق له »<sup>(١٩)</sup> . وعقدوا من الحديث الشريف كقول الامام الشافعي - رضي الله عنه - :

عمدة الخير عندنا كلمات "أربع" قالهن "خير" البرشة  
 اتقوا المشتبهات واذهب ودع ما ليس بينك واعلمين "بيته  
 عقد قوله - عليه السلام - : « الحلال بين » والحرام بين » وبينها  
 أمور مشتهات » ، وقوله : « اذهب في الدنيا يحبك الله » وقوله : « من  
 حسن إسلام المرء تركه " ما لا يعنيه » وقوله : « إنا الاعمال بالنيات »<sup>(٢٠)</sup> .  
 وادخلوا الحديث في حسن التعليل ، قال ابن رثيق يعلل قوله -  
 صلى الله عليه وسلم - : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » :

سألت الأرض لم "جعلت مسكناً" ولم "كانت لنا طهوراً وطيباً"  
 فقالت خير فاطقة لأنسي حوت لكل انسان حبيبة  
 قال العلوي : « ولقد أحسن في الاستخراج وأتقن في التعليل فلاجل  
 ما قاله كان ذلك حجة في كونها طهوراً ومسجداً »<sup>(٢١)</sup> .

وحدثوا الأحاديث الشريفة . وكان ضياء الدين بن الأثير من أكثر القدماء  
 اعتماداً بذلك ، وقد تحدث عن حل "آيات القرآن فقال : « وأما حل "آيات  
 القرآن العزيز فليس كثر المعاني الشعرية لأن الفاضل ينبغي أن يحافظ عليها  
 لمكان فصاحتها إلا أنه لا ينبغي أن يؤخذ لفظ الآية بجملته فإن ذلك من باب  
 التضييق وأنا يؤخذ بعبه قاما أن يجعل أولاً "لكلام أو آخراً على حسب  
 ما يقتضيه موضعه . وكذلك تحصل بالأخبار النبوية على أنه قد يؤخذ معنى  
 الآية والخبر فيكسي لفظاً غير لفظه . وليس لذلك من الحسن ما للتسم

(١٩) الإيضاح ص ٤١٩ .

(٢٠) الإيضاح ص ٤٢٢ - ٤٢٤ . (٢١) الطراز ج ٣ ص ١٢٩ .



الاول»<sup>(٩)</sup> ، ثم قال : « وأما الاخبار النبوية فكان القرآن العزيز في حل معانيها»<sup>(١٠)</sup> . وذكر كثيراً من الاخبار النبوية المحطولة ليكون الطريق واضحاً لمن يقوى على سلوكه ، وتبعه في ذلك التأخرون كشهاب الدين الحلبي في كتابه « حسن التوسل الى صناعة التوسل »<sup>(١١)</sup> . وابن الأثير الحلبي في كتابه « جوهر الكثر » وقد قال : « وأما حل الآيات من القرآن العزيز وكذلك الأحاديث النبوية فينبغي للمفسر أن لا يأخذ عند حل الآية والحديث جملة اللفظ قلن ذلك من باب التفسير ، ولا يأخذ المعنى مجرداً عن اللفظ بكماله إلا إن أراد بذلك الاستشهاد ، بل إذا وقع له معنى وكانت آية من الآيات الكريمة أو حديث من الأحاديث النبوية يتضمن ذلك المعنى فيجمل الآية والحديث في سياق كلامه المناسب للمعنى فيطرز كلامه بالآية أو الحديث »<sup>(١٢)</sup> .

لقد كان الحديث الشريف منهلاً عذباً استقى منه الأدباء بلاغتهم وفصاحتهم وأخذوا عنه المعاني الرفيعة والصور الندية والالفاظ الرشيدة فزادوا أدبهم وحلا لتظهم وعذبت معاليهم .

الثاني : اتخاذه الحديث الشريف شاهداً بلاغياً رفيعاً الى جانب كلام الله تعالى . والبلاغيون في هذا المنحى أكثر حرية من التفسيرين والنحاة وأعظم قسرة على تحسس ما في كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بلاغة فاقت كلام العرب . وتوضح الاستفادة من الحديث في الشاهد البلاغي في كتاب « الفراز » ليحيى بن حمزة العلوي الذي اختل نفسه منهجاً في ذكر الشواهد والأمثلة ، فهو بعد أن ينتهي من بحث الموضوع يذكر أمثلة تتوزع

(٩) المثل السائر ج ١ ص ١١٤ .

(١٠) المثل السائر ج ١ ص ١٢٢ .

(١١) ينظر حسن التوسل ص ٤٨ ، ص ٢٢٥ وما بعدها .

(١٢) جوهر الكثر ص ٦٠٩ .

على أربعة أنواع :

الأول : من كلام الله سبحانه وتعالى .

الثاني : من الاخبار النبوية الشريفة .

الثالث : من كلام الامام علي - كرم الله وجهه - .

الرابع : من كلام البلغاء وأهل القضاة .

وهذه قاعدة مطردة سار عليها في كتابه وبذلك تجلت العناية بكلام الرسول الكريم وانضحت صوره المختلفة . وكان جلال الدين السيوطي ( ٩١١ هـ ) يكثر من الاستشهاد بالحديث الشريف في فنون البلاغة ولا سيما البديع : قال : « وقد التزمت أن آتي في كل نوع بشئ فأكثر من الحديث النبوي ثمرين وتشرقا وتيمنا به »<sup>(١٣)</sup> . وعند الرجوع الى كتب البلاغة ولا سيما المتأخرة منها نجد نجد العناية بالحديث الشريف والضحى كل الوضوح ، ونجد المؤلفين يتهلون من هذا المنهل المنبهر ويوشحون به قواعدهم وتقسيماتهم الى جانب كلام الله - تعالى - وكلام العرب البلغاء . ويستطيع الباحث أن يضع يده على هذه الظاهرة في معظم فنون البلاغة ، ولكن عناية المتقدمين بالمجازات النبوية كان اظهر لزوجة كلام الرسول - عليه السلام - وجبال صوره الجديدة ، وكان الشريف الرضي من أوائل الذين اهتموا بالمجاز وتحدثوا عنه في كتاب مستقل . ومن كلامه - عليه السلام - الذي يدخل في المجاز المرسل قوله : « المسلمون تنكافأ دماءهم ويسمى بفتحهم أدانهم ورد عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم » ، و « يد » هنا بمعنى القوة . وهذا التفسير هو الوجه الثاني الذي ذكره الشريف الرضي قال : « والوجه الآخر أن يكون « اليد » هنا بمعنى القوة فكأنه - عليه الصلاة والسلام - قال : « وهم قوة على من سواهم » . والقوة أحد المعاني التي يعبر عنها باسم اليد »<sup>(١٤)</sup> . ومن ذلك قوله - عليه السلام - « اليد العليا

(١٣) شرح عقود الجمان ص ١٠٥ . (١٤) المجازات النبوية ص ٢٥ .

غير من اليد السفلى » ، وقوله : « إن هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن ينهجه منها خلقا حسنا فعل » ، وقوله : « مات حنظلة » فقد أطلق الجزء وأراد الكل ، وقوله : « الصدقة عن ظهر غنى » والظاهر هنا القوة أي : له قوة من غنى .

وفي كلام الرسول الأعظم كثير من المجازات العقيلة ومن ذلك قوله — عليه السلام — : « حيي الوطيس » وقوله : « إن من البيان لسحرا » وقوله : « حبك الله يهدي ويضل » وقوله : « تنام عياني ولا ينام قلبي » وقوله : « وصل الظهر بعدما يتنفس الظل وتبرد الراح » وقوله : « إذا ملا الليل بطن كل واد » (١٥) .

وفي من سجاز العطف قوله — عليه السلام — « هذا جبل يحبنا ونحبه » أي : يحبنا الله ، وقوله : « نهران مؤمنان ونهران كافران » أي ان أهل هذين النهرين مؤمنون وأهل هذين النهرين كافرون ، وقوله : « الايمان هيب » أي : صاحب الايمان هيب (١٦) .

ومن الاستعارات البديعة في كلامه — عليه السلام — قوله : « كلما سمع هتيفة طار لها » فان العدو والظفران يشتركان في أمر داخل في قومهما وهو قطع المسافة بسرعة ولكن الطيران أسرع من العدو (١٧) . ومن ذلك قوله : « أكثروا من ذكر هادم اللذات فانكم إن ذكرتموه في خيسق وسفه عليكم » فاستعار هادم اللذات للسوء ، وقوله : « لاستضيئوا بنار المشركين » فاستعار ذكر النار للرأي والمشورة ، والمعنى لا تصدوا بآراء المشركين . وقوله : « قيتوا القرآن بالدرس فان له أوابد كالأوبد الوحش » فاستعار ذكر « الأوابد » وهي الحيوانات الوحشية لما فيها من النار وشدة

(١٥) المجازات النبوية ص ٤٤ ، ٩٤ ، ١٢٥ ، ١٧٢ ، ٢١٢ .

(١٦) المجازات النبوية ص ٢٣ ، ٢٤ ، ١٧٤ .

(١٧) كتاب الصائغين ص ٢٧٧ ، الإيضاح ص ٢٩٠ .

الشهود لهذا ذهب هذه المحفوظات عن القلب إذا لم تكن راسخة فيه بشدة الدرس لها<sup>(١٨)</sup> . وفي كتاب « المجازات النبوية » للشريف الرضي كثير من هذه الاستعارات البديعة التي كان كثير منها جديداً لم يثقل بمثله العرب .

ومن التشبيهات البديعة في كلامه — صلى الله عليه وسلم — قوله : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم لعديتم » وقوله : « المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر أعضائه بالسهر والحصى » وقوله : « الحياء من الأيمان كالرأس من الجسد » وقوله : « الناس كأسنان المشط في الاستواء » وقوله : « الله لم يبق من الدنيا إلا كاخقة راكب أو صرّ حالبه »<sup>(١٩)</sup> .

ومن التخييل قوله — عليه السلام — : « أنيتكم بالحنفية البيضاء » وذلك لتخييل أن السن ونحوها من الجنس الذي هو اشراق أو ايضاض وإن البسطة ونحوها على خلاف ذلك<sup>(٢٠)</sup> . وكثير من هذه التشبيهات أصبح أمثالا كقوله — عليه الصلاة والسلام — : « أقم الشعار والناس الدقار » وقوله : « الاسلام يجب ما قبله » وقوله : « أياكم وخضراء الديمن » وقوله : « المؤمن مرآة أخيه »<sup>(٢١)</sup> .

وفي الأحاديث الشريفة كثير من الكنايات ، وقد قال ابن أبي الأصم المصري : « وفي السنة النبوية من الكناية ما لا يكاد يحصر كقوله — صلى الله عليه وسلم — : « لا يضح الصما عن كفته » كناية عن كثرة الضرب أو كثرة السفر »<sup>(٢٢)</sup> . ومن ذلك قوله — عليه السلام — : « ذاك رجل لا يتوسد القمآن » قاله الشريف الرضي : « وهذه من الاستعارات العجيبة والكنايات

(١٨) الطبراني ج ١ ص ٢١٤ — ٢١٦ .

(١٩) الطبراني ج ١ ص ٢٢٠ .

(٢٠) الأيضاح ص ٢٢١ .

(٢١) المجازات النبوية ص ٤١ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٨ .

(٢٢) تحرير التفسير ص ١٤٤ .

النرية وهي تحتل معنيين : أحدهما مدح والآخر ذم ، فأما المدح فهو أن يكون المراد به أنه لا ينص من قراءة القرآن بل يقطع ليله بالتهجد به والتصرف مع تلاوته فيكون القائم بفرضه كالشتمل به والثالث كالتوسد له كآه جعله وساداً لخدمته وفرائضه نجية ... وأما المعنى الآخر الذي يحتل الزم فهو أن يكون المراد أنه غير حافظ للقرآن فليس بخازن من خزائنه ولا وعاء من أوعيته ، فأما لم يكن متوسداً له كما يتوسده من هو طرف من شروفه الحاوية له والمشتلة عليه « (٢٣) » . ومن ذلك أيضاً قوله لأزواجه - رضي الله عنهم - : « أسرعن لحاقاً بي أطولكن بدا » أي : أسرعن أكثركن كرمسا وعطاء « (٢٤) » . وقوله : « يا أنجسة رفقاً بالقراريسر » وهذا كناية عن النساء « (٢٥) » .

ومن التعريض قولاً - صلى الله عليه وسلم - وقد خرج يوماً وهو محتضن لأحد الحسين فقال لهما : « إنكما لمن ربحان الله وإن آخر وطاة وطئها الله برنج » وفي ذلك تعريض بقرب وفاته - عليه الصلاة والسلام « (٢٦) » . ومن أهم خصائص الأحاديث الفنية أنها موجزة كل الإيجاز ولذلك استشهد بها البلاغيون عند كلامهم على الإيجاز ، ومن ذلك قوله - عليه السلام - : « الحزم سوء الظن » وقوله : « الخراج بالضمآن » وقوله : « لا ضرار في الإسلام » وقوله : « الطمع فقر والياس غنى » « (٢٧) » . ومن الإيجاز بالترير وهو الذي تكون الفاظه مساوية لمعناه قوله - عليه السلام - : « الحلال يسن\* والحرام يسن\* » وبين ذلك مشبهات « وقوله : « أما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » وقوله : « دع ما يريك الى ما لا يريك » « (٢٨) » .

(٢٣) المجازات النبوية ص ٤١ .

(٢٤) المجازات النبوية ص ٦٠-٦١ .

(٢٥) الطراز ج ١ ص ٤٠٧ .

(٢٦) الطراز ج ١ ص ٢٨٨ .

(٢٧) الإيضاح ص ٢١١ ، الطراز ج ٢ ص ٨٩ ، ١٢٨ .

(٢٨) الطراز ج ٢ ص ١٢٢ .

وفي كلامه — عليه السلام — الإيجاز بالحذف فقد قال المهاجرون : « يا رسول الله إن الانتصار قد فُضِلوا بأنهم آووا ونصرونا وفعلوا بنا وقعلوا » انقل — عليه الصلاة والسلام — : « أتُعرفون ذلك لهم ؟ » قالوا : « نعم » قال : « فإن ذلك » . قال الجاحظ : « ليس في الحديث غير هذا ، يريد أن ذلكم شكر ومكافأة » (٢٩) ، وقد قال — عليه السلام — عن نفسه « أوتيت جوامع الكلم » أي أنه « ممكن » من الالتفات المختصرة التي يدل على المعاني القوية » (٣٠) . ولكنه — صلى الله عليه وسلم — كان ينسب إذا اختصى القام ومن ذلك قوله : « من لَدَدَ أخاه بما يشتهي رفع الله له ألف ألف درجة ، وكتب له ألف حسنة ، ومحا عنه ألف سيئة وأطعمه من ثلاث جنات : من جنة الفردوس ومن جنة الخلد ومن جنة عدن » ، وقوله : « من سقى مؤمنا شربة سقاء الله من الرحيق المختوم — أو قال من نهر الكوثر — ومن كسا مؤمنا كساء الله من سنن الجنة ، ومن أطعم مؤمنا لقمة أطعم الله من طيات الجنة وغواكها » (٣١) .

ومن الاطناب بالتوسيع قوله — عليه الصلاة والسلام — : « يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصتان : الحرص وطول الأمل » (٣٢) . وقد يكرر إذا كان المعنى يتطلب ذلك ومنه قوله في وصف يوسف الصديق : « الكرم بين الكرم بين الكرم : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » (٣٣) .

وفي كلامه — صلى الله عليه وسلم — كثير من ألوان البديع التي أسرف فيها المتأخرون ، وهو في ذلك لا يقل القول بها وإنما يستعملها إذا اقتضاها المعنى وتطلبها المواقف ، أي أن فنون البديع جزء من العبارة وليست

(٢٩) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٣٠) الطبراني ج ٢ ص ٨٨ .

(٣١) الطبراني ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٣٢) الإيضاح ص ١٩٦ ، تحرير التحرير ص ٢١٦ .

(٣٣) الإيضاح ص ٨ ، الطبراني ج ٢ ص ١٨١ .

حلية تقتصر أو زينة يؤتى بها لتحسين الكلام فقط . وورود هذه الألوان في كلام أئمة العرب وأهلهم دليل على أن السجع أو الموازنة أو الجناس أو غيرها ليست حياء في الكلام بل هي ركن من أركانه . وقد حفل كتاب الله بكثير منها ، ومعنى ذلك أن فهمها نداء عن بعض المعاصرين فأنهم هذا اللون من التعبير بما لا يصح متخذوا صور الأدب في العصور المتأخرة مثالا لذلك . ونسي هو أو غيره ما بين القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام البلغاء ، وما بين أدب المتأخرين من فروق جوهرية تجعل الباحث لا يطغي حكمه على هذه الألوان من خلال التصوص الرديئة والكلام الركيك الضعيف .

ومن ألوان البدع التي تردت في كلامه — عليه السلام — السجع كقوله : « ظهورها حرز ويطؤها كنز » وقوله : « اللهم اني أدركاك بك نعورهم وأعوذ بك من شرورهم » . وقوله « ألا وان من علامات العقل التجاني عن دار الغرور والآفان إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور » وقوله : « وقد رأيت الليل والنهار كيف يلبان كل جديد ويقربان كل بعيد وبأنيان بكل موعود » (٢٤) .

ومن الموازنة قوله — عليه السلام — : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » فـ « سبيل » و « غريب » مختلفان في اللفظ متفقان في الزنة وقوله : « فإذا أصبحت فمك فلا تعدلها بالمساء وإذا أمسيت فلا تعدلها بالصباح » فـ « المساء » و « الصباح » مختلفان لفظاً متفقان وزناً (٢٥) .

ومن اللف والنثر قوله : « فان المرء بين يومين : يوم قد مضى أحصى فيه فحتم عليه ، ويوم قد بقي لا يسري له له لا يصل إليه » (٢٦) .

(٢٤) الجازات النبوية ص ٢٦ ، الإيضاح ص ٢٩١ ، الطراز ج ٢ ص ٢٠ .

(٢٥) الطراز ج ٢ ص ٢٩ .

(٢٦) الطراز ج ٢ ص ١٠٥ .

ومن اليادي والافتتاحيات ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : « كان يعلنا خطبة الحاجة بقوله : « الحمد لله نعمته ونستعينه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهتك الله فلا مضى له ومن يملس فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله » . فهذه الكلمات كان يذكرها إذا أراد حاجة من الخرائج من تكاح أو موعدة أو فصل قضية أو غير ذلك من سائر الحاجات » (٢٧) . وكان يقول - عليه السلام - لغيرها في أغراض أخرى ، أي الله - عليه السلام - كان يربط بين الافتتاح وغرضه ، وهذا من أهم خصائص الكلام الذي يدل أوله على آخره وينبئ بطلعه عن مقلطه .

ومن التخلص البديع قوله - صلى الله عليه وسلم - : « قد رأيتم الليل والنهار كيف يلبان كل جديد وتقربان كل بعيد ، وأنيان بكل موعود » ثم قال بعد ذلك : « فإذا التبت عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وشاهد مصدق فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه سائه إلى النار ، هو أوضح دليل إلى خير سبيل » . قال العلوي : « فأنظر إلى ما أودعه هذا الكلام من التخلص الرائق ، فبينما هو يذكر حال الليل والنهار وحكمتهما في المكنونات إذ خرج إلى حال القرآن ووصفه ، وإن فيه الإيضاح لكل مشكل وبيان لكل ملتبس ، تخلص إلى ذكره بأحسن تخلص » (٢٨) .

وقد ورد الانتصاب في كلامه - عليه السلام - ولكن ذلك الانتصاب يكاد يقرب من التخلص ، ومن ذلك قوله : « فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبهة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت » بعد قوله : « ألا وإن المرء بين مخالطين : بين أجل قد مضى لا يشري بالله صانع به ،

(٢٧) الطراز ج ٢ من ٢٧٠ .

(٢٨) الطراز ج ٢ من ٢٤١ .



وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضيه فيه ، فليأخذ العبد لنفسه من فضله (٢٩) .

ومن الارصاد قوله — عليه السلام : « فما بعد الموت من مستعجب . وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار » فمن السامع إذا وقف على قوله : « فما بعد الدنيا من نار » فانه يتحقق لا محالة ان ما بعده « إلا الجنة أو النار » لما بينهما من شدة الملازمة وعظيم المناسبة (٣٠) .

ومن الاطراد قوله — عليه السلام — : « الكريم بن الكريم بن الكريم ابن الكريم : يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » (٣١) .

ومن الجناس البديع قوله — عليه السلام — : « الخيل يعقود بنواصيها الخير » وقوله : « التهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا » وقوله : « المؤمنون حينئذ لينون » وقوله : « الظلم ظلمات يرمي القيامة » وقوله : « خلوا بين جرير والجبر » وقوله : « عليكم بالابتكار فانن " اشد " حبا وأقل حبا » وقوله : « جار النار أحق بدار الجار » (٣٢) .

ومن الطباق قوله — عليه السلام : « عليك بالرفق يا عائشة ، فانه ما كان في شيء إلا زافه ، ولا نزع من شيء إلا شانه » فجمع بين « الزين » و « الشين » وهما شيدان (٣٣) .

ومن لزوم ما لا يلزم قوله عليه السلام — : « فان كان كريما أكرمك وإن كان ثيبا أسأك » وقوله : « وليحسن عمله وليقصر أمه » وقوله : « فلا ينفي عنكم إلا عمل صالح قد تموه أو حسن ثواب حزموه » (٣٤) . وهذا ليس

(٢٩) الطبراز ج ٢ ص ٢٤٩ . (٤٠) الطبراز ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٤١) الإيضاح ص ٢٨٢ .

(٤٢) المجازات النبوية ص ٤٩ ، الإيضاح ص ٢٨٧ ، الطبراز ج ٢ ص ٢٥٦ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ .

(٤٣) الطبراز ج ٢ ص ٢٨٠ . (٤٤) الطبراز ج ٢ ص ٤٠٠ .

من الأزام الذي ضيق الأدباء به على أنفسهم كد فعل أبو العلاء المصري  
في المزمومات .

ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم قوله - عليه السلام - : « ألب أنصح  
العرب بيد أني من قرىض »<sup>(١٥٦)</sup> .

ومن الإبهام الذي ظهر في قوله - عليه السلام - : « عش ما شئت فانك ميت  
وأجيب من أحبت فانك مفارقة » ، وأعل ما شئت فأنت ملاقيه » وقوله :  
« أحب حبيك هو » ما عسى أن يكون بفيضك يوماً ما ، وإيفض بفيضك  
هو » ما عسى أن يكون حبيك يوماً ما »<sup>(١٥٧)</sup> .

ومن الإبهام الذي ظهر تفسيره قوله - عليه السلام - : « ألا أنيكنكم  
بأمرين خفيفة مؤزمتما عظيم أجرهما لن يلقى الله بهنهما » ، ثم قال بعد ذلك  
تفسيراً لهذا : « الصمت وحسن الخلق » . ومن ذلك قوله : « ألا أدلكم  
على ما إذا فعلتموه تحاببتم » قالوا : نعم ، قال : « افشوا السلام » وقوله :  
« ألا أدلكم على أخسر الناس صفقة ؟ » قالوا : نعم ، قال : « من باع آخرته  
بدينار غيره »<sup>(١٥٨)</sup> .

هذه بعض ملامح أثر الحديث النبوي الشريف في البلاغة العربية وهي  
ملايح تدفع إلى العناية بكلام أنصح العرب وأبلغهم محمد - صلى الله عليه  
وسلم - فقد اهتم علماء اللغة والنحو بكلام العرب ولم يقتفوا طويلاً عند  
الأحاديث الشريفة ، وكان علماء البلاغة أكثر استفادة منهم ولكنهم - مع  
ذلك - لم يهتموا في دراسة أسلوب الأحاديث واستخلاص القيم الجمالية  
والصور الفنية التي خللت بها . ولعل كتاب « المجازات النبوية » للشريف  
الراضي كان أهم معلم من تلك المعالم ، ولكنه وقف عند المجازات وترك القنون  
الأخرى للبلاغيين الذين لم يهتموا فيها وإن ذكروا في كثير من أبواب البلاغة

(١٥٦) الإيضاح ص ٢٧٢ .

(١٥٧) الطراز ج ٢ ص ٨٦-٨٧ . (١٥٨) الطراز ج ٢ ص ٨٧ .

بعض الأحاديث كما فعل العلوي في « الطراز » والسبوطي في « شرح عقود الجبان » . ولكن تلك المحاولات تظل ناقصة وتبقى البلاغة النبوية بعيدة عن الدراسة الجادة ، ولعل هذا البحث الموجز الذي اعتمد على ما ذكره السابقون ولاسيما علماء البلاغة في العمود المتأخرة يدفع الى التعمق في هذا اللون من الدراسات ، وهو تعمق تتطلبه المناهج الحديثة وتحتاج اليه اللغة العربية وهي تسمى الى استيعاب ألوان الحضارة الجديدة وتحفز للتقدم في مجالات الثقافة المختلفة وميادين العلم في هذا العصر .

## السمات :

كان ذلك موقف علماء البلاغة من كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولكن الآية « كان نبياً طامعاً واجبة وكلامه مصدق أم أن هناك سرأ عظيمًا وراء تلك العظمة ؟

كان كلامه - عليه السلام - بينما يأمر النفوس ويأخذ بجماع القلوب وهو القائل : « إن من البيان لسحرا » فما ذلك البيان ؟ وما سماته ؟

لقد وقف القدماء عند بلاغة وفصاحته وكان الجاحظ من أوائل الذين لخصوا تلك السمات بقوله : « هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه ، وكثرت معانيه ، وجلَّ عن الصنعة ، وزهد عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى . قل يا محمد » وما أنا من المتكلمين «<sup>(١٨)</sup> . فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقييب<sup>(١٩)</sup> ، واستعمل البسيط في موضع البسط والمقصور في موضع الفصير وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا من ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد خففه بالعصبة وثبته

(١٨) سورة ص ، الآية ٨٦ وهي : « قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلمين » .

(١٩) التقييب : كالتقير ، وهو أن يتكلم بالصي فعرفه .

بالتأييد وبسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه  
 بالقبول وجمع له بين المأية والحلاوة وبين حسن الألفاظ وقلة عدد  
 الكلام مع استغنائه عن إعادة وقلة حاجة السامع الى معاودته فلم تسقط  
 له كلمة ولا زلت به قدم ، ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفعه  
 خطيب بل يذ الخطب الطوال بالكلم القصار ولا يقتصر اسكت الخصم  
 إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتاج إلا بالصدق ولا يطلب المنج إلا بالحق ، ولا يستعين  
 بالخلافة ولا يستعمل المواربة ولا يهز ولا يهز ولا يهز ولا يهز ، ولا يهز  
 ولا يهز ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم ثمنا ولا أقصد ثنفا ولا أعدل  
 وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم علما ولا أحسن موثقا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا  
 أفصح معنى ولا أبين في لغوي من كلامه — صلى الله عليه وسلم — . . . .  
 قال محمد بن سلام : قال يونس بن حبيب : « ما جاءنا عن أحد من روائع  
 الكلام ما جاءنا عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — » . وقد جمعت  
 لك في هذا الكتاب جملا التقطناها من أقوال أصحاب الأخبار ، ولعل من  
 من يشع في العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن أننا قد تكلفنا له من  
 الافتاح والتشريف ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ولا يملئه قلبه .  
 كلا والذي حرّم التزيين على العلماء وقبح التكلف عند الحكماء وبهصرج  
 الكتابين عند الفقهاء ما يظن هذا إلا من ضل سعيه » (١٠) .

لقد اتبته الجاحظ الى هذه المسألة التي قد تثار في كل زمان ، ودكر  
 سات كلا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبرزها كثرة معانيه مع  
 الإيجاز ، وإيماده عن الصنعة والتكلف والاسراف ، ومطابقتها لمقتضى الحال ،  
 فالمبسوط في موضع البسط ، والمقصود في موضع التصر ، وهكذا القريب  
 البعيد والرفعة عن الهجين السوقي وغير ذلك مما ذكره الجاحظ وأيضا  
 يلاحظ الباحث في البلاغة النبوية التي جاءت من غير تعلم سوى ثقافة

(١٠) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨١٧ .

التشاة في بيئة فصيحة اللسان بليغة القول ، وذلك العقل الوقاد واختيار الله تعالى له ليكون رسولا للناس كافة . وليس وراء ذلك أعظم من هذه الصفات التي جعلته - عليه السلام - يطلق انطلاقا انسانيا ويعبر عما يحس به الانسان في كل زمان ومكان ما دفع عليه البلاغة الى الوقوف عند عباراته وقحة اكبار وتقدير ، فقد قال - عليه السلام - : « لا تكونوا من اخذتم العاجلة وغرتم الأمانة واستهوتهم الخدعة فركن الى دار سرعة الزوال وشبكة الانتقال » . إنه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلا كالناخلة راكب أو صرّ حالب فعلام تخرجون ؟ وماذا تنتظرون ؟ فكانكم بما قد أصبحتم فيه من الدنيا لم يكن وبما تصيرون اليه من الآخرة لم يسزل . فخذوا الأمانة لأزوف النقلة وأعدوا الزاد لقرب الرحلة ، واعطوا أن كل امرئ على ما قدمه قدام ، وعلى ما خلفه قادم » . قال العلوي معلّق على هذا الكلام العذب : « فليعمل الناظر نظره في هذا الكلام فما أسس الثابتة على الأمانة ، وما أوقع معانيه في الأفتدة وما احتوى عليه من التنبيه البالغ والوعظ الزاجر والتصحيح النافعة ، فصدّره بالتعذير أولا عما يمرض من مصائب الدنيا من الانخفاض والغرور والاستهواء . وعقبه ثانيا بالتحذير عن الركون الى الدنيا ونيتة بالطفه عبارة وأوجزها على زوالها وانقطاعها وأردفه ثالثا بالحث على عمل الآخرة واخذ الأمانة للزاد ، ونيتة على سرعة زوالها وانقطاعها وختمه بتحقيق الحال في الاقدام على ما فعله من خير وشر ، وأنه قادم لا محالة على ما خلفه من الدنيا وأنه غير تافه ، ولا مجذّر » (٥١) . فتكلام الرسول العظيم ذروة في البلاغة والتصوير ، أنه رقيق وأنه جزل ، ومن الرقيق قوله - عليه السلام - : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، واحمد نفسك في الموتى فإذا أمسيت فلا تعبدنها بالصباح وإذا أصبحت

فلا تحدثها في المساء . وخذ من صحتك لسبقك ومن شبابك لهريك ومن فراغك لشغلك» (٥٢) .

ومن الجزل قوله : « يا ابن آدم تؤولي كل يوم برزقك وأنت تحزن وتنقص كل يوم من عرك وأنت ترح . أنت فيما يكتفيك وتطلب ما يطفئك ، لا بقليل تفنع ، ولا من كثير تشبع» (٥٣) .

وكان — عليه الصلاة والسلام — يعتمد عن الكلمات التي توحى بها يخرج عن الفوق ، ومن ذلك قوله وقد كسا أسامة بن زيد قبطية (٥٤) فكساها امرأته فقال له — عليه الصلاة والسلام — : « أخاف أن تصف حجم عظامها » ولم يقل « حجم أعضائها » لما في هذه الكلمة من إيحاء غير جميل . قال الشرف الرضي : « وهذه استعارة والمراد أن القبطية برقتها تلصق بالجسم فتبين حجم التدين والراذلتين وما يشذ من لحم العضدين والعضدين فيعرف الناظر إليها مقادير هذه الأعضاء حتى تكون كالظاهرة لتحفة والمكينة للبسه ، فجعلها — عليه الصلاة والسلام — لهذه الحالة كالوصفة لما خلقها ، والخبرة عما استتر بها . وهذه من أحسن العبارات عن هذا المعنى ، وهذا الغرض ومن عمر بن الخطاب في قوله : « إياكم وليس القياطي قاتعا إلا تشف تشف » ، فكان رسول الله — صلى الله عليه وآله — أبا عذر هذا المعنى ، ومن ثمه قالنا سلك نهجه وطلع فيجته » (٥٥) . ومن ذلك قوله عليه السلام : « لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقيت نفسي » فكأنه كره أن يضيف المؤمن الظاهر إلى نفسه الغيب والفساد بوجه من الوجود (٥٦) .

(٥٢) الطراز ج ١ ص ١١٨ .

(٥٣) الطراز ج ١ ص ١١٧ .

(٥٤) القبطية — بضم القاف — ثياب تنسج إلى القبط بمصر .

(٥٥) المجازات النبوية ص ١٢٩ .

(٥٦) ينظر المحفوظ ج ١ ص ٣٣٥ .

وسبق - عليه السلام - العرب في كلام جديد لم يأنفوا أو لم يأنوا به من قبل ، قال الجاهظ : « وسنذكر من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يدق اليه عربي ولا شاركه فيه أعجمي ، ولم يدع لأحد ولا ادعاء أحد ما صار مستعلاً ومثلاً سائراً »<sup>(٥٧)</sup> . ومن ذلك قوله - عليه السلام - : « يا خيل الله اركبي » وقوله : « مات حنبل أخه » وقوله : « لا تتطلع فيه عزان » وقوله : « الآن حي الوطيس » وقوله : « كل الصيد في جوف القرا » وقوله : « لا يلسع المؤمن من جحر مرتين »<sup>(٥٨)</sup> . ومن ذلك قوله : « يا أجنسه رفقا بالقوارير » وقوله : « أخاف أن تصف حجم عظامها »<sup>(٥٩)</sup> . وأكارت مثل هذه الكلمات الجديدة تطبيقات بديعة فقال الشريف الرضي عن قوله - عليه السلام - : « الآن حي الوطيس » : « وهذه اللفظة الأغلب عليها أنها من جملة الأمثال من قوله - عليه الصلاة والسلام - وقد شرطنا ألا نذكر هنا ما تلك حاله إلا أن لها بعض الدخول في باب الاستعارة فلذلك رأينا الإيحاء اليها والتببيه عليها » فقوله - عليه الصلاة والسلام - : « الآن حي الوطيس » وهو يعني حسن العرب وعظم الخطب مجاز ، لأن الوطيس لمي كلامهم خيرة تحترق فتوقد فيها النار للاقتواء وتجمع على « وطمس » فإذا احترقت للاحتياز فهي « إرمة » وتجمع على « إرين » ولا وطمس هناك على الحقيقة وإنما المراد ما ذكرنا من حرق القراع وشدة المصاع<sup>(٦٠)</sup> والنصاف الابطال واختلال الرجال<sup>(٦١)</sup> . وقال ضياء الدين بن الأثير : « وهذا لم يسع من أحد قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو أتينا بجواز غير ذلك في معناه قلنا : « استمرت الحرب » لما كان مؤدياً من المعنى ما يؤديه « حي الوطيس » والفرق بينهما

(٥٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥ .

(٥٨) انظر في البيان ج ٢ ص ١٥ : الحيوان ج ١ ص ٢٢٥ ، الزهر ج ١ ص ٢٠١ .

(٥٩) المجازات النبوية ص ٢٣ ، ١٢٩ .

(٦٠) المصاع : الضرب .

(٦١) المجازات النبوية ص ١٤٤-١٤٥ .

أن الوطيس هو التور وهو موطن الوقود ومجتمع النار وذلك يخلل السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في حبيها وتوقدها ، وهذا لا يوجد في قولنا : « استمرت الحرب » أو ما جرى مجراه » (٦٧) .

هذا بعض كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما لم ينطق به أحد وهو دليل على أثره في اللغة العربية وأساليبها وتطورها ، وقد صدق - عليه السلام - حينما قال : « أوتيت جوامع الكلام » أي أنه أوتي الكلام الجوامع للسماعي فوات الدلالة القوية الواضحة والمؤثرة الموحية . ومن ذلك قوله - عليه السلام - : « هذه مكة قد رميتكم بأفضل ما كبدتها » يريد أن هؤلاء المعتودين سيسم قرش ومحضها وليأبها وسرها أو انهم أصيان لقوم ورؤسائهم . وقوله : « يُمِيتُ في تَسْمِ الساعة إن كادت لتسبقني » يريد أنه يميت في تنفيس الساعة أي في أمهاتها وتأخرها أو أن يكون قد جمعت للساعة قسماً كغنى الإنسان . وقوله : « ذاك رجل لا يتوسد القرآن » يريد أنه لا ينام عن قراءة القرآن الكريم أو أنه غير حافظ لكتاب الله . وقوله : « قد أمانت بكم الشر من الجنون » أي أمانت المتوقعة ، وقوله : « لو يملكون ما يكون في هذه من الجوع الأليم ومن الموت الأحر » وهذه صورة تخيف وترعب ، وقوله : « الحياة نظام الإنسان » وقوله : « أوتيت العري كلمة التقوى » وقوله : « الناس معادن » أي أنه لا يحكم على ظواهرهم ، وقوله : « هي ليلة أضحيان » كأن قراً فضحها » وقوله : « لا تشبوا على اعتابكم القهقري » أي لا ترجعوا عن دينكم ولا تكفروا بعد إيمانكم فتكونوا كالراجم على عقبه ، وقوله : « حيك النسي » يعني ويصم » وقوله : « نام عيناى ولا ينام قلبي » وقوله : « الكلمة الحكيمة ضالة الحكيم حينما رجعها فهو أحق بها » وقوله : « المجاهد من جاهد نفسه » وقوله : « الشباب شعبة من الجنون » وقوله : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »



وقوله : « اللهم السم شئنا » وقوله : « أرى عليه سمة من الشيطان »  
 وقوله : « متروك النيا بين الستين والسبعين » وقوله : « إن ذا الرجبين  
 لخلق أن لا يكون عند الله وجها » وقوله : « الصبر عند الصدمة الأولى »  
 وقوله : « والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه » وقوله :  
 « لا تحادوا الأيام فتعادىكم » .

وهذه الأحاديث الفرقة من جوامع الكلم ، وهي من الأمثال التي  
 تتردد والبيانات التي يستشهد بها في المواقف ويرجع إليها في الحكمة  
 والبيان . إن هذه الروعة العظيمة والسحر المؤثر والمعنى البديع والنظ  
 الرقيق دفعت الناس إلى حفظ الحديث الشريف والعمل به والتبذل برواياته  
 والاستشهاد ببلاغته وفصاحته ، وبذلك لم يكن الاعتناء عليه لأنه كلام  
 رسول الله فحسب ، وإنما لأنه أرفع كلام عرفه العرب بعد كلام الله تعالى .  
 ومن أجل ذلك كان أحد آلات علم البيان وأدواته وكان الشاهد البلاغي  
 الرقيق ، وكان له تأثير في حياة العرب ولغتهم الخالدة .

#### المصادر :

- ١ - الإيضاح - الخطيب القزويني ، القاهرة . ( مطبعة السنة المحمدية ) .
- ٢ - البيان والتبيين - الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة  
 ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- ٣ - تحرير التحرير - ابن أبي الإصبع المصري . تحقيق الدكتور حنفي  
 محمد شرف . القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .
- ٤ - جواهر الكنز - ابن الأثير الحلبي . تحقيق الدكتور محمد رفلول  
 سلام . الإسكندرية - مصر .
- ٥ - حسن التوسل إلى صناعة التوسل . شهاب الدين الطيبي . تحقيق  
 الدكتور اكرم عثمان يوسف . بغداد . ١٩٨٠م .
- ٦ - الحيوان - الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة  
 ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م .

- ٧ - شرح مقود الجهمان في علم المعاني والبيان - جلال الدين السيوطي .  
القاهرة ١٢٥٨هـ - ١٩٣٩ م .
- ٨ - الطرائف - يحيى بن حمزة العلوي . القاهرة ١٢٢٢هـ - ١٩١٤ م .
- ٩ - كتاب الصنائع - ابو هلال العسكري . تحقيق علي محمد الجاوي  
ومحمد ابو القاسم ابراهيم . القاهرة ١٢٧١هـ - ١٩٥٢ م .
- ١٠ - مثل السائر في ادب الكاتب والشاعر - فهدا الدين بن الاثير . تحقيق  
محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٢٥٨هـ - ١٩٣٩ م .
- ١١ - المجازات النبوية - الشريف الرضي . تحقيق محمود مصطفى .  
القاهرة ١٢٥٩هـ - ١٩٣٧ م .
- ١٢ - الزهر - السيوطي . تحقيق تميم احمد جادالولي وجماعته -  
الطبعة الثالثة - القاهرة . . .



## (٩)

### أثر المدائح النبوية في البلاغة

البيضاك :

قوله القرآن الكريم فكان حجة بلاغية كبرى ومعجزة أدبية عظمى وقد  
 العرب أمامها مبهوتين لا يعرفون لذلك سببا ولا يكون لتأثيره ردا . ولم  
 يكن إزاء هذه المعجزة إلا أن يرجعوا إلى أنفسهم لعلهم يجدون مخرجا ولكن  
 المحجة أصيبت ووقعت ألسنتهم واحتجبت أصواتهم وهم يستمعون إلى النبي  
 العظيم محمد - صلى الله عليه وسلم - يلغ الناس قوله تعالى : « وإن كنتم  
 في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من  
 دون الله إن كنتم صادقين » فان لم تعملوا ولن تعملوا فاقضوا النار التي  
 وتوقدها الناس والحجارة أعدت للكافرين<sup>(١)</sup> . وقوله تعالى : « أم يقولون  
 افتراء قل فاتوا بعشر سور مثله مفريات وادعوا من استطعتم من دون الله  
 إن كنتم صادقين » فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أننا أنزل بعلم الله  
 وأن لا إله إلا هو ، فهل انتم مسلمون<sup>(٢)</sup> . وقوله : « قل لن اتبعكم الألس  
 والجن على أن يأتوا بشئ هذا القرآن لا يأتون بشئ ولو كان بعضهم لبعض  
 ظهيرا<sup>(٣)</sup> » . وعجزوا عن أن يأتوا بشئ هذا القرآن وهم أهل لسن

١ . نشر في مجلة السور العدد الرابع ( المجلد التاسع ) سنة ١٤٠٠ هـ .  
 ٢ . ١٩٨م بمناسبة الاحتفال بطلع القرن الخامس عشر الهجري .

(١) سورة البقرة : الآيات ٢٣-٢٤ .

(٢) سورة هود : الآيات ١٣-١٤ .

(٣) سورة الاسراء : الآية ٨٨ .

وبلاغة فقالوا : « ما هذا إلا سحر » فشرى وما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى<sup>(٤)</sup> . وأخذوا يفرون من سماع كتاب الله خوفاً من أن يؤثر في قلوبهم ويهديهم إلى سواء السبيل كما هدى من قبل طليعة المسلمين ، وكانوا يقولون إذا سمعوه كما قال الوليد بن المغيرة وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم — يتلو الآيات : « والله إن قفوله لعلاوة » ، وإن أمسه لعزق » ، وإن قرعته لعنقة<sup>(٥)</sup> .

وشغل الناس بالقرآن بعد أن انتشر الإسلام وأخذوا يتدبرونه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتركيبه وما فيه من فنون وقب العرب أمامها مبهوتين . وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها « أحق العلوم بالتعلم وأولاهها بالت حفظ — بعد المعرفة بالله جل ثناؤه » لأن « الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة القصاحة لم يقع عليه بأعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبسرافة التركيب وما شحنته به من الإيجاز البديع »<sup>(٦)</sup> وذهبوا أبعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد عن البلاغة أنها « ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصرك بمواقع رشدك وعواقب غيك »<sup>(٧)</sup> .

وكان تأثير القرآن واضحاً في اتخاذ مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته الينيات الشاهد البلاغي الرفيع . وكان لمسألة الأعجاز أثر كبير في تطور البلاغة العربية وكان المتكلمون أول من بحث في أعجاز القرآن وبلاغته ، واختلفت وجهات النظر في ذلك وتلعبت سبل القول وأصبحت تلك الدراسات أحسن مصدر للبلاغة وأجل مورد لمن أراد أن يتذوق القرآن وإنهم اليان . وسارت مواكب التأليف في البلاغة خدمة لكتاب الله ولفه

(٤) سورة القصص ، الآية ٢٦ .

(٥) سورة الفين هشام ج ١ ص ٢٧٠ .

(٦) كتاب الصناعات ص ١ .

(٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٤ .

الضاد ، ولطهرت مئات الكتب تحدث عن اعجاز القرآن وبلاغته العرب وترصد  
 الفنون البيانية التي لها تأثير في الأدب . وشهد القرن السابع للهجرة لونا  
 جديداً من التأليف في البلاغة هو « البديميات » التي كانت تتضمن مناوأة  
 بلاغية معظمها في مدح النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن البحر  
 البسيط وعلى روي الميم . وكانت المدائح النبوية قد ظهرت منذ عهد مبكر  
 غير أنها أخذت طابعها المروفا حينما ذاع التصوف وانتشر . ولمسل يردة  
 البوصيري ( - ٦٩٧هـ ) أهم القصائد بين المدائح النبوية ، فهي « أولاً »  
 قصيدة جيدة ، وهي ثانياً أسيرٌ قصيدة في هذا الباب ، وهي ثالثاً مصدر  
 الوحي لكثير من القصائد التي التفت بعد البوصيري في مدح الرسول (١) ،  
 ومطلعها :

أمن تذكر جيران بسذي سكتهم      مزجت دمعاً جرى من مقلة بدمر  
 أم هبت الريح من تلقاء كاطمة      وأومض البرق في الظلام من أشهر  
 والبردة في اثنين وثلاثين ومائة بيت تشتمل على عدة عناصر ، فهي  
 صدرها النسب ولبه التحذير من هوى النفس ثم مدح النبي - صلى الله  
 عليه وسلم - والكلام على مولده ، والحديث عن القرآن الكريم والاصراء  
 والمعراج والجهاد وتنتهي بالتوسل والمناجاة (٢) . وكان للبردة أثر في اللغة  
 العربية يشثل في التأليف والفرس والنعر ، ولكن أثرها في البلاغة ينجلي  
 في « البديميات » التي كانت لونا من ألوان البحث في فن القول وشرح  
 الفنون البلاغية .

والبديميات كثيرة ، وقد أحصى منها الدكتور أحمد إبراهيم موسى  
 في كتابه « الصنغ البديمي في اللغة العربية » أربعاً وأربعين ، منها ما هو  
 مشروح وما هو مجرد ، ومنها ما هو مطبوع وما هو مخطوط . وقد اختلف

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي ص ١٧١ .

(٢) حللها الدكتور لكي مبارك في كتابه « المدائح النبوية » ص ١٨٢ .

الباحثون في نشأتها فذهب الدكتور زكي مبارك إلى أن أبا عبدالله محمد بن أحمد المعروف بابن جابر الأندلسي ( - ٧٨٠ هـ ) ابتكرها ورسم أصولها<sup>(١)</sup> . وذهب ابن معصوم المدني إلى أن صفى الدين الحلبي ( - ٧٥٠ هـ ) أول من نظمها ، ولكنه استدرك وقال : « كنت أظن أن أول من نظم أنواع البديع على هذا الأسلوب البديع لفن كل بيت نوعاً واقفاده شوس هذا المراد طوعاً هو الشيخ صفى الدين الحلبي - رحمه الله تعالى - حتى وقفت في ترجمة الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليمان الأرملي الصوفي الشاعر على قصيدة لامية له ، فلم فيها جملة من أنواع البديع وضمت كل بيت منها نوعاً منه ، أولها الجنس التام والمطرف وهو :

بعض هذا الدلال والادلال      حال بالهجر والتجبر حالي  
ثم قال في الجنس المصحف والمركب :

جئرت إذ حُرِّتَ ربيع قلبي ، يوم إذ      لا لي صبر ، أكثر من ادلالي

فعلت أن الشيخ صفى الدين لم يكن أبا عذر هذا المرام ولا أول من نظم جواهر هذا العقد في قظام ، فإن الشيخ أمين الدين المذكور توفي قبل أن يولد الشيخ صفى الدين بسبع سنين ، وذلك أن وفاة الشيخ أمين الدين في سنة سبعين وستائة وولادة الشيخ صفى الدين في سنة سبع وسبعين وستائة . وأما نظم أنواع البديع على هذا الوزن والروي الذي نظم عليه الشيخ صفى الدين فلا أتفق أيضاً أن الشيخ صفى الدين هو أول من نظم عليه ، فإنه كان معاصراً للشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي الهواري المعروف بشيخ الدين بن جابر الأندلسي الأعمى صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان . ولا أعلم من السابق منهما إلى نظم بديعته على هذا الأسلوب وإن كان الشيخ صفى الدين قد حاز قصبات سبق في مضمار براعة

(١) المدائح النبوية ص ٢٠٤ .

هذا المطلوب . فابن جابر لم يستوفِ الأنواع التي قطعها الشيخ صفى الدين بل أغلّ بنحو سبعين نوعاً من الأنواع وكلاهما لم يلتزما التورية باسم النوع البديعي . وأول من التزم ذلك الشيخ عز الدين الموصلي ، ثم تلاه الشيخ تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبدالله الحموي المعروف بابن حجة ، والتزم ما التزمه الشيخ عز الدين وزاد عليه في أكثر الآليات بحسن نظم والانسجام ، إلا أن لذلك فضل المتقدم على المتأخر والمبتدع على المتبع . ونقل عن التزم بمذهبي هذا الالتزام وما ذلك إلا لصعوبة هذا المرام<sup>(١١)</sup> . ورجّح الدكتور جواد علوش أن يكون صفى الدين الحلبي أسبق من ابن جابر الأندلسي لأنه توفي سنة ٧٥٥هـ ، وتوفي الثاني سنة ٧٨٠هـ ، وإن ابن حجة الحموي اعترف بأسبقيته في عدة مواضع من خواتمه<sup>(١٢)</sup> . ولكن ذلك ليس دليلاً أكيداً ، فقد يكون ابن جابر أسبق لأنه كان قد تخطى الخمسين حيناً مات الحلبي ، ولعله نظمها في هذه السن أو قبلها بكثير فيكون له السبق في هذا المضمار . ومهما يكن الأمر من اختلاف الباحثين في نشأة البديعيات فإن من أوائلها بديعية علي بن عثمان الأربلي ( - ٧٦٠هـ ) الذي أشار إليه ابن معصوم المدني وعدّه أول من نظم في هذا اللون . وبديعيته ليست في مدح النبي العظيم وإنما في مدح بعض معاصره ولذلك لا تدخل في المباحث النبوية وإن كانت من أوائل البديعيات . وبديعية الأربلي تتضمن الفنون البلاغية ، وقد ذكر ابن شاذان الكتبي<sup>(١٣)</sup> سنة وثلاثين بيتاً منها وفي كل بيت فُسْن بديعي ، ففسى قوله :

بعض هذا الدلال والادلال      حال بالجر والتجنب حالي

جناس ، فظني . وفي قوله :

جرّرت إذ حرّرت ريع قلبي ، وإلا لاسي جبر ، أكثر من إغلاسي

(١١) اتوار الربيع في أنواع البديع ج ١ ص ٢٢٦-٢٢٧ .

(١٢) شعر صفى الدين الحلبي ص ١٢٦ .

(١٣) فوات الوفيات ج ٢ ص ١١٨ .

جناس خطي - وفي قوله :

رقن يا قاسي الفؤاد لأجفا      ذر قفار أسرى ليال طواف  
طبان - وفي قوله :

شارحات\* بدما متججع البعد      دمين في حب مجع الأشبال  
استارة - وفي قوله :

فت النوم في هواك قيصاصاً      حيث أدنى منها خداع الخيال  
مقابلة -

ولكن الشعراء بعد الأرمي اتجهوا الى مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - بديعياهم معارضين بردة البوصيري ، ومن ذلك بديعة صفي الدين الحلي ( - ٧٥٠ هـ ) وهي في مائة وخمسة وأربعين بيتا ومطلعها :

إن جئت سكتاً فسكّ عن جير العظم      واقرا السلام على عرّاب بني سكت  
وضمت كل بيت فيها محسناً وضمت قصيدته مائة وخمسين إذا جعل  
ليها للجناس اثني عشر ضرباً ، ففي المطلع براعة الاستهلال والتجنيس  
المركب واللتب ، وفي البيت :

لقد ضمنت وجود الدمع من عدم      لهم ولم استطع مع ذلك منع دمي  
تجنيس ملفق - وفي البيت :

أبيت والدمع هامر حامل سُرْب\*      والجسم في أخصم واللحم في وقْصُر  
تجنيس مذيّل ولاحق - وفي البيت :

من شاه حل أجاء الهوى كمداً      إذا عسى شاه بالدمع لم يتكسر  
تجنيس تام ومطرف - وفي البيت :

من لي بكل غرور في غلبهم      غرور حسن يداوي الكتلهم بالكتلهم



تجنيس مصحف وحرف • وفي قوله :

بكل قدرٍ نسير لا ظير له ما ينقضي أملي منه ولا أملي •

تجنيس لنظي ومقلوب • وفي البيت :

وكل لحظ أتي باسم ابن ذي سوزن نفسي فتكته بالعنق أو أبسى عزيم

تجنيس معنوي • وضم كل بيت من الأبيات الأخرى فنا بديعيا واحدا •

وسمى الحلبي بديعته « الكافية البديعية في المدائح النبوية » وشرحها بكتاب سماه « النتائج الالهية في شرح الكافية » وذكر انها خلاصة سبعين كتابا<sup>(١٤)</sup> .

وشرحها عبد الغني النابلسي ( — ١١٤٣ هـ ) بكتاب سماه « الجوهر السنسي

في شرح بديعية الصفي » • وأكس عليها الحسوي ( — ١١٣٧ هـ ) في خزانته

وفضلها على البديعيات الأخرى ، ومن أعجابه بالحلي فقدمه وجاراه وحذا

حذوه • قال مفتخراً ببديعته : « فباعت بديعية هدمت بها ما تحت الموصلي

في بيوت من العيال ، وجارت الصفي مقبلاً بتسمية النوع وهو في ذلك

محلل المقال »<sup>(١٥)</sup> .

ونظم ابن جابر الأندلسي ( — ٧٨٠ هـ ) ببديعته في مائة وسبعة وعشرين

بيتاً استلها بقوله :

بطية أول ويستم سيد الإمبر وأشر له المدح وأنشر أطيب الكلام

وسماها « الحلة السرى »<sup>(١٦)</sup> في مدح خير الورى • وهي المعروفة ببديعية

العيان • وعدده الدكتور زكي مبارك مبكر هذا الفن وقال : « وقد شغل

نفسه بمعارضة البردة ولكن أي معارضة ؟ لقد ابتكر فنا جديداً هو البديعيات

(١٤) البديعية في ديوان صفي الدين الحلبي ص ٦٥ ، والتفصيل في منابع

بلاغية ص ٢٢٨ . وطبع جميع اللغة العربية بدمشق « شرح الكافية

البديعية » سنة ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م بتحقيق الدكتور نسيب لشاوي .

(١٥) خزانة الادب ص ٦٧ .

(١٦) السراء : المخططة ، أو بخطها حرير .

وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ولكن كل بيت من أبياتها يشتم  
 الى فن من فنون البديع<sup>(١٧)</sup> . وشرحها صديقه أبو جعفر أحمد بن يوسف  
 ابن مالك الرعيئي القزويني ( ٤٧٧٩ هـ ) بكتاب سماه « طراز الحلة وشفاة  
 القلة » وأشار الى أن ابن جابر اتبع في سرد المحسنات الخطيب القزويني .  
 ولكنه بدأ باللفظ متابعاً بدر الدين بن مالك في « المصباح » . قال : « وقد  
 أن<sup>١</sup> أخذ في الكلام على أبيات القصيدة حسبما تحصل به الفائدة ويعود  
 على الناظر فيه بأحسن عائدة فنقول : إن المصنف تبع في هذه القصيدة الفاسي  
 جلال الدين القزويني صاحب « الإيضاح » و « التلخيص » فذكر من الكتاب  
 البديع مذكراً إلا أن<sup>٢</sup> المصنف بدأ بالنسم الذي يتعلق باللفظ وأختر النسم  
 الذي يتعلق بالمعنى على ما سنقف عليه . وهو في هذا الترتيب موافق  
 لصاحب « المصباح » وهو ترتيب حسن لأن<sup>٣</sup> اللفظ وسيلة الى المعنى ،  
 وحق الوسيلة أن تكون متقدمة ، وأيضاً فإن ما يتعلق بالمعنى لا يكون إلا<sup>٤</sup>  
 بعد التركيب بخلاف ما يتعلق باللفظ ، وحال الأفراد مقدم على حال  
 التركيب<sup>(١٨)</sup> . وأتى السيوطي على يدعية ابن جابر وقال : « إن<sup>٥</sup> نظمها  
 عال<sup>(١٩)</sup> ولكن الحصري قال : « وتظم هذه القصيدة ساقط بالنسبة الى  
 طريق الجعاعة غير أن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الاندلسي  
 شرحها شرحاً مفيداً<sup>(٢٠)</sup> » .

وتظم عز الدين الرضوي ( ٧٨٩ هـ ) يدعية في مائة وخمسة وأربعين  
 بيتاً التزم فيها تسمية الفن البديعي مورداً بكلمة عنه في البيت الذي  
 يتضمنها ، وبطلماها :

براعة تستهل التلميح في العلم عبارة عن ثناء المصنف الملم

(١٧) المدائح النبوية ص ٢٠٥ .

(١٨) طراز الحلة وشفاة القلة ص ١٧ .

(١٩) بنية الوعاة ج ١ ص ٣٥ .

(٢٠) خزائن الأدب ص ١١ .

ففي قوله : « براءة تستهل » إشارة الى براءة الاستهلال ، وفي قوله :  
ففي سلسي وصل ما ركتبت بشذا قد أطلقت أمام الحي عن أفسر  
تورية عن الجنس المركب والمطلق ، وفي قوله :

ملق فاهر سري وشان دمي لما جرى من عيوني إذ شئى فدمي  
تورية عن الجنس الملحق والإشارة اليه . وكان الموصل في أول من فصل ذلك  
ليتميز على الحلبي الذي لم يلتزم بتسمية النوع ، قال عبد الغني النابلسي :

« ثم جاء بعد صفى الدين الشيخ عز الدين الموصلي - رحمه الله تعالى -  
فعارضه بنصيدة على منوال قصيدته ، وذكر من الاسواع مذكروا وزاد عليه  
بعض شيء يسير من اختراعاته معجبا بذكر النوع البدعي في الفاظ البيت  
موردا به ثلثا يحتاج الى تعريف النوع من خارج النظم ، ولكنه تصكف  
ونكلف في غالب آياته وهجر مضجع الرقة والانجم ، ثم شرحها شرحا  
يبين فيه مقصده ومراده مع الاختصار ولم يستشرف لحظة الأفكار» (٢١) .

وقلم أبو سعيد زين الدين شعبان بن محمد بن داود بن علي الأثاري  
القرشي ( - ٨٢٨ هـ ) ثلاث بديعيات سمى الأولى « بديع البديع فسي  
مديح الشيع » وهي البدعية الصغرى وهي في مائة وتسعة وتسعين بيتا  
وقد التزم فيها تجريد ألقاب الانواع التي حسنها في البدعية الكبرى (٢٢)  
ومطلعها :

إن جئت بدرأ فطب وانزل بذى سلم سلم على من سبا بدرأ على علم  
وفيه براءة المطلق . وسمى الثانية « بديع البديع في مديح الشيع » أيضا ،  
وهي البدعية الوسطى وهي ثلثائة وثمانية أبيات ، ومطلعها :

دع "عكك سلعاوسك" عن ساكن الحرم وخل "سلسي وسكك" ما فيه من كرم

(٢١) تفهيمات الأزهري ص ٣ .

(٢٢) بديعيات الأثاري ص ١١ ، ٢٠ .

وسمى الثالثة « المقادير البديعة في مدح الشيخ » وهي البديعة الكبرى وهي أربعمائة وسبعة أبيات ، ومطلعها :

حسن البراعة حيد الله في الكلام ومدح أحد خير العرب والمجسم  
وفيه إشارة إلى « حسن البراعة » ، وفعل مثل ذلك في الأبيات الأخرى وأشار إلى الفنون البلاغية موزناً .

وظهر في القرن الثامن أديب ناقد كان له أكبر الأثر في البديعيات وهو أبو بكر علي بن حجة الحسوي ( - ٨٣٧ هـ ) الذي وجد عصره يسخر بالبديعيات ، وكان قد أحجب بيديتي الحلبي والموصللي فأراد أن يصح بديعة فتوقها ولفظوها فنظم بديعة ضمن كل بيت فيها لوناً بديعاً وأشار إلى اسمه في البيت نفسه وسماها « تقديم أبي بكر » وهي في مائة وأربعين بيتاً ، ومطلعها :

لي في ابتداء مدحك يا عرب ذي سلم براعة تستهل الدعج في العلم  
ورأى أن هذه البديعة لن تكون ذات فائدة عظيمة إن بقيت أبيات شعر تحفظ وتروى من غير تبصر يتناولها البديعية فوضع لها شرحاً سماه « خزنة الأدب وغاية الأرب » ووازن بينها وبين بيديتي الحلبي والموصللي (٣٢) . وكان لهذا الشرح أثر في البلاغة والبديعيات التي جاءت بعد ذلك فقد أخذ بعضهم على نفسه شرح بديعته كالسيوطي والباغوتي والذهبي والتابلي .

ولجلال الدين السيوطي ( - ٩١١ هـ ) بديعة سماها « نظم البديع في مدح خير شيخ » في مائة وأربعين بيتاً مشتتة على مثلها من الأنواع ومطلعها :

من العتيق ومن تذكار ذي سلم براعة تستهل الدعج في العلم  
وشرحها شرحاً موجزاً .

(٣٢) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٣٥ ، القزويني وشروح التلخيص ص ١١٧ .

وقلم صدر الدين بن معصوم الحسيني المدني ( - ١١١٧هـ ) بديعية  
في مائة وسبعة وأربعين بيتاً ، ومطلعها :

حسن ابتدائي بذكرى حيرة الحرم      له براعة شوق يستهلّ دمي  
وتفتن الفاظ آياتها أساء المحنات البديعية ، فهي المطلع « حسن  
الابتداء » و « براعة الاستهلال » ، وفي قوله :

دعني وعجبي وعج بي بالرسوم ونزع<sup>٢٢٤</sup> شرّكب<sup>٢٢٥</sup> الجبل وانقل مطلق الرسم  
الجناس المركب والمطلق . وشرحها بكتابه « أنوار الريع في أنواع البديع »  
الذي جاء أوسع المؤلفات البلاغية في العمود المتأخرة<sup>(٢٢٦)</sup> .

وقلم عبدالغني النابلسي ( - ١١٤٣هـ ) بديعيتين لم يلتزم في احدهما  
نسية النوع والتزمه في الثانية ، ومطلع الاولى :

يا منزل الركب بين البان فالعلم      من منج كاظمة حثيكت<sup>٢٢٧</sup> بالديم  
وشرحها بكتابه « فضحات الازهار على نسيات الاسفار في مدح النبي  
المختار » . ومطلع الثانية :

يا حسن مطلع من أهوى<sup>٢٢٨</sup> بذى سلم      براعة الشوق في استهلالها أنسي  
والتزم فيها التورية باسم النوع بعد أن انتقد ذلك قسي مقدسة شرح  
بديعته الاولى ؛ لأن ذلك يكسب « تناثر الكلمات وغرابة المباني وقلاقة  
الغاني»<sup>(٢٢٩)</sup> . وقال : « ثم اني قطعت قصيدة أخرى على منوال هذه  
صرحت فيها باسم النوع تشبيها لما ذكرته من الاستهلال ووقاء<sup>٢٣٠</sup> بما أشرت اليه  
في المقالة . ثم اني كتبت كل بيت منها عند ما يدانته في الهامش على حسب مقتضى

(٢٢٤) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٢٤٢ .

(٢٢٥) فضحات الازهار ص ٤ .

المحال»<sup>(٢٦)</sup> + وقال إن أبيات بديعته مائة وخمسون بيتاً مشتتة على مائة وخمسين فنا بعد زيادة الترواح لطيفة لا توجد في البديعيات وربما اتفق في البيت الواحد النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريضة في النظم<sup>(٢٧)</sup> .

وهناك بديعيات أخرى لوجيه الدين عبدالرحمن بن محمد اليمني ( — ٩٠٠هـ ) وشرف الدين عيسى بن حجاج بن عيسى بن شهاب السعدي القاهري ( — ٨٠٧هـ ) وأبي الوفاء بن عمر الغرضي الشافعي وقاسم بن محمد البكرجي ( — ١١٦٩هـ ) وغلام علي آزاد ( — ١٢٠٠هـ ) ومحمود صفيوة الساعدي ( — ١٢٩٨هـ ) وعبدالحادي بن رضوان نجا الأياري ( — ١٣٠٥هـ ) وعبدالقادر الحسيني الأدهمي الطرابلسي وعبدالحيد قدس بن محمد علي الخطيب ( — ١١٣٥هـ ) + وقلم المسيحيون بديعيات في مدح المسيح — عليه السلام — معارضة لبردة البوصيري والمدائح الحمديّة<sup>(٢٨)</sup> .

### بديعية الباعونية :

أسهمت المرأة في قلم البديعيات ، فقد ظلت عائشة الباعونية<sup>(٢٩)</sup> ( — ٩٢٢هـ ) بديعية في مائة وثلاثين بيتاً سمّتها «الفتح المبين في مدح الأمين» ومطلعها :

في حسن مطلع أتماري يذي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

(٢٦) تفحات الأزهار ص ٤ .

(٢٧) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٢٤٥ .

(٢٨) التفصيل في الصيغ البديعيّة ص ٤٥٨ ؛ مناهج بلاغية ص ٢٤٦ ؛ القرويني وشروح التلخيص ص ٤٦ ؛ البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٥٨ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ( الطبعة العربية ) ج ٢ ص ٤٧٠ .

(٢٩) هي عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني أم عبدالوهاب الدمشقية . ( شعرات الذهب ج ٨ ص ١١١ ، الأعلام ج ٤ ص ٦١ ، معجم المؤلفين ج ٥ ص ٥٧ ، أعلام النساء ج ٢ ص ١٩٦ ) .

وظفتها على متوال بديعية ابن حجة من غير تسمية النوع البديعي فسكا بطلاقة الألفاظ وانسجام الكلمات ، وشرحتها واضحت على ابن حجة كثيرا . قالت : « وبعد فهذه قصيدة صائرة عن ذات قناع ، شاهدة بسلامة الطباع ، منتجة بحسن البيان ، مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان ، سافرة عن وجود البديع ، سامية بمدح الحبيب الشفيع ، مطلقة من قيود وتسمية الأنواع ، مشرقة الطالع في أفق الابداع ، مرسومة بين القصائد النبويات بمقتضى الالهام الذي هو عبدة أهل الاشارات بالفتح المين في مدح الأمين . استخرت الله - تعالى - بعد تمام نظمها وثبوت اسمها في شيء يروق الطالب مولوده وتنظم عند المستفيد فوائده وهو أن أذكر بعد كل بيت حد " النوع الذي بنيت عليه واقر " شاهده فان ذلك مما يغتر اليه ، وألحوق في ذلك سبيل الاختصار ولا أدخل بواجب وأبته على ما لا بد منه قصدا لضع الطالب . والمسؤول من القناع بتأسيسها على قواعد إذن الله أن ترفع ، ومن مثبت رافعها بوجاهة مدح الوجيه المشفع أن يصلي وسلم عليه ويجملها خالصة لوجهه الكريم . وسيلة لي ولوالدي ولقريني ولاحابسي ولذ من والاني خيرا الى وفور الحظ من فضله العظيم وأن يتلنا بوجاهة المدوح لديه ويحتة عليه نهاية الآمال وما لم يخطر لنا على بال من منايح الوصال وبار الاتصال ودوام العوافي والأمان وشمول النور والرضوان ، انه جواد كريم رؤوف رحيم ، ومن الله أستمد وعليه أعتد ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أيب » (٢٠) .

وفي دار الكتب بالقاهرة شرح آخر لبديعيتها أكثر تفصيلا ، إذ توسعت فيه والتزمت أن تذكر عند كل محسن ما قاله ابن جابر الاندلسي والحلي والموصلي ، وهذا الشرح غير مطبوع ، أما الأول فقد طبع على حاشية « خزنة الأدب » للحموي ، ويبدو أن الدكتور أحمد إبراهيم

(٢٠) شرح بديعية الباهوتية ( خزنة الأدب ) ص ٢١٠ .

موسى لم يطلع عليه فقال عن الشرحين : « وكلاهما مخطوطان »<sup>(٣٦)</sup> ،  
 كما لم يطلع التابلي على الشرح الكبير فقال في مقدمة « نضج الأزهار » :  
 « ثم جاءت بعد ابن حجة فائضة الزمان عائشة الباعونية - رحمها الله  
 تعالى - وقلبت قصيدة على مثال قصيدته مع عدم تسمية التسويع تسميًّا  
 بطلاقة اللفاظ واتسجام الكلمات وشرحها شرحاً مختصراً وقتت عليه بنظها  
 - رحمها الله تعالى - أسفرت فيه عن ثام البيان بقدر الطاقة وحسب  
 التيسير\* » .

وقصيدة « الفتح المبين في مدح الأمين » معارضة لردة البوصيري  
 والبديعيات الأخرى ، وقد جرت على غرارها في الوزن والروي ، فهي من  
 البحر البسيط الذي يستند فيه النفس ليعبر عن الخلجات ويستوعب الأفكار ،  
 وهي على روي الهم المكسورة ذات الإيقاع العذب الذي يحرك الشاعر  
 وهز النفوس . وإذا كانت ردة البوصيري قد انتشرت وفازت حقاً عظيماً  
 فلأنها أقل تكلفاً من التصانيد الأخرى ، ولأنها ابتعدت عن نهج البديعيات  
 التي جاءت مجاورة لها وإن لم تلحقها في الشاعرية وتصل إلى غايتها في  
 التأثير . ولا تخرج عناصر القصيدة عما رسمته ردة البوصيري كثيراً فهي :

- ١ - التوسيب .
- ٢ - الحديث عن الأحياء .
- ٣ - الكلام على باب السلام .
- ٤ - مدح النبي عليه السلام .
- ٥ - الكلام على معجزاته صلى الله عليه وسلم .
- ٦ - وصف النبي والحديث عن أخلاقه .
- ٧ - المناجاة .

(٣٦) الشيخ البديعي ص ٤٥٠ . • نضج الأزهار ص ٢ .



يبدأ القسم الأول بالإشارة إلى ذي سلم والحديث عن حب الشاعرة الذي جعلها « في زمرة العشاق كالعالم » وتشرح حالها ثم تتخاطب سمعاً قائلة : « إنَّ ابصرت عينك كاظمة وجئت سكتاً فسل عن أهلها » لأن هناك اعتباراً طاعلة وهم آفة وإن حال البعد بينهم وأورث الألم . لقد « حلوا كمالاً » و « وازدادوا دلالة » ولكنها أحسنت الظن بهم وإن حاولوا تلفها . وتحدثت عما قيل لها عن سلوكهم وهي لن تسلوهم أو تنسأهم بل ترجو عطفهم واشفاقهم عليها ، فكل شيء يهون ، السهاد والشوق والجوى . وأتى لها أن تسلوهم و « نار الحب موقدة وسط الحشا وعيون الدمع كالدمع » ولها جفون لم تكتحل بغير السهد ولها « رسوم بغير السقم لم تسم » . وهي مهابة تهابها الأسد غير أن الألفة أقوى وأشد وأهم « أزدوا بشس الضحى والبدر حين بدوا وأومض البرق من تلقاء مبشم » . وتخاطب نفسها قائلة : جدي فإن وصلوا فذلك هو القصد وإلا فبوتي ميتة فيها إباء واحتشام وإن كان العشاق قد أخذ منها مأخذاً عظيماً ، وقد كنت حالها ولكن شجنها يأبى ذلك كل الإباء ويضحقها الدمع والسقام . وتحدثت عن الذين قالوا لها « لرهوي » ولكن قلبها لا يطاوعها وهي لن تقصم العهد ، ولو علم العادل ما بها وعرف مقدار لوعتها لتركها وهو معذور لأنه لا يرى التور في الظلام ، ولمسه يرى ذلك في يوم من الأيام ويرى النصح في كلامها ويكف عن لومها . وهي لذلك تتركه وتزعم بيانها عن ذمها ثم تلتفت إليه قائلة : « هل أعساك الجهل أو أن في طرفك عي أو فقدت رشداً أو أصابك ألم » . لقد أتعبت نفسك في لومي لمعطرة مني إليك وإن « سمي عتك في صمم » أعذل وعذف ما استطعت فلن تراني إلا كما شاء الهوى حافظة للذمم ، ولعلك ترى حسنهم فتكف عن اللوم وتحدث عنهم مازجا ملائك بالذكرى فهي تملأ « لعليل الشوق من ألم » .

وتخلص في القسم الثاني إلى الحديث عن الذين لبست في حبهم ، ولماذا هذا العذل وهم عرب استوطنوا السر منها فهو منزلهم ولن يوح به

يرما لغيرهم . انهم احبة ما لقلبيبا غيرهم من ارب وان جهم لم ير  
يسو ويزداد منذ القدم وقد ازلت صدق ولاهم لاتهم حلتوا بقلبيبا وحلى  
جود مشكهم جيدعا ، وهم آية في الجبال ، ولن تبلغ الشمس في الافاق  
مشقة لآلاء حسنهم . ثم تقسم أخط الابيان قائلة :  
« لا مكنتي المعالي إن لم أكن لهم خادمة » لاتهم بفضلهم غروني بما  
عجزت به عن شكرهم واليسوني من ضيائهم « نوراً جلا ظلي » و « اليسوني  
ثياب الوصل » . وتستمر في كلامها بانه وجدعا وثارعة شوقها ومظهرة  
لوعتها وتساءل : هل يجتمع شملها بهم . وتجب : « نعم ، نعم » لقد  
حدثني نسي بذلك وهي غير كاذبة فيما تقول .

وتعود في القسم الثالث قائلة : إن أسعت الأيام بأسماء واجتمعت  
الأماني وجئت النسي عرج على قاعة الوعاء وانطفئ على العتيق فالجرجاء  
من إسم ، واقصد به باب السلام وقف مقبلاً مولى القدم لأن لي قبا  
بذلك المكان رهينا وهو يمانني من الوجد كثيرا . وتطلب منه أن يأتي الكريم  
وقبل غير خائف من الوثنيين ليرى الحسن والاحسان ، وترجوه أن لا يصدده  
عن ذلك نصح اللاحين وما صاغوا من كلم .

وتتخلص في القسم الرابع الى مدح النبي - صلى الله عليه وسلم -  
فهو ابن الذبيح ، وهو أبو الزهراء وجد الحسن والحسين ، وهو المرتضى  
الذي اختاره الله - سبحانه وتعالى - « قبل اللوح والقلم » وغير النبيين  
وأسماءهم نسيا وأزكاهم حسبا وأعلامهم قربا من الله . وقد « عزت جلالة »  
و « جلت مكانة » و « عمت هدايته » لناس جبيعا وزلت نسي مدحه  
محكم الآيات . وتحدث عن الوحي والاسراء فقد خصه الله بالنبوة  
وامطفاء على سائر الانبياء في الأزل . وفي كلامها اشارة الى قوله - عليه  
الصلاة والسلام - : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » ولذلك فهو

فهو الجاء الشفيح وهو المجد حيث يسير تحت لوائه أهل المجد يوم الحشر  
الطيب .

وتحدث في القسم الخامس عن معجزاته وأولها القرآن الكريم الذي  
يُنزل فيجد الناس فيه حلاوة ولا يئس ولا يئسد ، ومن معجزاته  
— عليه السلام — ليس راحته التي تمسح راحة ، ومحوه الحسن من ريقه  
الطاهر ، ومنها إماعة النهرين له وتغير الماء من أصبعه .

وتنتقل في القسم السادس الى صفاته — صلى الله عليه وسلم — فهو  
« فريد الحسن » و « بدر الكمال » وهو السراج الهادي الذي اشتغل  
بالحق واكتمل بالخلق واعتصم بالبر والتزم به ، وهو « لبذل مقتم »  
و « بالبشر متسم » وهو مجتهد في القرآن الكريم . وكان جلاله عنوان  
سيرته ولو غدا البحر حيراً والشجر ورقاً ما حشرت أوصافه ؛ ولولا أن يكون  
في الوصف خروج قليل إن ذكره « محيي بالي الرمم » . وتكلم على أوصافه  
الأخرى وتصفه بالكرم الذي يوزي بكرم الآخرين ، فالحق هي آولة ،  
ولكن بحيث تله — عليه السلام — لا يزال يحيي وسيظل كذلك الى يوم  
الدين . انه كريم يعطي السائلين ، وهو الحبيب « غوث الوري » و « كعبة  
الآمال » وكل معنى يدع دون ربه . وتنتقل الى الكلام على تجريداتها  
الحج للرسول — عليه السلام — وان قدسها لا تزال تسمى له بالصفا ، وقد  
دعاها بحر الوفاء بالوفاء الى ثل الوفاء وبلغت ما تروم منهم وهو القرب  
والحب والشوق . ثم تقول : « صحح عزيمة صدق في محبة » و « قل  
مرادك وبلغ كل ما تريد » و « أقرده بالمدح » مستثيا الذين حازوا علا الفضل  
« من فازوا بسبقهم » فهم الباذلون النفس بذل المال والحافظون الجار ،  
وهم « سود الوقائع » و « حبر البيض » في الحشر و « خضر المراجع »  
في السلم و « بيض الفعل والشيء » وهم في غبار المعركة كالسندور في  
« حندس الظلم » وقد هزموا الجمع وما قتلت عزائمهم ، وهم النجوم وقد

فازوا بالسبق يتقدمهم خليفة رسول الله ذو القدم ولا عيب فيهم سوى  
انهم لا يمشون لهم ولا يمشون بشيء في القدم ، وقد سادوا المعالي بخير  
النوع في الأول وحازوا الأمانى بأولى الناس للضم .

وتستل في القسم السابع الى المناجاة وتعلقها بطل العيب الذي  
تلوذ به إن خالت ذنبها وكيف لن ينجيها « من النقم » وهو الذي يلتصقها  
فوق الذي تروم حينما تطمح الى « شيء من الكرم » وما هبت الريح إلا « رأت  
برق وناء لها فيه وبيل عطاء من دية النعم » .

وتختتم قصيدتها مخاطبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقولها :  
« يا أكرم الرسل سؤلي نيك غير خسر ، وأنت أكرم مدعو الى الكرم ،  
وعسى يحبك إن المرء يحشر مع أحبائه وذلك فوز عظيم وهناء » غير  
منحصر » .

إن القصيدة تجري مجرى البديعيات الأخرى من حيث عناصرها  
وهي علبية بمعانيها ولغزوة بأوصافها ، غير أن الشاعرة فيها ضعيفة والتكلف  
بأدب في كثير من أبياتها وذلك بسبب التزام الشاعرة بفنون البديع التي  
أصبحت قيوداً التزم به البديعون . ويبدو في نواتي القصيدة التلق والتكرار ،  
وما ذلك إلا « لأن الشاعرة تريد أن تصل الى هدفها وهو الاستعداد على  
الن البديعي ، وهذا من الصنعة التي تفرج الشعر عن سبيله وتحيله قلماً فيه  
من التكلف الشيء الكثير . ولكن قداسة الموضوع وبذل الهدف وشبهه  
بالقاة تشفع لعائشة الباعونية التي كانت صورة صادقة للمؤمنات في عهدنا  
ومثالاً للحياة الأدبية في القرن العاشر للهجرة . وقد وصفها ابن العماد  
الحنبلي بقوله : « الشبيخة الصالحة الأدبية العاملة أم عبدالوهاب  
الدمشقية أحد أقران الدهور ونوادير الزمان فضلاً وأدباً وديانة وصيانة  
تسكت على يد السيد الجليل اسماعيل الخوارزمي ثم على خليفة المحيوي

يحيى الأرموي . ثم حلت الى القاهرة ، وألت من العلوم خطاً والراء ، واجيزت بالانشاء والتدريس « (٢٢٢) .

وقصيدة عائشة الباعونية فحات من التصوف وليس فيها من أوصاف حسية وحديث عن الحب والفرقة والشوق ما يفرقه الشعراء الحسيون ، وإنما هو الشوق الى الله والقيام بحب نبيه المصطفى عليه السلام . وهي في ذلك تنحو منحى الشعراء المتصوفين كابن الفارض والبوصيري وغيرها من اعلام العشق الالهي . تقول من كلام لها : « وكان ما أنعم الله به عليّ أنني بعده لم أزل أقلب في أطوار الابداء في رغبة لثائق البر الجواد ، الى أن خرجت الى هذا العالم المشحون بظواهر تجلياته الطائغ بمجائب قدرته وبدائع إرادته المشوب موارده بالأقدار والإكدار ، الموضوع بكنال القدرة والحكمة للإبتلاء والاختبار ، دار ممر لا بقاء لها الى دار القرار » قرباني اللطف الرباني في مشهد النعمة والسلامة ، وغدائي بليان مداد التوفيق لسرك سبيل الاستقامة ، وفي بلوغ درجة التمييز أهمني الحق لقراءة كتابه المرح ومن عليّ بحفظه على التمام ولي من العمر حينئذ ثمانية أعوام ، ثم لم أزل في كثف ملاحظات اللطيف حتى بلغت درجة التكليف « (٢٢٣) . وهذا كلام صوفية تنوئ الى خالق الكون لا الى محبوب هجرها أو حبيب خانها ، وقصيدتها « الفتح المبين في مدح الأمين » تعبر عن هذا الوجد وتصور النزعة الصوفية أروع تصوير .

وليس الكلام هنا على النزعة الصوفية عند عائشة الباعونية وإنما الحديث عن قصيدتها وما فيها من فنون بلاغية جعلتها من أشهر البديعيات :

---

(٢٢٢) شلوات الذهب ج ٨ ص ١١١ .

(٢٢٣) شلوات الذهب ج ٨ ص ١١٢ .

وغير شرحها الذي يعدّ من جملة كتب البديع ، والقصيدة كما ذكرتها في شرحها ، هي :

في حسن مطلق أنشأني بذي سلم      أصبحت في زمرة العشاق كالعلم<sup>(٣٦)</sup>  
أقول والدمع جار جارح منقسي      والجار جار بعدل فيه متم<sup>(٣٧)</sup>  
باللهوى في الهوى رّوح سحت بها      ولم أجد رّوح بشرى منهم بهم<sup>(٣٨)</sup>  
وفي بكائي الحالم حال من عدي      لفقت صبرا فما أجدى ليح دمي<sup>(٣٩)</sup>  
يا سعد إن أبصرت عينك كاطمة      وجئت سكتا فسل عن أهلها القدم<sup>(٤٠)</sup>  
فتم أنصار تيم طالعين على      طوطم ، حيثهم وازل بحيتم<sup>(٤١)</sup>

(٣٦) فيه براءة المطلق وهو أن تكون المعاني واضحة في استهلاكها وأن يكون المطلق يدل على معنى القصيدة ويناسب الغرض ، وهو حسن الابتداء .

(٣٧) فيه جناس مدلول ( جار - جارح ) وهو « أن يجيء بكلمتين متجانستين اللفظ متطقتي الحركات غير أنهما يختلفان بحروف واحد » - الشرح ص ٣١٢ - ، وفيه جناس تام ( الجار - جارح ) وهو « أن يجيء المتكلم بكلمتين متطقتين لفظا مختلفتين معنى لاختلاف في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما » - الشرح ص ٣١٢ - .

(٣٨) فيه جناس محرف ( روح - رّوح ) وهو « ما اتفق ركناء في تعداد الحروف وتركيبهما سواء كان من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك فإن قصد اختلاف الحركات » - الشرح ص ٣١٢ - .

(٣٩) فيه جناس ملحق ( من عدي - منع دمي ) وهو « أن يكون كل مسند الركنين مركبا من كلمتين » - الشرح ص ٣١٤ - .

(٤٠) فيه جناس مركب ( سلما - سل من ) وهو أن يكون أحد الركنين مركبا من كلمتين والآخر كلمة واحدة .

(٤١) فيه جناس مصحف ( تم - تم ) وهو أن تكون الكلمتان متشابهتين في اللفظ مختلفتين في التنقيط . وفيه جناس مطلق ( طالعين - طوطم ) وهو ما يؤهم أحد ركنيه أن أصلهما واحد ، وليس الأمر كذلك .

أحبة لهم إلا الوا منهى ألي وإن هم بالتالي أوجبوا ألي<sup>(١١)</sup>  
 علكوا كمالاً جلوا حسناً سبوا أملاً  
 زادوا دلالة فنى صبري فنيا مقسسي<sup>(١٢)</sup>  
 أحسنت فني وإن هم حاولوا فني وثم سرّ وفتني فيه من فنيي<sup>(١٣)</sup>  
 اليمدي وأبو تمام كلّ شجر عاني الضرام ألي فلي لأجلهم<sup>(١٤)</sup>  
 قيل أسلمهم قلت إن هبت صيا سحراً وأشرق البدو تما سلخ شهرهم<sup>(١٥)</sup>  
 ما لي رجوع عن الأشجان في ولى بل عن سلوي رجوعي صار من لومي<sup>(١٦)</sup>

(١٠) فيه جناس مخالف (ألي - ألي) وهو : أن يشتمل كل واحد من الركنين على حروف الآخر دون ترتيبها = الشرح ص ٢١٥ .

(١١) فيه جناس لاحق (علوا - جلوا) وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه . والعين في الشاهد من مخرج والجيم من مخرج غيره .

(١٢) فيه جناس لفظي (فني - فني) وهو : ما تماثل ركناء وتجانسا خطا لكن خالف أحدهما الآخر بإبدال حرف فيه مناسبة لفظية = خزنة الأدب ص ٢٨ .

(١٣) فيه جناس معنوي (اليمدي - أبو تمام) قالت الشاعرة : فسان اليمدي هو منشئ العروض اسمه الخليل ، وأبو تمام الشاعر اسمه حبيب . وقد ظهر في هذا البيت جناسان مضمران وهما خليل و خليل حبيب . = الشرح ص ٢١٧ . وهذا الجناس نوهان تجنيس المسماة وتجنيس الإشارة ( ينظر خزنة الأدب ص ٤٠ ) .

(١٤) فيه مناقضة ، فقد طقت الشاعرة الشرط على الممكن والمستحيل ومراد المتكلم المستحيل ، لأن المناقضة هي تطبيق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق بعدم وقوع الشرط فكان المتكلم نافي نفسه في الظاهر إذ شرط وقوع المسر بوقوع نقيضين . ( خزنة ص ١١٤ ) .

(١٥) فيه رجوع وهو العود على الكلام السابق بالنفس لكثرة . ( الإفصاح ص ٢٥٢ ، التلخيص ص ٢٥٩ ، شروح التلخيص ج ١ ص ١٢٢١ ) .

(١٦) كلها في الأصل ، و ( رجوت ) اقرب إلى الوزن .

رجوتهم<sup>(١٧)</sup> أن يملئوا فضلاً وقد عطفوا

لكن على تلفٍ من قسوط عشقهم<sup>(١٨)</sup>

هأن السهاد غراماً فيه ألقني شوقي وعن الكرى وجداً قلم أتم<sup>(١٩)</sup>

وعاذلهم رام سلواني فقلت له من المحال وجود الصيدي الأجم<sup>(٢٠)</sup>

عذلتني والذمت النصح فيه فلا برحت تسمى بلا حد إلى النعم<sup>(٢١)</sup>

كيف السلو وفار الحب موقدة وسط العشا وعيون السبع كالديم<sup>(٢٢)</sup>

ولي جنون بغير السهد ما اكتحلتي ولي رسوم بغير السقم لم تسم<sup>(٢٣)</sup>

تهابني الأسد في آجاسها وفيها تلك الظبا قد أذلتني لعزم<sup>(٢٤)</sup>

(٢٧) فيه استفدك ، والاستفدك فعلان : قسم بتقديم الاستفدك فيه تقريراً  
لا أخبر به المتكلم وتوكيداً له كقول بعضهم :

وأخوان نخلتهم دروفاً فكانوها ولكن للأعادي

وقسم لا يتقدمه تقرير وتوكيد كقول زهير بن أبي سلمى :

أخو لقة لأهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال ناله

والاستفدك في بيت الشاعرة من القسم الأول - الشرح من ٢١٩ .

(٢٨) فيه مطابقة ( السهاد - الكرى ) والمطابقة أن يجمع بين شيئين مختلفين .

(٢٩) فيه تشبيل أخرج مخرج الخلل وهو قولها : « ومن المحال وجود الصيد  
في الأكس » .

(٣٠) فيه إيهام وهو أن يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متضادين لا يتميز

أحدهما عن الآخر . ولا يلهم من بيت الشاعرة ادعاء هو للعادل أم دعه

عليه لأنه يصلح للأمرين .

(٣١) فيه استعارة في « ناز الحب » .

(٣٢) فيه ازداف ، والازداف من الكناية وهو « أن يريد المتكلم معنى

فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو ودقه وتايده به

الشرح من ٢٢٢ . ومراد الشاعرة أنها من العشي لا تمام ، وأما هزلة

أضاعها السقم .

(٣٣) فيه افتتان ( النسيب والحباسة ) والافتتان هو « أن يأتي الشاعر

بفتن متضادين من الشعر مثل النسيب والحباسة والمديح والهجاء » .

- الشرح من ٢٢٢ = .



- أزروا بئس الضحي والبدر حين يدروا وأومض البرق من تلقاء بئسهم<sup>(٥٤)</sup>  
يا نفس ماذا الرئي جدني فإن يصلوا فالقتل أو لا فموتي موت محتم<sup>(٥٥)</sup>  
لذكرهم صار سئع العذل يطربني من اللواحي وطبيني لشكرهم<sup>(٥٦)</sup>  
بلغت في العشق مرمى ليس يدركه إلا خلع صبا مثلي إلى المصم<sup>(٥٧)</sup>  
كنت حالي وبأبي كتمه شجني بحكي الناضحين: الدمع والسقم<sup>(٥٨)</sup>  
قالوا ارحمني قلت قلبي ما يطاوعني قالوا اثني قلت عهدي غير متصم<sup>(٥٩)</sup>

(٥٤) فيه مراعاة النظير وهو الجمع بين أمر وما يناسبه مع الفاء ذكر  
التضاد لتخرج المطابقة ( خزنة الادب ص ١٣٩ ) وقد جمعت الشاعرة  
بين الشمس والبدر وهما غير متضادين .

(٥٥) فيه عتاب المرء نفسه : وقد حثبت الشاعرة على نفسها قائلة :  
« يا نفس ماذا الرئي ؟ » قال الحوي عن هذا الفن : « لم أجد العتب  
مرابا الا على من ادخله في اليدبع وبعده من اتواحه » ( خزنة ص ١٤٤ ) .  
(٥٦) فيه مغايرة وهي ان يطلب المرء يتوصله الى ما كان ذمه هو أو غيره .  
ومن المعروف ان اللواحي مدمومون فتلقت الشاعرة لسي مدحهم  
وجعلتهم سببا لطربها وأوجبت شكرهم .

(٥٧) فيه سلامة الاختراع : قالت الشاعرة : « والي فيما اعلم لم اسبق  
الى هذا المعنى » - الشرح ص ٢٢٦ - .

(٥٨) فيه توشيح ( الدمع والسقم ) وهو « أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم  
مثنى في حشو العجز . لم يأتي بعده بكلمتين مفردتين هما عين ذلك  
المتنى لتكون الاخرى منهما قافية بيته ، أو سجمة كلامه كأنه تعبير  
لا ثناء » - الشرح ص ٢٢٦ - .

(٥٩) فيه مراجعة ( قالوا - قلت ) وهي ان يحكي المتكلم مراجعة في القول  
ومحاورة بيته وبين غيره بأوجز عبارة - الشرح ص ٢٢٧ - .

قالوا سلوت فقلت الصبر في كلتي	قالوا يست فقلت البرء في سقني <sup>(٦٠)</sup>
يا عاذلي أنت معذور فقلت تسرى	إذا بدا الصبح ما غطى غشى الظلم <sup>(٦١)</sup>
أبرمت عذلاً ويخشى أن تجريبه	لي السلو <sup>(٦٢)</sup> وما السلوان من شيعي <sup>(٦٣)</sup>
أجتر الأمور على أذلالها فعسى	تري بعينيك وجه النصح في كلتي <sup>(٦٤)</sup>
عن ذم مثلك بيا نسي أثره	إذ أنت عندي معذور من النعم <sup>(٦٥)</sup>
الجهل أحوالك في الطرف منك عسى	أم غاب رثدك أم ضرب <sup>(٦٦)</sup> من اللعم <sup>(٦٧)</sup>
أصبت قصك في عذلي ومعذرة	مني إليك لسمي عنك في صم <sup>(٦٨)</sup>

(٦٠) فيه القول بالوجوب وهو ضربان : الأول أن يقع صفة في كلام مدح شيئاً يعني به نفسه فيثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح له بشيئها له ولا ينفيها عنه كقوله تعالى : « لن رجلاً إلى المدينة ليخرجن الأزمن منا الأذل » وله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فاتهم كانوا بالأعز من فريقهم وبالأذل من فريق المؤمنين فأنبت الله تعالى صفة العزة له ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لتبوت الإخراج بصفة العزة ولا لنفيها . والثاني حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده بما يحتمله بذكر متعلقه كقوله :

قلت فقلت إلا أتيت مسروراً قال فقلت كاعلى بأبيادي

- (٦١) فيه تهكم بلفظ ( الوعد ) مكان ( الوعيد ) .
- (٦٢) فيه مواربة وهي أن يقول المتكلم ما ينكر عليه بسببه وتوجيه أنه المؤاخدة فلذا حصل الإنكار عليه استحضار بحذقه وجها من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخدة إما بتشريف كلمة أو تصغيرها أو بزيادة أو بنقص . وموضع المواربة في « ويخشى » قال المراد بالباطن التام المشاة القوية ونحتها والسبع الهائلة ، فانت الشاعرة بالهاء المتناة التحية وضما والسبع الهائلة والتخلصت من المؤاخدة .
- (٦٣) فيه ضرب المثل وقد وقع إرساله في صدر البيت : « أجر الأمسور على الألهما » .
- (٦٤) فيه نزاعة وهي أن ينزه المتكلم كلامه من القبح في الوجد .
- (٦٥) فيه تجاهل المعارف ، وهو سؤال المتكلم عما يعلم سؤال ما لا يعلم .
- (٦٦) فيه الهزل يراد به الجد .

اعلن* وعصموقل ما استطعت لآلتي	إلا* كذا شامو جدي حافظاً ذمياً <sup>(٦٧)</sup>
تسومني الصبر* عين لي حلا بهم	جميع* ما مر* من حالات عشقم <sup>(٦٨)</sup>
ثم* يا عدول وشاهد حسنتهم فإذا	شاهدته واستطعت اللوم بعد* تهر <sup>(٦٩)</sup>
ابن أفل عسفن فرع لنا بـ	من اللام وحشيه بوصفهم* <sup>(٧٠)</sup>
وامزج ملانك بالذكرى فان* بها	تطلا* لعليل الشوق من ألم <sup>(٧١)</sup>
كرّر أعدا طرب أبطنن نحن* أجـ	قل سل جيد ترثم بر* من دم <sup>(٧٢)</sup>
أعد حديث أجبائي فهم عرب	قد أرب السمع فيهم كل منجم <sup>(٧٣)</sup>

(٦٧) فيه بسط ، وهو بسط الكلام بشرط زيادة في الفائدة .

(٦٨) فيه تورية وهي « أن يذكر التكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو حقيقية ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد التكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك » (خزانة ص ٢٢٦) . والتورية في « ما مر » إذ يحتمل المارة بدليل « حلا بهم » والمضي أيضاً .

(٦٩) فيه تصدير . وهو رد العجز على الصدر لم بالعدل - بعد لم .

(٧٠) فيه ما لا يستحيل بالاتعاس ، والشطر الأول من البيت يقرأ منكوساً .

(٧١) فيه تالف اللفظ والمعنى وهو « أن تكون الفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى » - الشرح ص ٢٢٦ - .

(٧٢) فيه تلويظ . وهو أن يأتي التكلم ببيان شئ من المدح أو الفذول أو غير ذلك من الأغراض من كل فن في سجة منفصلة من اختها مع تساوي الجميل في الوزن - الشرح ص ٢٢٧ - . وهذا المعنى ظاهر في كل لفظة من الفاظ البيت .

(٧٣) فيه ادعاج وهو « أن يدمج التكلم غرضاً له في جملة معنى من المعاني قد نحاء لوهم السامع أنه لم يقصده ، وإنما عرض في كلامه لتتبع معناه الذي قصده - الشرح ص ٢٢٨ - . وقد أدمجت الشائبة شرح الحال في هوامهم في التعريف بهم .

- استوثقوا السرّ مني فهو منزله ولا أهوه<sup>(٧٥)</sup> به يوماً لغوهم<sup>(٧٥)</sup>  
 بدا الصمود بعدي عن جوارهم فعاد وصل بقربي من محلمهم<sup>(٧٦)</sup>  
 أحبّة ما لقلبي لغوهم أربّ<sup>(٧٧)</sup> وحيثهم لم يزل يربو من القدم<sup>(٧٧)</sup>  
 لومت صفي ولاهم والتزمت به فلت ألوذ<sup>(٧٨)</sup> إلا عن سكوهم<sup>(٧٨)</sup>  
 حلوا بقلبي وحلّى جود متهم<sup>(٧٩)</sup> جيدي وشكر الأيدي مسمي وفي<sup>(٧٩)</sup>

(٧٤) في الأصل ( ولم أهوه ) ولعله الم) استفهام . وقد ذكرت التسمية في الشرح ( لا أهوه ) .

(٧٥) فيه استخدام وهو لفظ مشترك بين معنيين ويراد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم يعاد عليه ضمير ليراد به المعنى الآخر أو يعاد عليه ضميران ، ويراد بأحدهما أحد المعنيين وبالأخر المعنى الآخر . واللفظة « السر » في البيت محتلة القلب والكلام المستودع قلما قالت « فهو منزله » استخدمت أحد معني اللفظ وهو دلالة بالقربية على القلب ولما قالت « ولا أهوه » استخدمت المعنى الآخر وهو دلالة بالقربية على الكلام المستودع .

(٧٦) فيه مقابلة ( بدا - عاد ) - الصمود - وصل ) - بعدي - قربي : - ( من - من ) - ( جوارهم - محلمهم ) .

(٧٧) فيه تآلف اللفظ والوزن وهو أن تكون الأفعال ثمة ولم يضطر الشاعر في الوزن إلى تقصص أو زيادتها - الشرح ص ٢٤٤ .

(٧٨) فيه تآلف المعنى والوزن وهو « أن تأتي المعاني في الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر في الوزن إلى قلبها من وجهها » . ( خزائن الأدب ص ٤٢٨ ) .

(٧٩) فيه ابتداء وهو أن يأتي الشاعر في البيت الواحد من الشعر أو الفريضة الواحدة من النثر عدة ظروف من البديع - الشرح ص ٢٤٦ . وقد جمعت الشاعرة بين الجنس المطلق ( حلوا - حلّى ) - ( الجود - الجودات ) ( المسمع - الفم ) ، والتورية في ( وحلّى وحسن البيان والسهولة والأنسجام وتآلف اللفظ والوزن وتآلف الوزن والمعنى والتأنيب والبسط

ما بهجة الشمس في الأفاق مشرقة      يوماً بأريج من الألاء حسنهم<sup>(٨١)</sup>  
 لا مكنتني العالي من سيادتها      إن لم أكن لهم من جلة الخدم<sup>(٨٢)</sup>  
 بفضلهم لغروني من لوازلهم      بما عجزت به عن حق شكرهم<sup>(٨٣)</sup>  
 والبوني منذ آتت فارهم      من طور حضرتهم نوراً جلالهم<sup>(٨٤)</sup>  
 والبوني ثياب الوصل متعلنة<sup>(٨٥)</sup>      بقرهم وأقروا في القرى علمي<sup>(٨٦)</sup>  
 وخولوني مثلكا فيه قزرت<sup>(٨٧)</sup> بهم      فوز العزة براقى فيض فضلهم<sup>(٨٨)</sup>  
 لهم شياكل بالأحسان قد شملت      وعلمت كرم الأخلاق والشيم<sup>(٨٩)</sup>

(٨٠) فيه تفرع وهو « أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم متغني به » ما « خاصة ثم يصف ذلك الاسم المتغني بأحسن أوصافه المناسبة للمقام ، أما في الحسن وأما في القبح ، ثم يصفه أصلاً بفروع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو تسيب أو غير ذلك . ثم يفرع عن ذلك الاسم بـ « أفعل » التفضيل ثم يدخل « من » على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرها ويطلق المجرور بـ « أفعل » التفضيل فنحصل المساواة بين الاسم المجرور بـ « من » وبين الاسم الداخِل عليه « ما » النافية لأن حرف التثنية قد نلَّى الأفضلية فبقى المساواة » . ( خزائن الأدب ص ١١٤ ) .

(٨١) فيه القسم وجوابه وهو « أن يريد الشاعر الحلف على شيء فيأتي في الحلف بما يكون مدحاً له أو بهما بكسوة فخرًا ، أو يكون هجاء لغيره أو وعيداً أو جارياً مجرى التثفل والتمنيح » - الشرح ص ٢٤٨ .

(٨٢) فيه حسن البيان وهو « الإبانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن التلبس » ( خزائن ص ١٥٦ ) .

(٨٣) فيه توضيح وهو أن يكون أول الكلام دالاً عليه .

(٨٤) فيه مجاز ثياب الوصل ( ) ، والمجاز هو التفسير عن المعنى بغير لفظه الموضوع له .

(٨٥) فيه استطراد ، وهو الخروج من غرض إلى آخر على شرط أن يرجع إلى الكلام الأول .

(٨٦) فيه التهذيب والتأديب ، وهو وصف يتم كل كلام منقح محجور .

ولو عوالتهم بالجيبيل لها      بثتهم اتصال حجر منجم<sup>(٨٧)</sup>  
 وفا الوفا<sup>(٨٨)</sup> راق عيش المستهام بهم      فلا جفا بعد ما جادوا بوصلهم<sup>(٨٩)</sup>  
 حثثوا بقلبي فيما قلبي تن " بهم      وافرح ولا قلقت عنهم لغيرهم<sup>(٩٠)</sup>  
 قد طال شوقي وقلبي منزل " لهم      الى الطلول التي تسو باسمهم<sup>(٩١)</sup>  
 فليت شعري " هل حالي منتظم      قبل القنوت وهل شلبي بيلتهم<sup>(٩٢)</sup>

(٨٧) فيه انسجام ، وهو ما خلا من التعقيد وكان كانسجام الماء في انحداره .

(٨٨) فسي الاصل : او قالوا فا .

(٨٩) فيه تشريع ، والتشريع ان يأتي الشاعر بيته على وزنين من اوزان العروض وقافيتين فإذا اسقط من اجزاء البيت جزء او جزآن صار ذلك البيت من وزن آخر غير الأول - الشرح ص ٢٦٠ ، خزانة الادب ص ١١٩ - . وقد اخرجت الشاعرة من البيت قافية اخرى من منهول الرجز وهو ( وفا الوفا فلا جفا ) وصار باقي البيت من غير الجزئين الاولين ( راق عيش المستهام بهم بعدما جادوا بوصلهم ) . وهذا البيت من العروض الثالثة المحذوفة المطبوعة من المبدع .

(٩٠) فيه التفات ، وهو الانصراف من اسلوب الى آخر ، ويست الشعيرة فيه انصراف المتكلم من الاخبار الى المطالبة .

(٩١) فيه احتراس ، والاحتراس هو « ان يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيظن له نيائي بما يختصه من ذلك » ( خزانة ص ١٥٨ ) . قالت الشاعرة : « وقولي في بيئي التقدم او قلبي منزل لهم » احتراس من توهم خلو القلب منهم اذا فهم شوقي الى ديارهم فلما قلت : « وقلبي منزل لهم » ازلت التوهم واعلمت ان ذلك الشوق شوق البصر الى رؤية معاهده . واما البصرة فهي معمورة بهم لا يحتجون عنها طرفة عين » . الشرح ص ٣٦٥ - .

(٩٢) فيه لآلف اللفظ باللفظ ( منتظم - ملتئم ) وهو « ان يكون فسي الكلام معنى يصبح معه هذا التروع وبأخذ عدة معان فيطبخ منها لفظا ينهما وسين بمعنى الكلام التلاف » . ( خزانة الادب ص ١٢٨ ) .

- تَعَمَّ تَعَمَّ حَدَّثَنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ      فَلَنُونَ سِرْمِي حَدِيثًا غَجِيرَ مَتْنِهِ (٩٣)
- عَنِ جَوْدِهِمْ عَنِ لَدَائِهِمْ عَنِ فَوَاضِلِهِمْ      عَنِ مَتْنِهِمْ عَنِ وَفَائِهِمْ لَيْسَلُ بَرَهْمِ (٩٤)
- سَادُوا أَفْجُودَهُمْ جِمًّا وَبِفَلَاهِمِ      حَسَمَ\* وَمُورِدَهُمْ غَسَمَ لِكُلِّ ظَلَمِي (٩٥)
- يَا سَعْدُ إِنَّ سَاعِدَ الْأَسْعَادِ\* وَاجْتَمَعَتْ      لَكَ الْأَمَانِي وَجِئْتَ الْحَيَّ عَنْ أُنْهِ (٩٦)
- عَرَّجَ\* عَلَى قَاعَةِ الرِّعَاءِ مُنْعَطِفًا      عَلَى الْعَقِيقِ عَلَى الْجِرْعَاءِ مِنْ أَضْمِ (٩٧)
- وَأَقْصَدَ مُصَلَّتِي\* بَابَ السَّلَامِ وَقَفَ      لَدَى الْقَامِ وَقَبَّلَ مَوْطِي\* الْقَدَمِ (٩٨)

(٩٣) فِيهِ تَكَرَّرَ ( نَعَمْ نَعَمْ ) ، وَالتَّكَرُّارُ إِعَادَةُ اللفظ لِتُفْهِيرِ المعنى .

(٩٤) فِيهِ مُنَاسِبَةٌ وَهِيَ مُنَاسِبَةٌ فِي المعنى وَمُنَاسِبَةٌ فِي الْإِلْفَافِ ، وَالْمَعْنَوِيَّةُ هِيَ أَنَّ يَرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ مَعْنًى ثُمَّ يَتِمُّ كَلَامُهُ بِمَا يَنْسَبُ بِمَعْنَى دُونَ لَفْظِ أَقُولُ الشَّاعِرَةِ . وَالمُنَاسِبَةُ اللفظية هِيَ الْإِثْبَانُ بِكَلِمَاتٍ مُتَوَافِقَةٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : « أَمَلْنَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَحَلَمَةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ » قَالَ : « لَامَةٌ » وَلَمْ يَقُلْ « لَمَّةٌ » وَهِيَ الْقَبَاسُ لِكَانَ الْمُنَاسِبَةُ اللفظية التَّامَةِ وَلَمْ يَرِ التَّامَةُ لِأَنَّهَا فِي السَّوْءِ دُونَ اللفظية .

(٩٥) فِيهِ حَسَنُ التَّسْقِيقِ وَهُوَ « أَنَّ يَأْتِيَ الْمُتَكَلِّمُ بِالكَلِمَاتِ مِنَ التَّنْثِيرِ وَالْإِبْهَاتِ مِنَ الشَّعْرِ مُتَنَالِيَاتٍ مُتَلَاحِمَاتٍ تَلَاخِيًا سَلِيمًا صَنِيعَتًا مُسْتَبْهَجًا ، وَتَكُونُ جَمْلِيًّا وَمُتَوَدَّاعِيًّا مُتَسَلِّقَةً مُتَوَالِيَةً إِلَّا أَفْرَدَ مِنْهَا الْبَيْتَ قَامَ بِنَفْسِهِ وَاسْتَقَلَّ بِمَعْنَاهُ بِلَفْظِهِ » ( خُرَاقَةُ ص ١١٥ ) .

(٩٦) فِيهِ إِيْجَازٌ ، وَتَقْدِيرُ كَلَامِ الشَّاعِرَةِ : « يَا سَعْدُ إِنَّ سَاعِدَتَكَ الْإِثْبَارَ بِالْأَسْعَادِ وَاجْتَمَعَتْ لَكَ جَمِيعُ الْأَمَانِي وَجِئْتَ ذَلِكَ الْحَيَّ » - لَعَدَتْ بَعْضُ هَذِهِ الْإِلْفَافِ لِدَلَالَةِ الْبَاقِي عَلَيْهَا .

(٩٧) فِيهِ تَلْمِيزٌ ، وَهُوَ اخْتِرَافُ كَلَامٍ فِي كَلَامٍ لَمْ يَتِمَّ بِمَعْنَاهُ ثُمَّ يَعُودُ الْمُتَكَلِّمُ فَيَتَمِّمُهُ ، وَالتَّصْمِيمُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرَةِ « مُنْعَطِفًا » فَإِنَّ الْبَيْتَ صَحِيحُ المعنى بِغَيْرِ هَذِهِ اللفظة وَلَكِنْ يَجْعِلُهَا فِيهِ تَتْمِيمَ مَعْنَوِيٍّ . - الشَّرْحُ ص ٣٧٧ - .

(٩٨) وَلَفْظُ لَجْرِيدٍ ، وَهُوَ « أَنْ يَنْتَزِعَ مِنْ أَمْرٍ ذِي صِفَةٍ إِلَى آخَرٍ مِثْلَهُ » ( الْإِبْشَاحُ ص ٣٦٣ ، التَّلْخِصُ ص ٢٦٨ ، شَرْحُ التَّلْخِصِ ج ١ ص ٢٤٨ ) . وَقد جَرَدَتِ الشَّاعِرَةُ مِنَ الْمُصَلَّى مَقَامًا ، وَمِنْ الْقَامِ مَوْطِي\* الْقَدَمِ .

ظلي فؤاد بذاك الحسي مرتعن <sup>(١٩٩)</sup>	سلا السلو وعاني وجده هم <sup>(٢٠٠)</sup>
ناشدته اقد والأسوار مشرقة	تعلمو المعالم من سكانها القدم <sup>(٢٠١)</sup>
اثمر الكريم وهذا طور حضرتهم	اقبل ولا تخف الواشين بالكلم <sup>(٢٠٢)</sup>
وشاهد الحسن والاحسان جزؤهم	ولا تدع منك جزء غير مقسم <sup>(٢٠٣)</sup>
ولا يصدك عن بذل الوجوه لهم	لمصح اللواحي وبما انقوا بطلتهم <sup>(٢٠٤)</sup>
هم الخاليس ماذاقوا الغرام ولا	أمتوا حصى غير خلق الله كلهم <sup>(٢٠٥)</sup>

(١٩٩) فيه توكيد (هم) ، وهو « أن يبيد التاتر لجمعه فقرة أو النظم لغافية بينه تمهيدا لماي به الغافية ممكنة في مكانها مستثناة مني لقرارها غير قلقة ولا نافرة » ( خزائن ص ٤٣٩ ) .

(٢٠٠) فيه حذف ، وهو هنا حذف حرف من حروف الهجاء أو جميع الحروف المعجمة أو جميع الحروف المبجلة . وقد حذفنا الشاعرة في هذا البيت الأحرف التي تنقط من تحت .

(٢٠١) فيه اقتباس وقد اقتبست الشاعرة « قبل ولا تخف » من سورة القصص « الآية ٣١ » .

(٢٠٢) فيه نواذر ، والنواذر « أن يأتي الشاعر بمعنى مستغرب لقله استعماله ، لأنه لم يسمع بمثله . وهذا مما اختاره قدامة دون غيره » ولكن نالسه علماء البديع اختاروا غير رأي قدامة في هذا النوع فانهم قالوا : لا يكون المعنى قريبا إلا إذا لم يسمع بمثله » ( خزائن الأدب ص ٢٢٢ ) .

(٢٠٣) فيه كناية ، والكناية البيت معنى من المعاني بغير لفظه الموضوع له في اللفظ ولكن يجري إلى معنى هو ردله في الوجود فيومي إليه ويجعله دليلا عليه . وقد كتبت الشاعرة عن اقرار اللواحي بزعمهم النصح بالعافية .

(٢٠٤) فيه مخلص أي حسن النظم ، وهو الانتقال من المعنى الأول إلى الثاني انتقالا فيه ارتباط وخروج حسن .



محمد المصطفى بن الذبيح أبو ال زكهره جد أميرى ثنية الكرم (١٠٥)  
 الواقر العظم ابن الواقر العظم اب ن الواقر العظم ابن الواقر العظم (١٠٦)  
 الرضى المجتبى الخصوصى أحد من اختاره الله قبل الأوج والقلم (١٠٧)  
 خير النبيين والبرهان متفصح \* عقلا وثقلا قلم قوتب ولم يسم (١٠٨)  
 أسماهم نسباً ، أذكاهم حنبا أعلاهم قرباً من بارئهم النسب (١٠٩)  
 طه النادى بالقلب العلى شرفا وخيره بالأمامى ضمن كتبهم (١١٠)

(١٠٥) فيه امراء ، وهو الاثنان باسم المدوح ولقبه وكنيته وصفته الثلاثة  
 له واسم من أمكن من أبه وجده ليزداد المدوح تعريفا : - الشرح  
 ص ٢٨٢ - وذلك واضح في بيت الشاعرة .

(١٠٦) فيه تكرار ، وهذا البيت مرتبط بالسابق وقد جاءت به الشاعرة  
 تقريرا له ، بما يجب من النسوية بذكر آبائه من النبيين .

(١٠٧) فيه تكميل ، والتكميل « ان يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو  
 غيره من فنون الكلام وانراضه ثم يرى مدحه بالانقصار على ذلك المعنى  
 فقط غير كامل كمن أراد مدح انسان بشجاعة مثلا ثم رأى ان الانقصار  
 عليها دون مدحه بالكرم غير كامل أو بالبأس دون الحلم » - الشرح  
 ص ٢٨٢ - .

(١٠٨) فيه ترتيب ، والترتيب « أن يجنح الشاعر الى أوصاف شتى في  
 موضوع واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب ، ويكون ترتيبها في  
 الخلقة الطبيعية ولا يدخل التأمل فيها وصفا زائدا عما يوجد في الدفن  
 أو في العيان » . ( خزنة ص ٢٦٢ ) . والترتيب في البيت هو  
 في ذكر الثقل والتقل ولا ثالث لهما في الحجة .

(١٠٩) فيه تسميط وهو « أن يجعل الشاعر كل بيت بسطة أربعة أقسام ،  
 ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت » . ( خزنة ص ١٢٤ ) .  
 والتسميط في بيت الشاعرة ( أسماهم نسباً ) - ( أذكاهم حنبا ) -  
 ( أعلاهم قرباً ) .

(١١٠) فيه سهولة حيث لا تكلف ولا تعقيد ولا تعسف في السبك .

- (١١١) عزت جلالتـه ، جلست مكاتـه عمت هدايته للخلق بالتعمير (١١١)  
 اعظم به من نبي مرسل نزلت في مدحه محكم الآيات من حكم (١١٢)  
 يثبتي مفصلها عن عز مرتبة من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم (١١٣)  
 تبارك الله من اوحى اليه بسا اوحى وخصصته بالتمهي العظم (١١٤)  
 برتبة القاب بالادنى بطلوته برؤية الله بالاناس بالكلم (١١٥)  
 دنا وقال فلا تاتر يشاركه فيما حواه من التخصيص والكرم (١١٦)  
 اتي وكان ليلاً عند خالقه قدما وادم طيناً بعد لم يقم (١١٧)

(١١١) فيه معاملة ، وقد تماثلت الفاظ البيت في الرتبة دون التقفية كما في قولها : ( عزت جلالتـه ) - ( جلست مكاتـه ) - ( عمت هدايته ) .

(١١٢) فيه اعتراض ولو سقطت كلمة « مرسل » لبقى البيت على ترتيبه ، ولكن مجيئها فيه لافادة التوكيد وتقرير المعنى .

(١١٣) فيه ابداع ، وقد اودعت الشاعر النظرة الثانية من ميمية البوصح ي ليمنا بايقاء آثاره - الشرح ص ٣٩٠ - .

(١١٤) فيه اشارة باللفظ القابل الى المعنى الكثير ، او هو النسخة الثالثة .

(١١٥) فيه تفسير ، وهو « ان ياتي المتكلم او المتناقص في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره اما في البيت الآخر او نسي بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى تفسير في اوله . والتفسير يأتي بعد الشرط وما هو في معناه والجار والمجرور وبعد البيت الذي يكون تفسيره خبره بشرط ان يكون التفسير مجعلا والمفسر مفصلا » ( خزائن ص ٤٠٨ ) . وصحة التفسير في البيت تظهر ان الترتيب في مجزه والمفسر في صدره وكل قسم مستقل بنفسه .

(١١٦) فيه توضيح ، والتوضيح ان يكون معنى اول الكلام دالا على آخره .

(١١٧) فيه عنوان ، وهو « ان ياخذ المتكلم في فرض له من وصف او فخر او مدح او ذم او مناب او غير ذلك ثم ياتي لقصد تكميله بالفاظ تكون عنوانا لاختيار متقدمة وتخصص مبالغة » ( خزائن ص ٣٧٢ ) . وعنوان البيت يشير الى اصطفايته - صلى الله عليه وسلم - على سائر الانبياء في الانزل - الشرح ص ٣٩٥ - .

- ذو الجاء حيث يضم الخلق محشرهم ولا يسرى غيره في الكشف للنجم (١١٦)
- ذو الجاء حيث أهمل المجد قاطبة تسير تحت لواء يوم حشرهم (١١٧)
- ذو المعجزات التي منها الكتاب فيا يسرى لتقبس منه بكل جسم (١١٨)
- يتلى ويحلو ولا يلي وليس له مبدل وهو جبل الله فاعتصم (١١٩)
- قل للذي ينهي عشا يحاوله من حصر معجز طه الطاهر الشيم (١٢٠)
- كم أطيبت راحة باللس راحته وكم معا محنة ريق له بنجم (١٢١)

(١١٨) فيه تهيم وهو « أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخره مرة بالضم ومرة بالفتح » - الشرح ص ٢٩٦ - . والاسماع للشطر الأول من البيت يعرف كلامه .

(١١٩) فيه حصر الجزئي والحاقه بالكلي وهو أن يأتي المتكلم إلى نوع فيجمله بالتعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الأنواع والأجناس - الشرح ص ٢٩٧ - .

(١٢٠) فيه اكتفاء وهو « أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم ينتقل إلى ذكر المحذوف لدلالة يأتي لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم في ذهن قيسا يقتضي تمام المعنى » . ( خزائن الأدب ص ١٢٦ ) .

(١٢١) فيه توليد ، وهو أن ينظر الشاعر إلى معنى من معاني من قلعه ويكون محتاجا إلى استعماله في بيت من قصيدة فيسوره ويولد بينهما معنى آخر . ومعنى بيت الشاعرة مولد من بيت اليوسفي :

فلا تعد ولا تحصي عجائبها ولا تسام على الاكثار بالسام

(١٢٢) فيه تفصيل وهو : « أن يأتي الشاعر بشطر بيت له متقدم صفرا كان أو مجزا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف في التوطئة للآخرة » . ( خزائن الأدب ص ١٢٢ ) . قالت الشاعرة : « ومجزءه تقدم لي في بيت من قصيدة نبوية » - الشرح ص ٤٠٢ - .

(١٢٣) فيه موارد ، والموارد أن يتوارد الشاعران على بيت أو بعض بيت بلفظه ومعناه . قالت الشاعرة : « وقد فتح الله علي بالتصود من هذا النوع في بيتي المتقدم ولصدت الموارد بشهادة الله - تعالى - أنني لا نظمت هذا البيت لأكثر بعد فراغه بيت الشيخ - اليوسفي - رحمه الله تعالى - قال :

كم أبرأت عسا باللس راحته وأطمت أربسا من ريقه اللعس

والنيران أضاءه قلبك بددت بعد الأقول وهذا شق في الظلم (١٢٤)  
والله من إصبعه ناس فيض لذي كفيه مردود هذا معدم المعدم (١٢٥)  
فريد حسن تامسي عن مثله

في الخلق والخلق والأحكام والحكم (١٢٦)

بدر الكمال كمال البدر مكتوب من نوره وضياء الشمس فاعلم (١٢٧)  
أعلم به من نبي سيده مستدر هاد سراج منير صفوة القدم (١٢٨)  
بالحق مشغل في الخلق مكتوب بالبر معصم بالبر ملتزم (١٢٩)  
للبدل مفتوم بالشر متهم يسو يمتهم كالدر متظم (١٣٠)

(١٢٤) فيه تقسيم ، وهو استيفاء التكلم أقسام المعنى الذي هو أخذ فيه ،  
وقد استوفت الشاعرة ذلك في بيتها وقالت بعد ( النيران أضاءه ) :  
( نزلت بدت بعد الأقول ) و ( هذا شق في الظلم ) وبذلك استوفت المعنى .

(١٢٥) فيه جمع مع تقسيم ، فقد جمعت الشاعرة بين الماء وفيض كفيه ثم  
قسمت في بقية البيت .

(١٢٦) فيه جمع ، فقد جمعت بين ( الخلق ) و ( الخلق ) و ( الأحكام )  
و ( الحكم ) في حكم واحد .

(١٢٧) فيه طلب ( بدر الكمال - كمال البدر ) .

(١٢٨) فيه تسبيح الصفات ، إذ ذكرت النبي - صلى الله عليه وسلم -  
وأعقبت ذلك بعدد صفاته ( سيد - مستدر - هاد - سراج منير -  
صفوة القدم ) .

(١٢٩) فيه تشطير وقد قسمت الشاعرة بيتها شطرين ثم صرحت بكل شطر  
من الشطرين وجاءت بكل شطر من بيتها مغالفا لقافية الآخر . ( مشغل -  
مكتوم ) - ( معصم - ملتزم ) .

(١٣٠) فيه سجع ( مفتوم - متهم - يمتهم - متظم ) ، ولقد جاء روي  
الإنجاء مثل روي القافية ، وهذا من شروطه في الشعر . الشرح  
ص ٤١١ - .

معجزة الذكر غي الفرقان بالحكم محمد الأمر في البيان من حكم (١٣١)  
 جمال صورته عنوان سيرته هذا بديع وعذي آية الأسم (١٣٢)  
 ولورغنا البحر جبراً والفضا ورقاً في حصر أوصافه ضاقا ببعضهم (١٣٣)  
 وذكره كاد لولا سعة سبقت إذا تكررت يحيى بالي الرمح (١٣٤)  
 علا عن المثل والتشبيه ممتنع في وصفه وتصور العقل كالعظم (١٣٥)  
 محمد اسمه ثقت لجملة ما في الذكر من منحه في نون والقلم (١٣٦)  
 علاه كالشمس لا يخفى على بصر والوجه كاليدريجلو حالت الظلم (١٣٧)  
 لو كان ثم مثلي قلت طلعت كاليدري حاشي تعالى كامل العظم (١٣٨)

(١٣١) فيه ترصيع (معجزة الذكر - محمد الأمر) - (في الفرقان بالحكم - في البيان من حكم) وهذا يشبه ترصيع العقد ؛ وذلك أن يكون في أحد جانبيه من الحبات مثل ما في الآخر .  
 (١٣٢) فيه لف ونشر (جمال صورته - هذا بديع) - (عنوان سيرته - آية الأسم) .

(١٣٣) فيه الترائف في المعنى ؛ والانزلاق هو فرق المبالغة ودون الغلو .  
 (١٣٤) فيه غلو ؛ ولذلك استعملت الشاعر (كاد) .

(١٣٥) فيه مبالغة ؛ قالت الشاعرة : « وبالجملة فكل حيالته في هذا المقام ميكنة وغير مستحيلة في معجزات المدوح - صلى الله عليه وسلم - وعظم قدره » - الشرح ص ١١٥ - .

(١٣٦) فيه اتفاق ؛ قالت الشاعرة : « الاتفاق في بيئي ببركة المدوح - صلى الله عليه وسلم - ظاهر فإن اسمه الشريف محمد اسم عالم لا كثرت أطلانه الحميدة لمجد مرة بعد مرة فهو محمد ؛ وقد مسدح في (ن) بقوله : « وأنت لملي خلق عظيم » فطابق اسمه على مدحه . وظاهر الاتفاق الذي هو التويع في البيت » - الشرح ص ١١٥ - .

(١٣٧) فيه جميع مع الترميق .

(١٣٨) فيه تشبيه « كاليدري » .

قالوا هو الغيث قلت الغيث آو۞ يَكْثِي وَغَيْثٌ نَسَاءٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (١٢٩)  
يُغْثِي الْمَاءَ أَمَايَهُمْ فَلَمَّ تَسْرَى فَي حَيْثُ لَحِيرٍ مَسْرُوحٍ وَمُغْثِمٌ (١٣٠)  
فِي النُّورِ لَاحٍ عِلَاءٌ لَا تَغِيرُ لَهُ نُورُ الْقُرْآنِ قَرَأْنَا مِنْ لَدُنْ حَكَمٍ (١٣١)  
حَازَ الْجَبَالَ فَمَا فِي حَسَنِ مُتَصَفٍ بِشَطْرِهِ بَعْضُ مَا فِي سَيْدِ الْأَسَمِ (١٣٢)  
وَكُلُّ مَعْنَى بِدِيْعٍ دُونَ رُبَّةٍ مَعْنَى سَمَا عَلَى الْخَلْقِ عِنْدَ الْحَقِّ فِي الْقَدَمِ (١٣٣)  
هُوَ الْحَبِيبُ مِنَ الرَّحْمَنِ وَرَحْمَتُهُ لِلْعَالَمِينَ بِإِيجَادِهِ مِنَ الْعَدَمِ (١٣٤)

(١٣٦) فيه تفريق ، وهو « أن يعبد إلى شيئين من نوع فيقع بينهما تباين في مدح أو فخر » - الشرح ص ٤١٩ - والتباين في البيت أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - غيث والمطر غيث ولكن غيث غدي الرسول دائم ، وغيث المطر ينزل ثارة ولا ينزل أخرى ، فهو متقطع أبدا .

(١٤٠) فيه صفة الأقسام ، قالت الشامة : « وقد نفع الله علي بالقصود في هذا البيت بصحة هذا النوع ، فإن الممدوح هو الذي امتلا من العطاء فلم يبق له حاجة والغنم هو الذي أعطى ولم يبلغ من امتلا فهو يقتنم منافع الجود حتى يسأريه ولا ثالث لهديس التسمين في حضرة العطي الأشرف الذي هو النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنه لا يكون فيها محروم ولا يائس » - الشرح ص ٤٢٠ - .

(١٤١) فيه اشتراك « القرآن - قرأنا » ، والاشتراك « أن يائي الناظم في بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو فرعيا فيسبق ذهن السامع إلى المعنى الذي لم يرد الناظم فيأتي في آخر البيت مما يؤكد أن القصود غير ما توه منه ( خزانة الأدب ص ٣٦٥ ) .

(١٤٢) فيه طبع إلى معنى الآخر المشهور من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أوتي الحسن كله وأوتي يوسف - صلاة الله عليه شطره - الشرح ص ٤٢٢ - .

(١٤٣) لم تضع الشامة له عنوانا في شرحها لأنه لا يدخل في باب مستقل من أبواب البديع عندها .

(١٤٤) فيه المذهب الكلامي وهو أن يورد الشاعر مع الحكم ردا لشكر حجة صحيحة ، فالذي أوجد من العدم فلا بد أن يفتح لبيبه رحمة للعالمين .

غوث الوري كعبة الآمال ملتزمي في حبه بالشائي صار من لزمي (١٤٥)  
 جرئت حجي له من كل مفيدة ولم تزل بالصفا تسمى له قديمي (١٤٦)  
 بحر وفاء دعائي بالوفاء السي ليل الوفاء ورواني من النعم (١٤٧)  
 بلغت ما أروم منهم نظم أروم عن جلا غمي بالمعزم والهم (١٤٨)  
 صحت عزية صدق في محبة وقل مرادك وبلغ كسل ما تسم (١٤٩)  
 والفرد بالمدح واستثنى بمدحك من\* حازوا على الفضل من فازوا وبسبتهم (١٥٠)  
 الباذلو النفس بذل المال من يدهم والحافظو الجار حفظ العهد والشم (١٥١)  
 لا يلبسون بفضل الله ما وهبوا وسلبوا (١٥٢) ضرر الاملاق والعدم (١٥٣)

(١٤٥) فيه التزام ، وهو لروم ما لا يلزم ( ملتزمي - لزمي ) .

(١٤٦) فيه ترجيح وهو « أن يعتدل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطبقا من غير تقييد بمدح أو غيره » . ( خزانة الادب ص ١٤٥ ) .

(١٤٧) فيه ترديد وهو « أن يطلق لفظة في البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها ويطلقها بمعنى آخر » - الشرح ص ٢٧ - وتطرح ذلك في لفظة « الوفاء » في البيت .

(١٤٨) فيه تجزئة وقد جازت الشاعرة بيتها اجزاء عروضية وسجعنها .

(١٤٩) لم تضع الشاعرة له عنوانا لانه لا يدخل في باب مستقل من ابواب البديع عندها .

(١٥٠) فيه ايضاح ، قالت الشاعرة : « فاني لما قلت ( واستثنى بمدحك من حازوا على الفضل ) لم يعلم من هم المقصودون بالمدح قلنا قلت ( من فازوا بسبتهم ) زال اللبس واتضح انهم الصحابة - رضي الله عنهم ورضا بعثه وكرمه » - الشرح ص ٢٩ - .

(١٥١) فيه استنباع وهو « ان يذكر الناظم أو الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من الغراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن » ( خزانة ص ١٧ ) . وقد قتلت الشاعرة : ( الباذلو النفس ) ثم قالت ( والحافظو الجار ) .

(١٥٢) كيبا في الاصل .

سود الوقائع حبر البيض في حَرْبٍ . خطر المراجع يفض الفعل والشيم (١٥٤)  
 كأنهم في عجاج النقع حين يسدوا بدور تم بدت في حندس الظلم (١٥٥)  
 لتجمع فلتوا وما فلتت عز النهم وهي المواضي على استئصال كل عَمٍ (١٥٦)  
 همُ التجوم لما أسنى مطالبهم في ألق ملكه البيضاء بدهيم (١٥٧)  
 لا يسرج النك منهم صفو منتقد ولا يزين التقى بالتم واللم (١٥٨)

(١٥٣) فيه سلب وإيجاب وهو « أن يبيّن المتكلم كلامه على شيء من جهة وإياته من جهة أخرى » أو « أن يقصد المادح أفراد مدحوه بصفة لا يشركه فيها غيره قبلها في أول كلامه من جميع الناس ويشبها بمدحوه بعد ذلك » (خزانة ص ٢٦١) . وقد بلغت الشاعرة بينهما على أنفي في أوله والآيات في تكلفه .

(١٥٤) فيه تدييع ، والتدييع أن يذكر النظم أو النثر الوانا يقصد الكتابة بما أو التورية بذكرها من وصف أو مدح أو لومها . وقد كتبت الشاعرة عن الشدة بـ « سود الوقائع » وعن الحرب والشجاعة في القتال بـ « حبر البيض » وعن الرفاهية والكرم بـ « خطر المراجع » .

(١٥٥) فيه تشبيه شيء بشئين ( كأنهم بدور تم في حندس الظلم ) .

(١٥٦) فيه تذكيت قالت الشاعرة : « خصصت الاستئصال بالذكر لفهمه وهو محقق دولة الكفر وحسم مواد أصله . ولو قلت غير هذه اللفظة لشد مسددا ولكن في الاستئصال تكتة ليست في غيره وهي ملاكته وكذا في قولي ( كل عم ) فلو قلت ( محتم ) لشد ولكن كان يفوتني معنى الإطلاق . هذا مع اشتغال البيت المذكور مع تحرير النوع فيه على المناسبة البديعية بين الماضي والقول وحسن الكتابة عن صحة العزائم التي لشد ذلك من الأنواع » - الشرح ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(١٥٧) فيه مساواة بين اللفظ والمعنى .

(١٥٨) فيه تلميح بالإجابة . وهو « أن يثبت المتكلم شيئا في ظاهر كلامه ، ويثني ما هو من سببه مجازاً والمفني في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبت » ( خزانة الأدب ص ٢٢٢ ) .



بالسبق فآزوا بتخصيص تقدسهم فيه خليفة الصديق ذو القدم<sup>(١٧٩)</sup>

لا عيب فيهم سوى أن لا يضام لهم

وقد ولا يظنوا<sup>(١٨٠)</sup> بالرند في العدم<sup>(١٨١)</sup>

سادوا المعالي بغير الخلق في أزل آزوا الأمانى بأوقى الناس للنفس<sup>(١٨٢)</sup>

له الذي إن أخف ذنبى ولدت به أمت خوفي وتعباني من النقم<sup>(١٨٣)</sup>

ولا طمعت السى شيء من الكرم إلا وبقتنى فوق الذي أرم<sup>(١٨٤)</sup>

ما عبت الریح إلا شئت برق ولما لي فيه ويل عطا من دية النعم<sup>(١٨٥)</sup>

---

(١٨٩) فيه جميع الرزق والمختلف ، وهو « أن يريد الشاعر التسوية بين مدحونين فيأني بعمان مؤلفة في مدحها ويريد بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأني لأجل الترجيح بعمان تخالف معنى التسوية » - الشرح ص (٤١) - وقد رجعت الشاعرة أيا بكر الصديق - وهي الله عنه - لأنه كان أول السباقيين إلى الإسلام .

(١٩٠) كذا في الأصل .

(١٩١) فيه مدح في معرض الذم .

(١٩٢) لم تضع الشاعرة له عنواناً لأنه لا يدخل في باب مستقل من أبواب البديع عندها .

(١٩٣) فيه ازدواج ، وقد زوجت الشاعرة في البيت بين معنيين في الشرط والجواب ( أن أخف ) - ( أمت خوفي ) .

(١٩٤) فيه تصريح - وهو استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر في جزء في مجزء في الوزن والروي والأعراب ( من الكرم ) - ( الذي أرم ) .

(١٩٥) فيه قرائد ، والقرائد أن يأتي النظم أو الشعر بلفظة فصحة من كلام العرب العرباء تنزل من الكلام منزلة القرائد من القند وتدل على فصاحة المتكلم بحيث لو سقطت من الكلام لم يبد غيرهما مسدها « ( خزانة ص ٣٧٢ ) . والفريدة في بيت الشاعرة ( شئت ) - الشرح ص ( ٥٤ ) - .

يا أكرم الرسل مؤلفي فيك غير خفي - وأنت أكرم مدعو إلى الكرم<sup>(١٦٦)</sup>  
 حسبي بحبك أن المرء يحضر مع - أحبابه فهناك غير منهم<sup>(١٦٧)</sup>  
 مدحت مجلت والإخلاص ملتزمي - فيه وحسن امتداحي فيك مختصي<sup>(١٦٨)</sup>

## الموازنة :

هذه قصيدة عائشة الباعونية وهي تجري فيها مجرى شعراء البديعيات الذين اتخذوا من مدائحهم للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وسيلة لأظهار فنون البلاغة . وقد كانت عائشة أقرب إلى ابن حجة الحموي وإن لم تسم - الفن البديعي أو تروني عنه كما فعل ولكنها اعتمدت عليه في الشرح كثيراً

(١٦٦) فيه برامة الطلوب وهو « أن يلوح الطالب بالطلب بالفاظ عديدة متتعة مقترنة بتعظيم المدحوخ خالية من الإلحاف والتصرّيج بل يشعر بما في النفس دون كشفه - الشرح ص ٥٤ » - وقد ذكرت الشاعرة أن سؤالها في النبي العظيم - صلى الله عليه وسلم - غير خفي وإن طلبها الذي أشارت إليه جاء تلويحاً بالفاظ عديدة مقترنة بتعظيم الرسول الكريم ، ثم ختمت بيتها بعد طلبها بالقول أنه أكرم مدعو إلى الكرم .

(١٦٧) فيه عقد وهو نظم المتنور ، ومن شرائط العقد أن يؤخذ المتنور بجملته لفظه أو بمعظمه فيزيد النظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر . ومضى أخذ معنى المتنور دون لفظه كان ذلك نوعاً من أنواع السرقات ولا يسمى عقداً إلا إذا أخذ النظم المتنور برمته وإن غير منه شيئاً بطريق من الطرق على أن يعرف أصل الكلام الآخوذ . ( خزائن ص ٥٩ ) ، الشرح ص ٥٦ )  
 قالت الشاعرة : « ويبني عقده ظاهر ، والقصود فيه من العقد قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « يحضر المرء مع من أحب » ونسب رواية : « المرء مع من أحب » - الشرح ص ٦١ - .

(١٦٨) فيه حسن الختام وهو « أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعدياً لتبقى لذته في الاستماع » وقالت الشاعرة : « وبالجملته فمحاسن هذا النوع لا يدخل تحت دائرة الحصر ، وفي هذا التلويح كفاية في الدلالة على صحة النوع في بيتي التقديم ، وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين » - الشرح ص ٦٢ ، ٦٧ - .

ونقلت عنه تعرفاته للفنون البلاغية ، كما استفادت من كتاب «حسن التوسل» للشهاب الحلبي، وكتب ابن أبي الاصمعي المصري كتحرير التحميم ويديع القرآن . وكانت ترجع الى كلام عباد بن المتز صاحب كتاب « البديع » وقدامة بن جعفر مؤلف كتاب « نقد الشعر » والقزويني صاحب « التلخيص » « والإيضاح » . وكان اعتمادها على شعراء البديعيات أوضح لاتصال اتجاهها بهم وارتباط قضاها بالنن الذي طرقت .

لقد كانت بديعية الباعونية من القصائد التي اثمرت في البلاغة ؛ لان الشاعرة لم تنس الى الفن البلاغي وبذلك احتاجت الى ايضاح وشرح ، ولولا ذلك لبقيت القصيدة تنلى او تحفظ من غير فهم دقيق لها . وقد فعل مثل ذلك الشعراء الذين كتبوا عن الغرض وورثوا او لم يضعوا ، ومن هؤلاء ابن حجة الحسوي الذي اتخذته الشاعرة اماماً لها في فن البديع فقد التزم بتسمية الفن البديعي ولم يلتزم به الشاعرة ، قال في براعة الاستهلال :

لي في ابتداء مدحكم يا عربذي سلم براعة تستهل المدح في العلم  
فقوله : « براعة تستهل » اشارة الى الفن البديعي ، اما عائشة فقد قالت .

في حسن مطلع أتماري بذي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم  
وفي قولها « حسن مطلع » اشارة خفية الى براعة الاستهلال أو حسن المطلع ، ولكنها حينما جاءت الى الجنس المذيل والتمام لم تنس الى التسمية وانما قالت :  
أقول والمدح جار جارح مقلي والجار جار بعذل فيه متهم  
وليس في هذا البيت ثورية عن الجنس أو أنواعه ، غير ان العارف يعلم انها ذكرت الجنس المذيل في ( جار - جارح ) والتمام في ( الجار - جار ) وكان ابن حجة قد قال عن المذيل :

وذيل الهم حمل المدح لي فجزى كلاحق الفتح حيث الارض لي ضرم

فقله : « وذيل » إشارة الى الجنس الذيل و « الهيم - هيل » شاهده وقال  
عن الجنس التام :

ياسعد ماتسم لي سعد يطرفني      بفرهم وقيل الحظ لم يلسم

فقله : « تم » إشارة الى الجنس التام و « سعد - سعد » شاهده .

وسيل ابن حجة الحموي أقرب الى المدارك لانه أشار الى الفن البديعي :  
أما عائشة الباعونية فقد جردت بديعتها من التسمية وبذلك كانت بعيدة المثال  
لاتدرك إلا بعد التأمل والتفكير . وكان صفي الدين الحلبي قد فعل ذلك وانضم  
عز الدين الموسلي بالتسمية فجاءت بديعته ثقيلة على خلاف بديعة الحلبي .  
وقد أشار الحموي الى ذلك بقوله وهو يذكر الموسلي : « التزم فيها بتسمية  
النوع البديعي وورى بها من جنس الغزل ليسير بذلك على الشيخ صفي الدين  
الحلبي - نعمه الله برحته - لانه ما التزم في بديعته بحسب هذا العبء  
الثقل »<sup>(١٦٩)</sup> ، وتحورت الباعونية من هذا العبء الثقيل غير انها لم تصل  
الى ما وصل اليه الحلبي في بديعته لانه كان شاعراً كبيراً له القدرة على التعبير  
والإداء ، وكانت تنظم الشعر بدائع ليل وجب لرسول الله عظيم ، وشتان بين  
ناظم وشاعر . ولذلك جاءت بديعتها تنسكو الكثير ومن ذلك إيهام الانواع  
البديعية فشرحتها شرحاً موجزاً ينفع السائد في الأدب ولكنه لا يحقق  
طسوح الأدب .

ومهما يكن من أمر فإن لعائشة الباعونية أثراً في البلاغة في القرن التاسع  
للهجرة وما بعده لانها كانت حلقة من حلقات علم البديع ، وهي حلقات لم  
تنقطع إلا في القرن الرابع عشر للهجرة وكانت معلماً من معالم الدرس البلاغي  
في عصرها . ولو تهيأت لها الأسباب لأبدعت وأجادت ، ويكفي انها كانت  
سوتاً للمرأة المسلمة المؤمنة ، وفخراً للأمة التي أنجبت الشهيرات في العلم  
والفقه والتصوف والأدب ، وليس ذلك بقليل في عصر قبل عه إنه مظلم ،  
وزمان كسدت فيه سوق العلم والأدب .

تلك أهم ملامح تأثير الدالّح النبوية في البلاغة العربية ، وقد تمثل ذلك التأثير في البديعيات وهي كثيرة تدل على اعتماد عظيم ينشون البديع في اليهود الأخيرة . ولذا كان فيها اسراف في الصنعة والتفنن في ايجاد أنسواع بديعية دعا الدارسين الى انتقادها وتصورها بنسج حقيقتها فإن الجهد المبذول فيها كبير يدل على ما كان يتمتع به أولئك الشعراء من صبر على النظم ، وإطلاع على اللغة وذكاء في معالجة فنون والتورية عنهما وهي تمثل اتجاها جديدا في تاريخ البلاغة يختلف كل الاختلاف عما عرف من شروح التلخيص التي سيطرت على الفرس البلاغي بعد القرن السابع للهجرة وتصور حياة الأدب في ذلك العهد الذي جنح ليه الشعراء الى العناية بصور البديع . وكانت تطبيقاً لذلك الأدب وما حفل به من فنون بديعية فتح بها الشعراء المولودون وأحصى منها ابن المعتز ثمانية عشر وترك الباب مفتوحاً لمن أراد التوسع فيها ، وكان البديعيات كانت استجابة لتلك الدعوة . وتمثل البديعيات - أيضاً - العودة الى البديع كما عرفه الجاحظ وابن المعتز وقدامة بن جعفر وغيرهم من البلاغيين الذين سبقوا تقسيم البلاغة وحصر البديع في المحسنات اللفظية والمعنوية يضاف الى ذلك ان العصر الذي عاش فيه أصحاب البديعيات كان يشغى بنظم علوم اللغة تقريباً لها وضبطاً لقواعدها وقد رأى البديعيون أن البلاغة ينبغي أن تقيّد ليسهل حفظها وسمّ قنعها ، وقاموا بذلك غير قيام مع ما في النظم من تكلف واستغاف في بعض الأحيان .

ولم تكن البديعيات في مستوى واحد بل اختلفت بتعدد أصحابها وبان تنافسهم ومواقفهم ، ولعل بديعية صفي الدين الحلي أجودها شعراً وأصدقها عاطفة لأنه لم يلتزم التورية عن الفن البديعي كما التزمه الموصلاني والحموي . والبديعيات بعد ذلك ثلاثة ألوان :

الأول : ليس فيه تسمية للنوع البديعي وبمثله الحلي والهاشمي .

الثاني : فيه تسمية النوع وبمثله الموصلاني والحموي .

وهذان اللونان مع اختلاف في الأسلوب يمثلان البلاغة بفنونها الثلاثة ،  
لأن البديع عند أصحابها لا ينحصر فيما عرّفه أصحاب الشروح والتلخيصات  
وانما يشمل المعاني والبيان والبديع .

الثالث : حصر البديع في المعينات اللفظية والمعنوية ومثله ابن جابر الاندلسي  
الذي اتخذ من مذهب السكاكي والتزوني سبيلا .  
وقد ظهر أثر البديعيات في البلاغة واضحا في :

١ - انها سلكت فنون البلاغة في آيات سهل حفظها وانتشارها ، لأن  
الشعر أسير في الحفظ وأكثر دورا ، ولا سيما اذا كان في مدح النبي العظيم  
محمد - صلى الله عليه وسلم - . وقد كان المصنف الذي ظهر فيه أصحاب  
البديعيات عصر زهد وتصوف وتوجه الى الله لينقذهم مناهم فيه من  
ظلم واستبداد .

٢ - انها لم تخرق بين علوم البلاغة وانما سلكتها في علم واحد هو  
البديع بمعناه الواسع ، أي انها دعوة للعودة الى ما كانت عليه البلاغة في عهد  
كبار البلاغيين كالجاحظ وابن المعتز وقدامة وعبدالقاهر وابن رشيق وابن سنان  
وابن الاثير وغيرهم من جعل البلاغة علما واحداً يُعتبر بها عن « فضل بعض  
القائلين على بعض من حيث فطرتوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض  
والمقاصد ، وراسوا أن يعلموهم ما في قلوبهم ويكشفوا لهم عن ضمائر  
قلوبهم » (١٧٠) .

٣ - انها دفعت المؤلفين أو الشعراء أنفسهم الى شرح البديعيات كما فعل  
ابن حجة الحسوي وعائلة الباعونية وابن معصوم المدني وغيرهم . وقد كانت  
شروحهم من أهم كتب البلاغة العربية في ذلك العهد لانها جمعت كل ما عرفته  
البلاغة من فنون قبل القرن السابع للهجرة . وذكرت كثيراً من آراء المتقدمين  
وتعريفاتهم . ولانها أعطت صورة دقيقة للحياة الأدبية في ذلك العهد وحددت  
النوع الفني الذي كان الأدباء يلتزمون به .

٤ - أنها دفعت الشراح الى التجديد في الشواهد البلاغية والاستعانة بشعر المعاصرين لهم ، وتكاد « خزانة الأدب » للحموي تمثل عصره أدق تمثيل ؛ لأن المؤلف ذكر كثيراً من شعر معاصره وبذلك حفظ لنا نزوة أدبية ترسم ملامح ذلك العصر . ولم يكن شراح التلخيص كذلك ؛ لأنهم لم يخرجوا كثيراً على شواهد التلخيص للقزويني وشواهد البلاغة القديمة ، وبذلك كان أصحاب البديعيات وشراحها أكثر تشيلاً لعصرهم من شراح التلخيص . ولعل فيما قدموه قسماً ، ولعل فيما قدمه هذا البحث فائدة لمن تعنيه الثقافة العربية الإسلامية وهو يستقبل القرن الخامس عشر للهجرة بروح مؤمنة وعزيمة ثابتة وخطوات مطمئنة لبنني مستقبلًا زاهراً تسود فيه كلمة الله وتعلو فوق كل صوت تردد جنان عالم يشهد انقياداً إن لم تتركه راحة الله .

## المصادر :

- ١ - الإعلام - خير الدين الزركلي . الطبعة الثانية - القاهرة .
- ٢ - أعلام النساء - عمر رضا كحالة ، الطبعة الثانية - دمشق ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .
- ٣ - أنوار الربيع في أنشراح البديع - ابن مفسوم علي صدر الدين المدني . تحقيق شاكر هادي شكر - النجف ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- ٤ - الإيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة . ( مطبعة السنة المحمدية ) .
- ٥ - بديعيات الأتاري - زين الدين شعبان بن محمد القرشي الأتاري - تحقيق هلال ناجي . بغداد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ٦ - بنية الوصال في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ٧ - البلاغة تطور وتاريخ . الدكتور شوقي سيف . القاهرة ١٩٦٥م .
- ٨ - البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- ٩ - التلخيص - الخطيب القزويني . تحقيق عبدالرحمن البرقوني . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- ١٠ - خزانة الأدب وغاية الأرب - ابن حجة الحموي . القاهرة ١٢٠٤هـ .

- ١١ - دائرة المعارف الإسلامية ( الطبعة العربية ) مادة ( بدیع ) .
- ١٢ - دلائل الاصحاح - عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا .  
القاهرة ١٢٧٢هـ .
- ١٣ - ديوان صفى الدين الحلبي . دار صادر - بيروت ١٢٨٢هـ - ١٩٦٢م .
- ١٤ - السيرة النبوية - أبو محمد عبدالمالك بن هشام . تحقيق مصطفى السقا وجعافنة . الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- ١٥ - شلرات الذهب - ابن العماد الحنبلي . القاهرة .
- ١٦ - شرح بديعية الباعونية - عائشة الباعونية . ( مطبوعة على حاشية خزانة  
الأدب لابن حجة الحموي ) - القاهرة ١٣٠٤هـ .
- ١٧ - شروح التلخيص . القاهرة ١٩٣٧م .
- ١٨ - شعر صفى الدين الحلبي - الدكتور جواد أحمد طروش . بغداد ١٣٧٩هـ -  
١٩٥٩م .
- ١٩ - الصيغ البديعية في اللغة العربية - الدكتور أحمد إبراهيم موسى .  
القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
- ٢٠ - طراز الحلة وشفاء الخلة - أبو جعفر الرعيني . مخطوطة مكتبة الأوقاف  
العامية ببغداد رقم ( ١٢١٤٢ ) .
- ٢١ - فنون بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٢٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- ٢٢ - فوات الوفيات - محمد بن شاكر بن أحمد الكندي . تحقيق محمد محيي  
الدين عبدالحميد . القاهرة ١٩٥١م .
- ٢٣ - القزويني وشروح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ١٣٨٧هـ -  
١٩٦٧م .
- ٢٤ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد  
أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ٢٥ - المدايح النبوية في الأدب العربي - الدكتور زكي مبارك . القاهرة ١٩٦٧م .
- ٢٦ - مصطلحات بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بغداد ١٢٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٢٧ - معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة . دمشق ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .
- ٢٨ - مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب - بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٢٩ - نقحات الزهار - عبد الفني النابلسي . دمشق ١٢٩٩هـ .





( ١٠ )

## أثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية

الشيخة :

كان الدكتور طه حسين من أوائل الباحثين العرب الذين تحدثوا عن الأثر اليوناني في البلاغة العربية<sup>(١)</sup> ، وقد قرر أن البيان العربي في أول نشأته وفي عهد الجاحظ تبيين فيه ثلاثة عناصر هي : العنصر العربي ، والعنصر الفارسي الذي يسيل إلى البراعة والطرف في القول والهيئة ، والعنصر اليوناني الذي يصل بالعلماني من حيث دقتها والعلاقة بينها وبين الالتفات<sup>(٢)</sup> ثم انتهى إلى أن البيان العربي « كان في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولاً والبيان اليوناني أخيراً ، ولذلك لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ، ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان »<sup>(٣)</sup> .

وقد بنى رأيه على كثير من الفطن ، من ذلك تصوره لكتاب البديع لابن المعتز وصلته بأرسطو قال : « لم أطلع على كتاب البديع هذا ، ولكن الذين ظنوا عنه أكثروا من ذكره كثرة تسكتنا من تصوره » فهو عبارة عن تعداد لأنواع

---

(١) نشر في مجلة دراسات للأجيال ( العدد الثالث - كانون الأول ١٩٨٢ م ) .

(٢) قدم الدكتور طه حسين بحثه « البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر » إلى مؤلفر المنشورين باللغة الفرنسية في الحادي عشر من أيلول سنة ١٩٢٢ م ونشر مترجماً بقلم عبد الحميد العبادي في مقدمة « نقد النثر » المنسوب إلى قدامة بن جعفر .

(٣) مقدمة نقد النثر ص ٧ . (٣) مقدمة نقد النثر ص ٣١ .

البدیع مع الاستشهاد لكل نوع منها بشواهد من كلام القدماء والمعاصرين لابن المتر ، ومع المزاوجة بين هذه الشواهد بعضها وبعض . وهم يقولون ان ابن المتر أحصى في كتابه ثمانية عشر نوعا من أنواع البدیع من يدرسها في كتاب معاصره قدامة بن جعفر وفي كتب الذين جاءوا بعده يلحظ فيها لاسمالة أنرا بينا للفصل الثالث من كتاب « الخطابة » وبعبارة أدق للتقسيم الأول من الفصل الثالث وهو الذي يبحث في العبارة «<sup>(١)</sup>» . وكان بعض كلامه صحيحا ؛ لأنه أخذ من تحدثوا عن كتاب البدیع ، لكن تصوره لعلاقة الكتاب بخطابة أرسطو ضارب من الظن يخالف حقيقة كتاب البدیع . فالبيان العربي ليس يونانيا ولا فارسية ، وإنما هو من أصل عرف منذ الجاهلية وشاع في كلام العرب وكتاب الله وحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولكن الباحثين العرب تلقفوا كلام الدكتور طه حسين وأداروه في كتبهم وكأنه نصر مبین ، وبنى عليه الدكتور ابراهيم سلامة كتابه « بلاغة أرسطو بين العرب واليونان » وتبعه آخرون وعرضوا مثل ما عرض له الدكتور طه فكان منهم الموجز وكان منهم المطيل .

ولم يلق الدكتور طه حسين عند الرباط البيان العربي بالبيان اليوناني وإنما دفع طلابه الى أن يتلمسوا ذلك الارتباط بالفرس ليجزم على ما بقي من اتصال العرب في هذا الميدان . قال الدكتور زكي مبارك : « يرى السيورميه أن الزخرف الفني وصل الى العرب من الفرس ، وكان الدكتور طه حسين يشابهه في ذلك ثم تغير فجاء زعم أنه وصل الى العرب من اليونان . وكانت حجته وحجة السيورميه ان المولعين بالزخرف من كتاب اللغة العربية أكثرهم من الفرس المستعربين ، وهذه مدرسة قديمة يرجع عهدها الى ريشا وهي ترمي الى الحكم بأن المدينية العربية غريبة عن العرب ، وإن العرب مديسون في

(١) مقدمة نقد النشر ص ١٢ .

علومهم وفلسفتهم وفنونهم وآدابهم الى الفرس واليونان . والدكتور طه حسين متأثر بهذه المدرسة الى حد بعيد ، فهو يقول بان البلاغة العربية أخذت حرقا عن البلاغة اليونانية حتى في الشواهد والصور والتمايز . وأذكر انه أوصاني بالرجوع الى تاريخ أدب الفارسية لأعرف بالضبط من هم الكتاب الفرس الذين أوحوا الى كتاب العرب فنون البديع كالجعج والتورية والطباق والجناس<sup>(٥٦)</sup> . لقد أغرى الدكتور طه تلميذه الدكتور زكي مبارك بإكمال البحث ورد ما بقى في البلاغة العربية من فنون الى الفرس وسلب العرب أصالتهم ، ولكن التلميذ لم يطلع لانه لا يؤمن بما قاله استاذهُ أو المستشرقون وقرّر « أن الزخرف عنصر أصيل في اللغة العربية »<sup>(٥٧)</sup> . وإن القرآن الكريم خير شاهد على ذلك .

والغريب ان القائلين بالآثر الفارسي لم يدرسوا المسألة دراسة علمية وإنما اكتفوا بما رآه المستشرقون ولذلك لم يستطيعوا أن يضعوا أيديهم على لون من ذلك الآثر المزعوم . فالفارسية التي عرفها العرب هي « الدرية » التي نشأت بعد الاسلام ، وقد ذكرها الجاحظ في القرن الثالث للهجرة<sup>(٥٨)</sup> . وأشار الى ما خلق قديما بالقاط أهل المدينة من القاط الفرس<sup>(٥٩)</sup> ، ولكن ذلك لا يؤثر في أصالة العرب ؛ لأن علوق القاط بالقاط قوم لا يعني أنهم وقعوا في التأثير ، ولأن اللغة ليست ألقاطا وإنما هي صياغة وتركيب .

واللغة الدرية هي التي دون الفرس بها آدابهم بعد الاسلام ، وهذه حقيقة لا تنكر ، وقد قررها المستشرق براون منذ مطلع هذا القرن فقال إن تلك اللغة « نشأت مع الفتح العربي واعتناق الفرس للإسلام في القرن السابع الميلادي واستمرت مستعملة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه »<sup>(٦٠)</sup> . وقول :

(٥٦) النشر الفني ج ١ ص ٤٤ . (٦٠) النشر الفني ج ١ ص ٤٥ .

(٥٧) البيان والبيان ج ٢ ص ٢١٠ .

(٥٨) البيان ج ١ ص ١٩٠ .

(٥٩) تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي الى السعدي ص ٩٠ .

« إن اللغة التي سبقت الفارسية هي الهيكلية ، وهذه اللغة الأخيرة هي اللغة الرسمية التي سادت في البلاد الفارسية أيام الساسانيين ( ٦٢٦ - ٦٥١ م ) وهي التي استمرت لغة الدين بين المواطنة الزرادشتية طوال القرنين أو الثلاثة اللاحقة لذلك . وقد قدر الدكتور وست أن الأدب الهيكلية الموجودة في أيدينا تبلغ في حجمها حجم التوراة وأنها في الغالب تتعلق بموضوعات دينية أو فقهية ، يضاف إليها بعض النقوش الهيكلية المكتوبة على الصخور أو النقود أو المجوهرات التي يرجع تأريخها إلى منتصف القرن الثالث الميلادي . وإن اللغة الهيكلية ما هي إلا تطور متأخر للغة الفارسية القديمة التي لا تعرف من أمورها إلا بقدر ما بقي مسجلاً منها في هذه النقوش المنحوتة في الصخر في بارسبوليس وبهستون ، ومواضع أخرى أمر بكتابتها دارا الأكبر ومن بعده من ملوك الدولة الأكمنية . وإن اللغة التي تعرف باسم لغة الأخستا أو خطا باسم الزند ، هي اللغة التي كتبت فيها تعاليم زرادشت ، هي لغة شقيقة للغة الفارسية القديمة وكذلك للغة السنسكريتية . وأما بناء على ذلك لا تتصل بالفارسية الحديثة وإن كانت لا تزال تمثل في بعض اللهجات المحلية في فارس وكذلك في اللغة الأفغانية المعروفة باسم البشتو »<sup>(١١)</sup> .

وتابع الباحثون المستشرق براون فقال الأستاذ أحمد أمين : « كانت لغة الفرس في عهد الدولة الساسانية هي اللغة الهيكلية »<sup>(١٢)</sup> . ولكن بعد دخول الإسلام واللغة العربية في إيران تعرضت « الديانة الفارسية واللغة الهيكلية للاضمحلال ثم الفناء »<sup>(١٣)</sup> . وإن أكثر الكتب الهيكلية التي نقل عنها العرب ضاعت ولم يبق منها إلا القليل كالأشعار الهيكلية وأعمال أوردشير بن بابك<sup>(١٤)</sup> . وقال الدكتور محمد غنيمي هلال إن الفارسية الحديثة هي لغة الأدب

(١٠) تاريخ الأدب في إيران ص ١١ .

(١١) فجر الإسلام ص ١٤٠ .

(١٢) فجر الإسلام ص ١٤٠ .

(١٣) قصة الأدب في العالم ج ١ ص ٧٨ .

الفارسي بعد الفتح الاسلامي لايران<sup>(١٤١)</sup> . وقال الدكتور احمد ناجي القيسي :  
 « نشأت لغتهم التي يتكلمون بها اليوم والتي تسمى بالندرية من التداخل بين  
 لغتنا ولغتهم التي كانت عندهم إبان الفتح الاسلامي العربي العظيم »<sup>(١٤٢)</sup> .  
 وقال الدكتور حسين علي محفوظ : « مرت الفارسية بمراحل أربع<sup>(١٤٣)</sup> هي :  
 الفارسية القديمة بالخط المساري ، والفارسية الاقشائية ، والفارسية  
 الوسطى - البهلوية - ثم الفارسية الندية بالخط العربي - والندرية هي واحدة  
 من نتائج اختلاط البهلوية بالعربية وثمرة تأثرها بها في دخول العرب واختصار  
 الاسلام »<sup>(١٤٤)</sup> ، ولذلك لم يظهر المعجم الفارسي إلا في أواسط القرن الخامس  
 للهجرة فقد تأثر أبو منصور علي بن أحمد الأسدي الطوسي بالخليل بن أحمد  
 ووضع المعجم الأول في الفارسية وسماه « لسان الفرس » وهو معجم يشتمل  
 على ( ١٢٧٥ ) كلمة فقط<sup>(١٤٥)</sup> . ومعنى ذلك ان الأدب الفارسي نشأ بعد الاسلام  
 لان الفرس قد « تعمدوا إلاّ يعلموا أبناءهم أي فن من الفنون عدا فن الحياة ،  
 فأما الأدب فقد كان في رأيهم ترفاً قلّ أن يحتاجوا اليه .... وكان الشعر  
 عندهم يغشى أكثر مما يقرأ قلما مات المغنون مات الشعر معهم »<sup>(١٤٦)</sup> ، ولذلك  
 « لم يصل إلينا شيء من شعر الدولة السامانية »<sup>(١٤٧)</sup> . ولا « نعرف شيئاً من  
 آثار الفرس القدماء في الشعر ، وليس بين أيدينا أثارة من الشعر في اللغة  
 البهلوية أو اللغة الفارسية القديمة أو لغة الأفتنا »<sup>(١٤٨)</sup> ، ولا يعرف من

(١٤١) الحياة العاطفية بين العنصرية والصوفية ص ١٧٣ ، الادب المقارن ص ١١٨ .

(١٤٢) موقف المعجم من لغة العرب ص ٣ - ٤ .

(١٤٣) نقل ابن التديم ( - ٣٨٠ هـ ) عن ابن الفرج ان اللغات الفارسية هي :  
 البهلوية والندرية والفارسية والخوزية والسريانية وذكر ان الفارسية هي  
 التي يتكلم بها الموبدة والعلماء وأشباهم . ( الفهرست ص ١٥ ) .

(١٤٤) مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية ٦ - ٧ .

(١٤٥) المصدر نفسه ص ٢٩ .

(١٤٦) قصة الحضارة ج ٢ مجلد ١ ص ٤٤٥ .

(١٤٧) نجر الاسلام ص ١٤١ . (٢١) قصة الادب ج ١ ص ٤٤٧ .

و الأدب الايراني القديم إلا عبارات منشورة في عهد الملوك الاخمينيين ، ولم يصل إلينا من النصوص المكتوبة باللغة الزندية القريبة من الايرانية القديمة إلا آثار قليلة الأختصاص (٢٢) . قال الدكتور حسين علي محفوظ : « وإذا ولدت اللغة الفارسية الحديثة في القرن الأول الهجري فقد ظهر بأفورة الشعر الفارسي في المائة الثانية ، وظل الأدب الفارسي تبعاً للأدب العربي يشي خلفه وينحو نحوه ويسلك مسالكه ويتأبه وقلده ويفتدي به ، وكلما بدت ظاهرة في الأدب العربي لاحت إمارتها في الأدب الفارسي بعد قرن » (٢٣) . أي أن ما قيل من تأثير الكتاب والشعراء العرب بالفرس ليس صحيحاً ، فقد جاء في رسالة عبد الحميد الكاتب ( ١٣٢ هـ ) إلى الكتاب : « فتأفكروا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتقفوها في الدين وابتدأوا بعلوم كتاب الله - عز وجل - والقرائن ثم العربية فأنها تناف المستنكم ، ثم أجدوا الخط فأنه حلية كتبكم ، وأرووا الأشعار وأعرفوا لغزها ومعانيها وأيام العرب والمجم وأحدثها وسيرها فأن ذلك معين لكم على ما نسو إليه همكم » (٢٤) . وكلام عبد الحميد واضح فليس فيه دعوة إلى النظر في آداب الفرس ولغتهم وإنما هو حث على الأخذ بالثقافة العربية والتسلح بكتاب العربية الأكبر ، وليس في قوله « أيام العرب والمجم » ما يقتصر على أيام الفرس بل أيام غير العرب وهي كثيرة ولا تدخل معرفة الأيام في أسلوب التعبير والمصاغفة والصنعة ، وهو ماخطه بعض الباحثين أثراً من آثار الفرس -

ومن أقدم ما ذكر من الشعر الفارسي قصيدة العباس التي أنشأها ليستقبل بها اللامسون عند قدومه إلى مرو في سنة ١٩٣ هـ ( ٨٠٩ م ) ولكن كازمرسكي يرى أنها زائفة متحولة ، وقد أيد هذا المستشرق براون وقال : « ولعل من أقدم الأشعار الفارسية التي وصلت إلينا هي الأبيات التي حدثنا بها

(٢٢) المعجم الأدبي ص ٥١٧ .

(٢٣) مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية ص ٧ .

(٢٤) صبح الأعشى ج ١ ص ٨٥ ، رسائل البلقاء ص ٢٢٥ .

نظامي عروضي سرقندي في كتابه « چهار مقالة » - المقالات الأربع - فقال إنها أوجت إلى احد الخجستاني أن يثور في وجه الدولة الصفارية في سنة ٢٦٢ هـ ( ٨٧٥ - ٨٨٦ م )<sup>(٢٥)</sup> . وقال : « إن القصيدة والقطعة هما من ضروب النظم استعارها الفرس من العرب وقد وضعوها على نسق المعلومات الجاهلية من حيث الصياغة والأسلوب وإن كان قد أصابها شيء من التعديل على أيدي الفرس كما فعلوا أيضا بالفنل»<sup>(٢٦)</sup> . وقرر أن الفرس تلاميذ العرب المخلصون في الشعر والنثر ، وقد ذكر صاحب « چهار مقالة » أن « كاتب الديوان لا يبلغ شأواً عالياً في صناعته حتى يأخذ بطرف من كل علم وحتى يلقى النكات الرقيقة من أفواه الأسانفة الميرزين ، وحتى يستمع إلى لطائف الحكماء الآخرين وحتى يقتبس طرائف الأدباء القادرين . ومن أجل ذلك وجب على كل من يريد التبريز في الكتابة أن يقرأ في العربية كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب وكتابات الصاحب اسماعيل بن عباد والصابي وقدامة بن جعفر وبدیع الزمان الهذلي والحريري وجباعة آخرين من الكتاب وكذلك أشعار المتنبي والأبيوردي والغزي»<sup>(٢٧)</sup> . وهذا ما التزم به الكتاب العرب قبل ذلك ، فالأدب الفارسي - إذن - هو الأدب الذي نشأ في القرن الثالث للهجرة واستمر إلى العصر الحديث<sup>(٢٨)</sup> .

هذه حقيقة اللغة الفارسية وأدبها ولكن الباحثين - مع ذلك - يؤمنون بأنها في اللغة العربية وعلوها من غير أن يضعوا أيديهم على الحقائق ، وهم يكتفون بذكر بعض الأمثال والحكم وهي ما لا تنفرد به أمة دون أمة ، ويرددون ما ذكره الجاحظ من أن للفرس رسائل وخطباً

(٢٥) تاريخ الأدب في إيران ص ٢٢ ، وينظر قصة الأدب ج ١ ص ٤٤٩ .

(٢٦) تاريخ الأدب في إيران ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢٧) تاريخ الأدب في إيران ص ١٠٢ .

(٢٨) قصة الأدب ج ١ ص ٤٣٨ ، ٤٤٨ ، القصة في الأدب الفارسي ص ٤٢ ، ٧٨ ، المعجم الأدبي ص ١٧٥ .

وشعر<sup>(٣٩)</sup>، وانه قال : « قالوا : ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويصرف  
 الغرب ويبحر في اللغة فليقرأ كاروند » ومن احتاج الى العقل والأدب والعلم  
 بالمراتب والمبر والمستلزمات<sup>(٤٠)</sup> واللائحة الكريمة والمعنوي السريعة فلينظر في  
 سير الملوك فهذه القرس ورسائلها وخطبها وأخطابها وبعائها ، وهذه يونان  
 ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها<sup>(٤١)</sup> ، وليس غريبا<sup>(٤٢)</sup> أن يكون للقرس  
 واليونان شعر وخطب ورسائل وحكم وإن يذكر الجاحظ ذلك وهو الذي قال :  
 « وأما الأمم المذكورون من جيسج الناس أربع : العرب وفارس والهند والروم  
 والباثون هجج وأنباء الهجج<sup>(٤٣)</sup> » . ولكن الاعتراف بأدب هذه الأمم شيء .  
 والتأثر به شيء آخر ، والجاحظ الذي قلل ذلك عن أنصار التسمية عاد فقال :  
 « ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي بأيدي الناس للقرس أنها صحيحة  
 غير مصنوعة وقديمة غير مؤلفة ، إذ كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي  
 عبيد الله وعبد الحميد وغيلان يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا  
 مثل تلك السير<sup>(٤٤)</sup> » . وجاء مثل ذلك في شرح التبريزي لبيت أبي تمام :

بلى كان كالفحاح في سطواته بالعالمين وأنت أفرسدون

« هذا شيء أخذته الطائي من سير القرس ، وهي كثيرة الكذب وكذلك  
 جميع الاخبار المنقولة يعترض عليها المين كثيرا<sup>(٤٥)</sup> » . وفي ذلك ما يوحي بأن

(٣٩) البيان ج ١ ص ١٢ ، ٢٧ ، ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٤٠) الثالثة : بفتح الهم وحسم التاء - العقوبة والتكبل .

(٣٩) البيان ج ٢ ص ١٤ .

(٣٢) جاء في فهرست ابن النديم ص ١٥ : « قرأت بخط أبي عبد الله محمد بن  
 عديس الجهشباري في كتاب الوزراء تأليفه قال : « كانت الكتب والرسائل  
 قبل ملك كنساسب بن أبراسب قليلة ولم يكن لهم اقتدار على بسط الكلام  
 وأخراج المعاني بفصيح الالفاظ من النفوس » .

(٣٣) البيان ج ١ ص ١٢٧ ، ٢٨٤ ، (٣٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٩ .

(٣٥) ديوان أبي تمام بشروح الخطيب التبريزي ج ٢ ص ٢٢١ ، وينظر الأدب  
 والسياسة للدكتور العبود ص ٢٥٩ .



الفرس لفقروا كثيراً من الإخبار ووضعوا الكتب والرسائل ليثبتوا أن لهم تراثاً ، وأن لهم حضارة أثمرت في العرب ووجهت حياتهم . وقد اتساق بعضهم وراء ذلك ، وقرّر أن العرب ورثة تلك الحضارة على الرغم من شكّ القدماء في كتب الفرس ورسائلهم . وكان الجاحظ صادق الحسّ "خبيراً بما كان يصنعه الشعوبيون ، وكان له بعد يشعر بأن التلويح يلف تلك الأخبار ويمرّضها زائفة مع أن المين يعترض عليها كثيراً .

ومعها يمكن من أمر فليس هنا مجال إلتكثار ما للألم من لغة وأدب وحضارة ولكن الذي ينكسر اليأحث المذقق هو ما يذهب إليه بعضهم من أن الزخرف الفني وصل إلى العرب من الفرس<sup>(٣٦)</sup> ، وذلك بسبب طبيعة الفرس الذين يكتفون بالزخرفة كلفاً شديداً في حياتهم وعصارتهم<sup>(٣٧)</sup> . ولا يختص الفرس وحدهم بهذه الزخرفة فالتراث العربي قبل الإسلام ويعدّه حافظ بالسوان الصنعة والبديع ، وليس غريباً أن يزداد ذلك الكلف في القرون المتأخرة وأن يكون سمة من سمات الأدب العربي . يضاف إلى ذلك أن التماسق والتقابل والتجانس لا يخصّ "أمة دون أمة" ، وقد كان ذلك من أبرز ملامح الأدب العربي القديم ، وأن المبالغة لون من ألوان التعبير عند العرب قبل الإسلام وليست فناً فارسياً ثلماً بسبب إسراف الفرس وظهورهم في سلوكهم . وقد كان للعرب موقف من المبالغة وحينما بحثها النقاد أثاروا إلى موقف اليونان ولم يشيروا إلى موقف الفرس ، قال قدامة بن جعفر : « إنّ الملو عندى أجود المذهين ، وهو ما ذهب إليه أهل التعم بالشعر والشعراء قديماً . وقد بلغني عن بعضهم انه قال : « أحسن الشعر أكذبه » ، وكذا يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم »<sup>(٣٨)</sup> . ولو كانت المبالغة خاصة بالفرس أو أنها سمة من سمات أدبهم

(٣٦) تنظر الآراء في النشر الفني ج ١ ص ٤٤ .

(٣٧) ينظر الأدب في ظل بني بويه ص ٢٢٨ وما بعدها .

(٣٨) نقد الشعر ص ٦٥ .

لأشار إليها النقاد العرب كما أشاروا إلى اليونان الذين تفصل بينهم وبين العرب جبال وبحار .

التعلي :

لم يكن البديع فارسيًا وإنما هو فن عربي أصيل ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :

١ - أن القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر القديم وكلام العرب البليغ حفل بالوان منه ، وقد دفع ذلك ابن المعتز إلى أن يؤلف كتابه «البديع» ويقول : « قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه - وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي ساء المحدثون البديع ، ليعلم أن بشارةً ومسلماً وأباً نواس ومن تقيكم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فحرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه وذن عليه »<sup>(٣٩)</sup> . ولم يكن الشعر الفارسي عند نشأته كذلك ، وإنما جاءت العناية بالبديع متأخرة ، قال الباحث الإيراني عباس إقبسال : « ويستفاد من بعض القرائن أن شعراء الفرس اهتموا عناية خاصة بالبديع منذ أواخر عهد السامانيين وأوائل دولة الغزنويين فقالوا أشعاراً بديعةً يتنقل بها من ناحية جمالها اللغوي والمعنوي »<sup>(٤٠)</sup> . وقال المستشرق براون : « يتصور كثير من الناس أن الآداب الفارسية تمتاز بأنها مصنعة متكلفة تتلى بالصناعات البديعية وتزخر بالمجازات والاستعارات ولكن هذا الرأي ليس صحيحاً إلا فيما يتعلق بمجموعة من الآداب تنبأت في كنف الفاتحين الأجانب من الغزول أو الأتراك »<sup>(٤١)</sup> . وقال الدكتور عبد الوهاب غرام : « كان نشوء الأدب الفارسي والزهارة في

(٣٩) البديع ص ١ .

(٤٠) حقائق الشعر ص ٦٨ .

(٤١) تاريخ الأدب في إيران ص ٢٧ .

حضانة الأدب العربي وسيطرته فتبع الأدب "النثري" الأدب القديم في الصناعة الفنية التي أولج بها بعض شعراء العرب منذ القرن الثالث الهجري ثم زادت صنوفها وشاعت وعُتقت حتى صيرت الشعر صناعة فنية في القرون الأخيرة فصيغت المجازات والاستعارات الفارسية على غرار ما ألف في الأدب العربي ... ويطبق على التنظيم والنثر في اللغة الفارسية قواعد البلاغة العربية حينما حارت البلاغة قواعد ، فكانت كتب البلاغة الفارسية في قواعدها واصطلاحاتها لا تختلف كثيراً عن نظيراتها في اللغة العربية»<sup>(١٢٢)</sup>.

٢ - أن الشاعر العباسي مسلم بن الوليد ( - ٢٠٨ هـ ) أطلق على البديع هذا اللقب ، قال أبو الفرج الأصفهاني : « وهو فيما زعموا أول من قال انشعر المعروف بالبديع وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف ، وبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مدحياً واحداً فيه »<sup>(١٢٣)</sup> . وربما أخذ مصطلحه من الرواة وقد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله : « وهذا الذي تسميه الرواة البديع »<sup>(١٢٤)</sup>.

٣ - أن المشاركة لم يحتسوا بالبديع كاهتمام العرب ولا سيما المقارفة لأن المشاركة كانوا أكثر ميلاً إلى « الأخذ بالمعاني والجوهر لا بالصيغة والألفاظ والبديع »<sup>(١٢٥)</sup> . وإلى ذلك أشار ابن خلدون وهو يتحدث عن علمي المعاني والبيان فقال : « وبالمجمل فالمشاركة على هذا الفن أقوم من المقارفة وسببه - والله أعلم - أنه كمالي في العلوم اللسانية ، والصنائع الكمالية توجد في الصرائر - والمشرق أوفر صرافاً من المغرب - كما ذكرناه - أو نقول لمناة العجم وهم معظم أهل المشرق كتفسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله - وإنما اختص بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة

(١٢٢) قصة الأدب ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

(١٢٣) الألفاني ج ١٩ ص ٣١ .

(١٢٤) البيان والبيان ج ١ ص ٥٥ .

(١٢٥) علماء الدين بين الأثر وجهود في النقد ص ٣١٩ .

وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية وقرعوا له القبا ، وعددوا أبوابا ونوعوا أنواعا ، وزعموا أنهم احصوها من لسان العرب . وأنا حبلهم على ذلك الولوع بترجيح الالفاظ وإن علم البديع سهل المأخذ وصعبت عليهم مأخذ البلاغة والبيان لدقة أظفارهم وغبوض معانيهما فتجافسوا عنها<sup>(٤٦)</sup> . ومصادق ما ذكره ابن خلدون ظهور كتب البلاغة المتأثرة بالفلسفة والمنطق في التشويق كفتحناح العلوم للسكاكي ومعظم تسروح التلخيص ، وظهور كتب البلاغة المتأثرة بالنزعة الأدبية في الأمصار العربية ومنها البديع لابن المنستر ولقد الشعر لقدماء بن جعفر وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ وتحرير التحجير وبديع القرآن لابن أبي الأصبح المصري . ومن ذلك بديعيات صفى الدين العلي وابن جابر الاندلسي وعزالدين الموصللي وابن حجة الحسوي وجلال الدين السيوطي وعائشة الباعونية وعبدالقنى التابلسي وغيرهم<sup>(٤٧)</sup> . وهؤلاء كلهم تشابوا في ميثاق عربية ولم يثأروا بالفرس وآدابهم أو بمنهج السكاكي في تحديد علوم البلاغة .

٤ - أن الجاحظ ( ٢٥٥هـ ) ذكر أن البديع مقصور على العرب ، قال : « والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقحت لغتهم كل لغة وأرربت على كل لسان »<sup>(٤٨)</sup> . وليس ذلك تعصبا للعرب<sup>(٤٩)</sup> ، وأنا هي الحقيقة التي يؤيدها

(٤٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(٤٧) نظم قوامي الكنجوي وهو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي - السادس الهجري - قصيدة مصنعة ضمتها مائة بيت ، وفي كل بيت لون أو أكثر من ألوان البديع . ( تاريخ الأدب في إيران ص ٦٢ ) . وقد طُبق المترجم في الهامش : « هذا هو القول المشهور ولكن هناك من يشك في صحة النسب » . ولا يبعد أن يكون الشاعر الفارسي قد أخذ من البديعيات المعروفة وهي تدرية في الشعر العربي فقد ظهرت منذ القرن السادس للهجرة .

(٤٨) البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥ .

(٤٩) كنا نظن ذلك من قبل ، ولكن البحث الجديد أظهر غير ما رأينا متناثرين بالدراسات العربية غير الدقيقة . ( ننظر كتبنا بمصطلحات بلاغية ص ٨١ ، مناهج بلاغية ص ٢٢ ، فنون بلاغية ص ١٢٧ ) .

القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب جاهلية وإسلامه ، وقد أخذ  
 الفرس البديع من العرب حينما ألفوا كتبهم البلاغية في عهد متأخر وذكر  
 ذلك الباحث الإيراني عباس إقبال فتال : « وعلم البديع مثل طائفة أخرى  
 كبيرة من شعب الفنون الأدبية يعتبر من العلوم الخاصة باللغة العربية لأننا  
 إذا استثنينا بعض الصناعات المعنوية مثل التشبيه والاستعارة مما يعتبر  
 من الخصائص الطبيعية لكل إنسان ولكل لسان فإن بقية الصناعات البديعية  
 وعلى الخصوص النظمية منها كالسجع والترصيع والتجنيس وغيرها قد  
 احتلت المكان الأول في اللغة العربية لأنها باتساع أفاقها وكثرة مترادفات  
 قد ساعدت على إيجاد الأرض الصالحة لنمو هذه الصناعات . أما اللغة  
 الفارسية فهي لغة آرية تختلف عن العربية من عدة وجوه ، ومن أجل ذلك  
 فقد كان من باب التقليد اتخاذها لقسم كبير من هذه الصناعات البديعية ،  
 وربما ساعد على سهولة هذا التقليد دخول عدد كبير من الألفاظ العربية في  
 اللسان الفارسي فإن شعراء إيران بعد الإسلام لم يجدوا أمامهم ما يقلدونه من  
 نماذج الأشعار إلا الأشعار العربية فأخذوا يحاكيوها في أسلوبها وسبكها  
 وأنشأوا قصائدهم على غرارها وصيروا احساساتهم وعواطفهم في قوالب  
 العروض العربي وأوزانها ، وأصبح الشاعر الإيراني بعد الإسلام لا يستطيع  
 أن يقول الشعر بلغته الفارسية مالم تكن معرفته باللغة العربية كاملة ، حافظاً  
 لأشعار العرب ، مطالعاً لأقوالهم ، فكانت هذه الحال التي اضطر إليها الشعراء  
 بإيران مع ما ركب في الطبيعة الإنسانية من حب التقليد دافعاً لهم على محاكاة  
 أساليب العرب والبأس علومهم الأدبية في لباس فارسي جديد » (١٠٠) . ويوضح  
 ذلك في اعتراف صاحب « ترجمان البلاغة » بأنه ألف كتابه بعد أن لم يجد  
 كتاباً بلaghياً في الفارسية يشفي الغلة ، وأنه نقل هذا العلم من العرب وبلطه

على الشعر النابسي<sup>(٥١)</sup> . ولعل نصر بن الحسن المرغيناني سبقه الى ذلك في كتابه « محاسن الكلام »<sup>(٥٢)</sup> الذي رجع اليه واقام فصول كتابه عليه .

٥ - ان علوم العربية لم تكن وليدة العصر العباسي وانما كانت لها جذور عميقة قبل ذلك ، وقد اشار الى هذه القضية الدكتور زكي مبارك فقال : « استبعد أن يكون العرب ظلوا خالي الفهم من العلوم الأدبية الى أن اتصلوا بالفرس والروم »<sup>(٥٣)</sup> ، وقرر أن علوم اللغة العربية كانت معروفة معتمداً على كلام أحمد بن فارس الذي قال : « والدليل على صحة هذا وإن القوم قد تناولوا الاغراب اننا نستفري قصيدة الحطيئة التي أولها :

شائتك أضعان للياسي دون غاضرة هواكسر

ف نجد قواها كلها عند الترتيم والاعراب تجيء مرفوعة ، ولولا علم الحطيئة بذلك لأتبعه أن يختلف المراد لان تساويها في حركة واحدة اخطا من غير قصد لا يكاد يكون » فان قال قائل : فقد توازت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية وان الغليل أول من تكلم في العروض قيل له : نحن لا نذكر ذلك بل نقول : إن هذين العليين قد كافأ قديما وأنت عليها الأيام وقالا في أيدي الناس ثم جدهما هذان الامامان »<sup>(٥٤)</sup> وقال : « ومن الدليل على عرفان القضاة من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم الصحف على الذي يطله النحويون في ثوبت الواو والياء والهمز والمد والقصر »<sup>(٥٥)</sup> . وانتهى الدكتور زكي مبارك الى القول بأن « الذي قصي به ابن فارس في نشأة النحو والعروض هو الذي تقضي به نحن في نشأة البديع ، بل نشأة البديع ألفه وأوضح ، فان القرآن سجل مظهر من مظاهر

(٥١) ترجمان البلاغة ص ٢ .

(٥٢) ترجمان البلاغة ص ٢ - ٤ .

(٥٣) النشر الفني ج ١ ص ٥٥ .

(٥٤) الصاجي ص ٢٧ - ٢٨ . (٥٥) الصاجي ص ٢٩ .

الزخرف والسجع فهو إذن كان موجوداً قبل الإسلام وليس السجع فقط هو الذي قيّده القرآن بل أكثر النون البدئية أخذت شواهدا من آيات القرآن<sup>(٥٦)</sup> . وهذه مسألة ينبغي العناية بها والوقوف عليها ؛ لأنه إذا صح ما ذكره ابن فارس فإن كثيراً من البحوث والدراسات تتأوى وبذلك يعود الحق الى نصابه وينال العرب شرف معرفة علوم لغتهم قبل أن يعرفوا الفرس واليونان ويتأثروا به م كما يزعم بعض الباحثين .

٦ - إن ابن التديم ذكر كثيراً من كتب الفرس التي عرفها العرب أو نقلوها مثل كتب الطب والأسرار والباء والغسلان والاختلاج والفأل والزجر والمواظع والآداب والحكم وكتب مائي وأصحابه ورسائلهم<sup>(٥٧)</sup> ، وليس بينها ما يتصل بالبلاغة وإن جاء اسم « عين البلاغة » أو « عش البلاغة » ، فهو كتاب عهد كسرى أبو شروان الى ابنه<sup>(٥٨)</sup> . ولو كان للفرس كتب بلاغية لذكرها وهو الذي قال عن كتابه : « هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب ونقلها الى أصناف العلوم وأخبار مصنفها ومطبعات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ موالدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفياتهم وأماكن بلدانهم ومنابعهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع الى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وثلاثمائة للهجرة »<sup>(٥٩)</sup> .

فالبلغة الفارسية متأثرة بالبلاغة العربية بل هي منقولة عنها ، كما ذكر صاحب « ترجمان البلاغة » من قديم الفرس وأثبت الباحثون من فرس ومستشرقين وعرب كعباس أقبال ويراون وزكي مبارك وعبدالقوهاب عزازم ، وأيده تاريخ علوم اللغتين العربية والفارسية وبقيت سالتان لأبد من الوقوف عليهما وهما :

(٥٦) النشر الفسي ج ١ ص ٥٦ . وينظر بحث « بديع القرآن الكريم » في هذا الكتاب ص ١٧٢ - ١٨٨ .

(٥٧) ينظر الفهرست ص ١٢٢ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٩٩ .

(٥٨) الفهرست ص ٢٧٨ . (٥٩) الفهرست ص ٢ .

الأولى : أن الجاحظ قال وهو يتحدث عن البلاغة : « قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل »<sup>(٦٠)</sup> ، وليس غريباً أن يكون هذا التعريف من وضع الجاحظ وهو المعروف بنسبة بعض مؤلفاته إلى غيره ليقتل الناس عليها وينجو من كيد الأعداء وحسد الحاقدين<sup>(٦١)</sup> ، وليس سي كتب الجاحظ قل عن بلاغة الفرس إلا ما ذكره على لسان التنوين : « ومن أحب أن يبلغ صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويبحر في اللغة فليقرأ كتاب كارولد »<sup>(٦٢)</sup> في حين أنه ذكر ترجمة الصحيفة الهندية حيناً قيل : « ما البلاغة عند الهند »<sup>(٦٣)</sup> ولو كان للفرس كتاب أو صحيفة لسمى الجاحظ إلى الحصول عليها ودونها في كتابه « البيان والتبيين » كما فعل بالصحيفة الهندية التي عرضها لأشعث على الترجمة ونقلها الجاحظ عنه .

ولو ذهب الباحث ينظر عن الفصل والوصل عند الفرس ما وجد شيئاً ، بل ينتهي إلى أن العرب أول من اعتم بهذا الأسلوب وإن هناك أدلة كثيرة تثبت ذلك منها :

١ - أن الفصل والوصل من أساليب كلام العرب وكان معروفاً سي كلامهم لارتباط المعنى به ، وقد مرّ رجل بأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ومعه ثوب فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا عافاك الله . فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : « لقد كنتم لو علمتم تعلمون » . قل : « لا ، وعافاك الله »<sup>(٦٤)</sup> . والوقف والابتداء أو القطع والاستئناف مما عرض له القسراء والنحاة ؛ لأنه يصل بقراءة كتاب الله وتعلم أغراضه ومعانيه ومثل تلك الكتب معروفة وقد ذكر ابن النديم بعضها<sup>(٦٥)</sup> ، وطبع بعضها في السنوات الأخيرة .

(٦٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ .

(٦١) ينظر ما بين العداوة والحسد في رسائل الجاحظ ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٦٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٤ .

(٦٣) البيان ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ .

(٦٤) البيان ج ١ ص ٢٦١ . (٦٥) الفهرست ص ٢٨ - ٢٩ .



٢ - ان العرب الأقدمين ذكروا الفصل والوصل ، وأشار أبو هلال العسكري اليه بقوله : « وكان أكنم بن صيني إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه : « افسلوا بين كل معنى منقظم ، وصلوا إذا كان الكلام ممجونا بعضه ببعض » . وكان الحارث بن أبي شمر الفسائي يقول لكتابه الرقش : « إذا فرغ الكلام الى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبعته من الاقلام ، فإني إذا حفظت الفانك بغير ما يحسن أن تعذف به هزت القلوب عن وجهها وملكت واستثقلت الرواة » (٦٦) .

٣ - ان الفرس لم يذكروا الفصل والوصل في كتبهم التي وصلت إلينا ، فليس هناك - مثلاً - إشارة اليه في « ترجمان البلاغة » و « حدائق السحر » وهذا يدل على أنهم لم يهتموا به على الرغم من ان الجاحظ نسب الى الفارسي قوله إن البلاغة « معرفة الوصل من الوصل » .

٤ - ان موضوع الفصل والوصل لم يتعرض له مؤلفو البلاغة إلا في عهد متأخر ، وكانت بداية بحثه بلانجا على يد عبدالقاهر الجرجاني ( - ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ ) في « دلائل الاعجاز » . وقد ذكر ما جاء في كتاب « البيان والتبيين » ولكنه لم ينسب الى الفارسي ، قال : « وقد بلغ من قسوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عما فقال : « معرفة الفصل من الوصل » ذاك لموضوعه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لأحرار القضية فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة » (٦٧) . وذكر الخطيب القزويني ( - ٧٣٩ هـ ) مثل ذلك (٦٨) ، ولو كان القائل فارسياً لأشار إليه عبدالقاهر والقزويني ولم يقولوا إنه جاء عن بعضهم او ان بعض العلماء قصرَ البلاغة على معرفة الفصل من الوصل .

(٦٦) كتاب الصناعتين ص. ٤٤ .

(٦٧) دلائل الاعجاز ص. ١٧ - ١٧١ .

(٦٨) الإيضاح ص. ١٤٧ .

وليس ما جاء في « كتاب الصناعتين » عنه ما قصد اليه البلاغيون حينما أدخلوه في علم ألماني وإن جاء فيه — نقلاً عن الجاحظ كما يبدو — تعريف الفارسي للبلاغة من أنها « معرفة النصل من الوصل »<sup>(٦٩)</sup> . فالفصل والوصل عند أبي هلال يتصل بفصول القصيدة ومقاطعها أي بأواخر الأبيات التي تتأهل مطالعها وابتدائها ، وهذا ما لم يرد عبد القاهر والبلاغيون المتأخرون حينما بحثوا الموضوع وقالوا إن الوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه ، ولكل منهما مواقع يصح فيها الفصل أو الوصل أو لا يصحان وهو لا يريد بها علم البلاغة الذي نقله الفرس عن العرب وإنما يريد بلاغة الكلام ، وهي معروفة في كل لغة من لغات العالم . ولذلك لا نقف هذه الاشارات دليلاً على معرفة الفرس لعلم البلاغة ، ولا تكون شاهداً على ما زعم بعض الدارسين بمد الذي اتضح وما أثبت الباحثون الفرس والمستشرقون .

وصفة القول : إن الفرس تأثروا بالبلاغة العربية ونسبوا دراستهم البلاغية على كتب العرب ، ولكي تضح الصورة ويظهر الدليل ناصحاً نعرض لأقدم كتابين من كتبهم هما « ترجمان البلاغة » و « حدائق السحر » .

### البرهان :

نسب « ترجمان البلاغة » إلى الشاعر الفارسي فرخي ، قال ياقوت الحموي وهو يتحدث عن « حدائق السحر » لرشيد الدين الموطاط : « عارض به كتاب ترجمان البلاغة لفرخي الشاعر الفارسي »<sup>(٧٠)</sup> ، وقال حاجي خليفة : « ترجمان البلاغة » ، فارسي لفرخي الشاعر جمع فيه الصنائع البديعية »<sup>(٧١)</sup> ،

(٦٩) كتاب الصناعتين ص ٤٣٨ .

(٧٠) معجم الأدباء ج ٧ ص ٩١ .

(٧١) كشف الطنون ج ١ ص ٣٩٦ .

وقال المستشرق سراون : « كتاب ترجمان البلاغة من وضع فرخي وهو من الشعراء المعاصرين للفردوسي ، وقد ذكر دولتشاه اسم كتابه »<sup>(٧٢)</sup> ، وقال : « وهو كتاب مفقود قد أودي به الزمان فيما نعلم ، وربما استعمله رشيد الدين الطوطا في تأليفه كتابه « حدائق السحر »<sup>(٧٣)</sup> . وتابعه الدكتور علي الشامي فقال : « وألف كتابا في فنون البلاغة اسمه « ترجمان البلاغة » يعتبر من النماذج الأولى لمن البلاغة باللغة الفارسية واعتمد رشيد الدين الطوطا عليه في تأليف كتابه « حدائق السحر في دقائق الشعر »<sup>(٧٤)</sup> . وقد الباحث الإيراني عباس إقبال : « أما الأستاذ أبو الحسن علي القزويني الشاعر المسجستاني الكبير المتوفى سنة ٤٢٩ هـ فقد كان - فيما نعلم - أول من كتب كتابا في محاسن الشعر الفارسي »<sup>(٧٥)</sup> ، وأول من استعمل بشكل جدي ماهر بعض الصناعات البديعية في أشعاره فأضفى على كلامه باستعمالها جمالا ولفظا بالغين . وكتاب الفرخي معروف باسم « ترجمان البلاغة » وقد ضاعت نسخته ولم تصل إلى أيدينا كما أن أحدا لم ينقل إلينا بابا من أبوابه . ومن أجل ذلك نتحسّر لأنعلم على وجه التحقيق كيفية ترتيبه ولا محتوياته ولا السبب الذي دعا إلى تأليفه أو المتابع التي اعتمد عليها المؤلف في كتابته أو الشخص الذي أهدى إليه الكتاب إذا صحّ أهداؤه إلى أحد من الناس ، وكل ما نعلمه أن هذا الكتاب كان في يد رشيد الدين الطوطا عند كتابته لحدائق السحر ، والله عارض به - كما يقول ياقوت - كتاب « ترجمان

(٧٢) تاريخ الأدب في إيران ص ٣٠ ، ونظر ص ١٢٣ .

(٧٣) تاريخ الأدب في إيران ص ١٤٤ .

(٧٤) الأدب الفارسي في العصر الفرتوي ص ٢٤٥ .

(٧٥) سبقه نصر بن الحسن في كتابه « محاسن الكلام » وقد ذكر ذلك صاحب « ترجمان البلاغة » ص ٣ ، وذكر ناشر الكتاب نسخته المعطوبة في مكتبة الاسكوريال بإسبانية . « نظر مقدمته ص ١٩ » . و « محاسن الكلام » هو اسم القسم الثاني من بديع ابن المعتز وبذلك يكون نصر قد أخذ التسمية منه .

البلاغة » فرخي الشاعر الفارسي . ولكن رشيد الدين - مع ذلك - لم يذكر لنا صراحة اسم مؤلف « ترجمان البلاغة » وربما كان سبب ذلك أنه اعتبر نفسه مقبلا على ذكر عيوب هذا الكتاب وقد أشعاره التي ربما كانت من صنع الفرخي نفسه ، فرأى من الغير أن يتجنب ذكر اسمه حتى لا يسيء الى ذلك الشاعر العظيم مع ما عرف عنه من الفضل ورفعة القدر . ومن أبلغ دواعي الأسف أن يضع هذا الكتاب من بين أيدينا فإن أهميته لا تعد من ناحية قدم تاريخه ، ومن ناحية أنه مكتوب بلغة فارسية مشورة قام بتحريرها شاعر لطيف الطبع جميل الفنون فصيح الأسلوب ، ومن ناحية أنه كان مستملا - من غير شك - على طائفة كبيرة من أقوال الشعراء والأدباء الذين عاشوا في العهد الساماني الذي يعتبر الدورة الأولى لنشأة الشعر الفارسي . ونحن لأنشك في أن رشيد الدين قد اقتبس بعض شواهد مما وجد في « ترجمان البلاغة » ولكن من دواعي الأسف أنه لم يصرح بذلك في موضع واحد من مواضع كتابه كما لم يذكر شيئا عن « ترجمان البلاغة » وسبب تأليفه وتضمين محتوياته . ولنا نعلم فيما عدا ذلك إذا كان رشيد الدين قد استعان في تأليف « حقائق السحر » بكتاب فارسي آخر أو أنه اقتصر على هذا الكتاب الذي ذكرناه » (٢٦) .

وذكر مثل ذلك الأستاذ أحمد آتش ناشر الكتاب وقال إن معظم مؤلفي الأدب الفارسي يذكرون أن هذا الكتاب من تأليف فرخي الشاعر الكبير في العصر الغزنوي (٢٧) . وكان الطولاني قد ذكره وقال : « إن الملك العادل خوارزم شاه اتسز - نور الله مضجعه - استعانني يوما من أيام دولته التي انتظمت فيها عقود الفضل والهدمت فيها أبنية الجهل ، فأسرعت الى تلبية أمره وأدركت سعادة خدمته ، فأطلعني على كتاب في معرفة بدائع الشعر الفارسي

(٢٦) حقائق السحر ص ٦٩ - ٧٠ ، ونظر ص ٢٤ ، ٦٧ ، ٧١ .

(٢٧) ترجمان البلاغة ص ( ط ) .

يسمونه « ترجمان البلاغة » فلما راجعته وجدت أن أبيات الشواهد المسفرة في هذا الكتاب غير مستطابة وانها جميعا متكلفة النظم قد جمعت بطريق التصنف وانها بالإضافة الى ما بها من تكلف وتصنف لا تخلو من انواع الزلل واصناف الخل ، فرأيت من الواجب عليّ - أنا الناصي - في هذه الاعتبار - أن أكتب هذا الكتاب في معرفة محاسن النظم والنثر فسي كتبنا اللغتين : العربية والفارسية (٧٨) .

وتوضح ما قاله القدماء والمحدثون :

١ - ان كتاب « ترجمان البلاغة » للشاعر الفارسي فرخي .

٢ - ان رشيد الدين الطوطا بنى كتابه « حدائق السحر » على « ترجمان البلاغة » .

٣ - ان الطوطا لم يذكر اسم فرخي لكي لا يسمي اليه بعد أن وصف شواهد كتابه بالتصنف والتكلف والزلل والخل .

٤ - ان الطوطا - ربما - اقتصر على « ترجمان البلاغة » عند تأليفه كتاب « حدائق السحر »

وكادت الحقيقة تبقى مطوية لولا أن الاستاذ أحمد آتش عثر على نسخة من « ترجمان البلاغة » في مكتبة الفاتح بتركية ضمن مجموع نسخ في أواخر شهر رمضان سنة ١٣٥٧ هـ ( ١٩١٤ م ) ، وقد جاء في صفحتها الأولى « كتاب ترجمان البلاغة تصنيف محمد بن عمر الرادواني » (٧٩) . وهذا ينقض ما جاء في المصادر القديمة والحديثة في نسبة الكتاب الى فرخي المتوفى سنة

(٧٨) حدائق السحر ص ٨٩ .

(٧٩) لم يترجم الكتاب الى العربية كما ترجم حدائق السحر ، ولعل سبب ذلك انه الصق بالأمثلة الفارسية . وقد اعاني استاذي الدكتور احمد ناجي القيسي على قراءته وترجم لي مقدمة الناشر والمؤلف وبعض ما احتجت اليه . جزاء الله كل خير وإهداء لأخيراً للباحثين . كان هذا عام ١٩٨٢ م ، اما اليوم فطيه رحمة الله إذ توفي في ١٦/٥/١٩٨٧ م .

١٢٩هـ . والمؤلف الجديد مجهول في تاريخ الأدب الفارسي وليس له وجود في المصادر ، وقد اعتد في كتابه « ترجمان البلاغة » على كتاب معاصر الكلام « نصر بن الحسن المرغيناني وقال في مقدمته : « وعامة أبواب هذا الكتاب خرجتها على ترتيب فصول معاصر الكلام للخواجة الأمام نصر بن الحسن - رضي الله عنه - وأخذت منه شواهد<sup>(٨٠)</sup> » أي أنه رتب كتابه كما رتب الأول وأخذ أمثله منه وبذلك تميّن المصدر الثاني لكتاب « حشدائي السحر » بعد أن كان معروفاً أن الوطواط تأثر بترجمان البلاغة وحده ، لأنه لم يشر إلى غيره . وقد أظهر الأستاذ أحمد آتش بمقابلة بعض المصطلحات من الكتابين أن الأمثلة التي ذكرها الوطواط - غير أشعاره - مأخوذة من هذا الكتاب كما أن « ترجمان البلاغة » يحتذي كتاب « معاصر الكلام » ولا يختلف عنه إلا في المسائل اليسيرة كالإختلاف في بعض المصطلحات وعندها واسماها<sup>(٨١)</sup> ، وهو إختلاف لغير كبير ولا يؤثر في أخذ اللاحق من السابق .

إن صدور « ترجمان البلاغة » في استانبول سنة ١٩٤٥ - قلب كثيراً ما ذكره الباحثون إذ ظهر أنه ليس للشاعر فرخي ، وإن رشيد الدين الوطواط لم يصل اسم فرخي تقديراً بعد أن اعتده ، ولم يعتد على « ترجمان البلاغة » وحده وإنما استعان بكتاب آخر هو « معاصر الكلام » للمرغيناني . ولمصل أهم ما يلتفت النظر أن صاحب « ترجمان البلاغة » يذكر أمثلة من شعر فرخي فيقول مثلاً : « قال فرخي »<sup>(٨٢)</sup> و « يقول فرخي »<sup>(٨٣)</sup> ، ولا يقتل أن يقول فرخي عن نفسه مثل ذلك وإنما كان يقول ما فعله الوطواط حينما ذكر أمثلة من شعره وقال مثلاً : « ومن قولني بالعربية » و « أقول بالفارسية » و « مثله

(٨٠) ترجمان البلاغة ص ٣ - ٤ .

(٨١) تنظر المقدمة التوكيدية للكتاب ص ١ . وقد أوضحها لي الأستاذ الدكتور مرفان عبد الحميد جراه الله كل خير .

(٨٢) ترجمان البلاغة ص ١٣ - ١٤ .

(٨٣) ترجمان البلاغة ص ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ٩٣ .

قولي بالفارسية » و « من قولي البيت الآتي »<sup>(٨٤)</sup> وغير ذلك من العبارات التي تدل على أن الشعر من ظنه . وما يدل على أن « ترجمان البلاغة » أُلّف بعد وفاة فرخي قبول الشاعر لبني في الكتاب نفسه « إن يمت فرخي فلماذا لم يمت عنصري ؟ يبقى الشيخ وصوت الفتى سريعا »<sup>(٨٥)</sup> . وكان فرخي قد مات سنة ٤٣٩ هـ ومات استاذُه عنصري سنة ٤٣٦ أو ٤٤٢ هـ .

وسبب تأليف الكتاب أن مؤلفه لم يجد في معرفة أجناس البلاغة وأقسام الصناعة ومعرفة الكلام بالريضة والمعاني الرقيقة كتابا بالفارسية يؤس الحر ووصلني المائل<sup>(٨٦)</sup> . وانتظر طويلا لعله يجد من يغنيه مهمة التأليف ، ولكنه لم يجد أحدا يقدم على التأليف في هذا الباب فنذب نفسه لذلك وترجم من العربية أصناف البلاغة ووضع لها أمثلة من كلام القرون بعد أن عرف كل لون من ألوان البديع .

وبدا المؤلف كتابه بتقديم موجزة تحدث فيها عن الأسباب التي دفعت إلى وضعه ثم بدأ بموضوعات البلاغة وأخذ يرضيها واحداً واحداً كما فعل ابن المعتز في « البديع » وإسامة بن منقذ في « البديع في نقد الشعر » . ومنتهجه العام أنه يذكر المعنى اللغوي لأسم الفن أحيانا والمعنى الاصطلاحي ثم يذكر أمثلة من الشعر الفارسي . ومصطلحاته عربية وقد بلغت ثلاثة وسبعين مصطلحا ، فالكتاب عربي المصطلح ولا يعتمد كثيراً على كتب البلاغة العربية في التحديد ، فالمؤلف يقول في الترميع - مثلا - : « الترميع لغة هو قلم الجواهر في عقد » . وتفسيره اصطلاحاً أن الشاعر أو الكاتب يأتي بالترصيع أقساماً أقساماً بحيث تكون الكلمتان متقابلتين ومتفقين في الوزن وحروف الروي<sup>(٨٧)</sup> . وهذا ما ذكره الطوطا أيضاً فقال : « الترميع في اللغة بمعنى

(٨٤) حدائق السحر ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٢ .

(٨٥) ترجمان البلاغة ص ٣٢ .

(٨٦) يبدو أن كتاب « محاسن الكلام » لإيولس الحر ولا يسلي المائل .

(٨٧) ترجمان البلاغة ص ٧ .

وضع الجواهر ونجدها في الذهب . ومعناه في أبواب البلاغة أن يقسم الكتاب أو الشاعر عباراته إلى أقسام متصلة ثم يجعل كل لفظ منها في مقابل لفظ آخر يتفق معه في الوزن وحروف الروي»<sup>(٨٨)</sup> . ولا يخرج كلام هــسـلـنـيـن الفارسيين عما عرفت بلإغة العرب ، وقد قال قدامة بن جعفر عن الترصيع : « هو أن يتوخى فيه تعبير مقاطع الأجزاء في البيت على صجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من التحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم »<sup>(٨٩)</sup> . فالتعـرـسـي لهلوا من هذا المعنى وذهبوا هذا المنهج ، ومثلنا أقر قدامة بكثرة هذا الفن في شعر القدماء برهن الوطواط على أنه فن عربي قديم حينما ذكر أمثلة من كتاب الله وكلام النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - وأدب فصحاء العرب أي أن هذا الفن البديعي ليس فارسياً وإنما هو عربي أصيل .

وفي « ترجمان البلاغة » أمثلة عربية ، ومن ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام بعض العرب<sup>(٩٠)</sup> وأبيات لمسلم بن الوليد وأبي نواس والبحتري<sup>(٩١)</sup> ، وفيه نقل عن الخليل بن أحمد التراهيدي لمصطلح « المطابقة » ودلائله على المتضاد<sup>(٩٢)</sup> ، وهو ما ذكره الوطواط بعد ذلك أيضاً<sup>(٩٣)</sup> . وقد أثار « ترجمان البلاغة » في الدراسات البلاغية وكان صاحب « حدائق البحر » أول من اعتنى حنو مؤلفه وذكر المصطلحات العربية والتعريفات المتأخوذة من العرب ، ولكنه اختلف عنه في الإكثار من الكلام العربي فأصبح ميسراً لمن لا يعرف الفارسية جيداً .

(٨٨) حدائق البحر ص ٩٠ .

(٨٩) نقد الشعر ص ٢٨ .

(٩٠) ينظر ترجمان البلاغة ص ١١٩ - ١٢٧ .

(٩١) ترجمان البلاغة ص ١٩ ، ١٠٧ - ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٥ - ١١٨ .

(٩٢) ترجمان البلاغة ص ٣١ .

(٩٣) حدائق البحر ص ١١٩ .



ومن مؤلفي البلاغة الفارسية محمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف  
برشيد الدين الوطواط الذي ينتمي نسبته إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه  
ولذلك قيل له « العمري » ، ولد في بلخ ومات بخوارزم سنة ٥٧٣هـ<sup>(٩٤)</sup> ،  
وذكر دولتشاه وأمين أحمد رازي أنه مات سنة ٥٧٨هـ ( ١١٨٢م ) ولكن الأرجح  
ما ذكره ياقوت والسيوطي<sup>(٩٥)</sup> .

ورشيد الدين الوطواط أديب بالعربية والفارسية قال ياقوت : « كان من  
نوادير الزمان وحجابه ، وأفراد النهر وغرائبه ، أفضل زمانه في النظم والشر ،  
وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب » ، طار في الأفان صيته ،  
وسار في الأقاليم ذكراً ، وكان ينشئ في حالة واحدة بيتاً بالعربية من بحر وبيتاً  
بالفارسية من بحر آخر وصليهما معا<sup>(٩٦)</sup> . وله رسائل وعدة كتب ولكن  
« حقائق السحر في دقائق الشعر » أشهر كتبه ، وقد أثبته لامي المظفر خوارزم  
شاه وعارض به كتاب « ترجمان البلاغة » ، وقد رجح الباحث الإيراني عباس  
إقبال أن الوطواط ألف كتابه بين سنتي ٥٥١ و ٥٥٦هـ ، وهو من كتب البلاغة  
المسكرة في الفارسية وكان يتلن قبل العثور على « ترجمان البلاغة » أنه أول  
كتاب وصل إلى القرس بلغتهم<sup>(٩٧)</sup> ، وقال عنه المستشرق براون : « هو كتاب  
شعر جداً في البلاغة الفارسية في الشعر الفارسي »<sup>(٩٨)</sup> . وقد نشره بالفارسية  
عباس إقبال وقدم له بتقديمات طويلة تعرض فيها لحياة الوطواط ومؤلفاته  
ومؤثراته في الشعر العربي والشعر الفارسي وطبعه في طهران سنة ١٣٠٨ الهجرية  
الشمسية ، وطبع مع ديوان الوطواط نقلاً عن طبعة إقبال ، ونقله إلى العربية  
الدكتور إبراهيم أمين الشواربي وطبعه سنة ١٣٦٤هـ ( ١٩٤٥م ) وبذلك قدم

(٩٤) معجم الأدباء ج ٧ ص ٩١ ، بنية الوصاة ج ١ ص ٢٢٦ ، كشف القنون ج ١  
ص ٦٢٤ .

(٩٥) تاريخ الأدب في إيران ص ٤١٨ ، حقائق السحر ص ٤ .

(٩٦) معجم الأدباء ج ٧ ص ٩١ .

(٩٧) حقائق السحر ص ٤٥ .

(٩٨) تاريخ الأدب في إيران ص ٤١٧ .

خدمة جليلة للغة العربية لانه متأثر كل التأثر بكتب البديع العربية وهو الى جانب ذلك « دراسة مقارنة للبلاغتين العربية والفارسية نستطيع ان نعلم بواسطتها الى أي مدى تأثر علم البديع الفارسي زعيمه العربي فكان حاله في ذلك حال طائفة أخرى كثيرة من شعب العلوم الفارسية التي نشأت أولاً على غرار علوم العربية »<sup>(٩٩)</sup>.

بدأ الوطواط كتابه بملفحة موجزة استهلها بالعربية بقوله : « الحمد لله على ما أفاض علينا من نعمه المتعة الحياض ومنه المعرفة الرعش ، والصلاة على خاتم أنبيائه وسيد أصفيائه محمد وآله الأبرار وصحبه الأخيار » . واختتمها بقوله : « والمطلوب من الله - عز وجل - أن يعصمنا من الخطأ والزلل والخطئ في القول والعمل ، انه الموفق للسداد والميسر للمراد » . ثم بدأ بفنون البلاغة وأولها « الترميع » وأخذ يعرضها واحداً واحداً كما فعل ابن المنزلي في « البديع » وإسامة بن منقذ في « البديع في نقد الشعر » والرادوياني في « ترجمان البلاغة » . أي أن الوطواط لم يبحث البلاغة كما بحثها المتأخرون لأن التقسيم الثلاثي لم يكن معروفاً في القرن السادس للهجرة ، ولذلك رتب الفنون كالوائق البلاغيين . وقد استهل كتابه بالترميع والترصيع مع التجنيس والتجنيس وانتهى بحسن التعليل ، وهذه من فنون علم البديع عند التأخرين . ولم يتعرض للأساليب البلاغية المعروفة في علم المعاني كالتهديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتقصير ، والتفصيل والوصل ، والخبر والانشاء ، والإيجاز والإطناب . وقد قال الأستاذ عباس إقبال إنه « اتبع في تأليفه أسلوباً جديداً أخرجه عن أن يكون تقليداً لأي كتاب عربي أو فارسي »<sup>(١٠٠)</sup> . وليس الأمر كذلك لسببين :

الأول : ان البلاغيين العرب سبقوه في هذا النهج أو الأسلوب .

الثاني : ان صاحب « ترجمان البلاغة » تقدمه ورتب فنون البلاغة كترتيبه

(٩٩) حقائق السحر ص ٧٠ .

(١٠٠) حقائق السحر ص ٥٥ .

ولذلك لم يكن منهج الوطواط بعضاً بل كان موضع مؤاخذه من المستشرق براون الذي قال انه « في بعض المواضع لم يحسن التنظيم والترتيب »<sup>(١٠١)</sup> ولذلك لم يتخذة دليلاً عند كلامه على البديع في الأدب الفارسي .

ومنهج الوطواط العام انه يذكر المعنى النفوي لكن أحيانا تم يأتي بالمعنى الاصطلاحي ، ويذكر أمثلة من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام البهاء وعلى رأسهم الامام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - والشعر العربي وشعره بالعربية والفارسية وبعض الشعر الفارسي ، وهو بذلك يضبه ابن الأثير الذي رتب شواهد « البديع » وأمثلة مثل هذا الترتيب إذ بدأ بالآيات القرآنية فالأحاديث النبوية فكلام الصحابة فالشعر العربي قديمه ومحدثه . وقافه في أنه كان يذكر بعد كل فن من الغريب من الشعر والكلام ليعرفه الأدباء فيتجنبوه .

وطوائف الوطواط في الشعر العربي قديمه ومحدثه ، وذكر كثيراً من أشعار امريء القيس وزهير بن أبي سلمى وليبد والنايفه الذبياني والنايفه الجعدي وحسان بن ثابت وعوف بن محلم وجبريل ومجنون ليلى والبحري وأبي تمام والمتنبي وأبي فراس الحمداني والمصري والسري الرفاء والايوردي والصاحب بن عباد والسواواء البمشقي والزمخشري والحارثي وغيرهم من الشعراء الذين ذكر أشعارهم علماء البلاغة العرب . وقد اعترف بالفضل للمتنبي وأبي فراس والبحري واستشهد للأول في واحد وعشرين موضعاً وقال انه برع في « حسن التلخيص »<sup>(١٠٢)</sup> ، وإن له يبدأ بفضاء وطريقة زهراء<sup>(١٠٣)</sup> . وعدد البحري وأبا فراس من المبرزين في السهل المستع<sup>(١٠٤)</sup> .

لقد أولى الوطواط النص العربي أهمية كبيرة وأقام عليه فنون كتابه الذي كان سرداً للأمثلة لأنه لم يقسم الموضوعات كالمؤخرين إلا ما جاء في بعضها

(١٠١) تاريخ الادب في إيران ص ٣١ .

(١٠٢) حدائق الشعر ص ١٢٦ .

(١٠٣) حدائق الشعر ص ١٨٦ . (١٠٤) حدائق الشعر ص ١٩٢ .

كالتجنيس والمقلوب ورد العجز على الصدر والتشبيه . وليس في التعرف أو التقسيم أو الأمثلة شرح أو تعليق وكان الوطواط لم يطلع إلا على كتب البديع ككتاب ابن المعتز ، أو كأنه لم يستند ما اطلع عليه من كتب البلاغة وكلام السابقين ، فهو يشير الى مثل ذلك كقوله في الاشتقاق : « ويعتبره أصحاب البلاغة نوعاً من التجنيس »<sup>(١٠٥)</sup> ، وقوله في الالفاظ : « تكون هذه الصنعة كما يقول بعض أهل العلم »<sup>(١٠٦)</sup> ، وقوله في الابداع : « قال أرباب البيان إن هذه الصنعة عبارة عن نظم المعاني البديعة في ألفاظ حسنة بعيدة عن التكلف »<sup>(١٠٧)</sup> . ولا نعرف غرضه من ذكر « أصحاب البلاغة » و « بعض أهل العلم » و « أرباب البيان » ولعله يشرب في ذلك من معاصره الزمخشري الذي كرر كثيراً من المصطلحات كالبیان والمعاني والبديع ، ولكنه لا يريد بواحد منها المصطلح الذي تعارف عليه التأخرون . ويدعو أن الوطواط اطلع على كتب غير البديع ولكنه لم يستند منها وظل مرتبطاً بكتساب « ترجان البلاغة » في المنهج العام .

ومصطلحات الوطواط عربية وقد بلغت خمسة وخمسين مصطلحاً يضاف إليها ستة عشر مصطلحاً تخص الشعر كالمدهح والهجاء والتسيب أو التمسر والنثر كالتناثر والتلاثم والجزالة والسلاسة والسهل الممتنع . وكان يذكر أحياء عند تعريف الفن اسمه بالفارسية كالتضاد وهو « آخشيخ » والممدح الموجة ، وهو « پارسي موجه دو رويه بانند » والموشح وهو « برند » والربيع ، وهو « چهارسو » والفسز ، وهو « جستان » والهجاء ، وهو « هزين »<sup>(١٠٨)</sup> . ولا يؤثر ذلك في المصطلح عند الوطواط لأن الاسماء الفارسية جاءت في التعرف أيضاً ، وبذلك يمكن القول أن « حقائق السحر » عربي المصطلح

(١٠٥) حقائق السحر من ١٠٢ .

(١٠٦) حقائق السحر من ١٢٤ .

(١٠٧) حقائق السحر من ١٨٨ .

(١٠٨) حقائق السحر من ١١٧ ، ١٢١ ، ١٦٠ - ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٩٠ .

وإن قال الباحث الأيراني عباس أقبال « إن شعراء الفرس - كما يستفاد من كتاب حقائق السحر - وضعوا مصطلحات من عندهم لبعض الصناعات البدئية في مقابل الاصطلاحات العربية فمثلاً أسوا « رد العجز على الصدر » بالمطابق أو المصدر ، كما أسوا اللغز في لغتهم بكلمة « جيتان » واعتصموا اهتماماً خاصاً بصناعة السؤال والجواب ، وكانوا يتبعون نظاماً خاصاً في التقسيم والتسيط «<sup>(١٠٩)</sup> . ولا يغير ذلك من الحقيقة شيئاً فالمطابق أو المصدر هو رد العجز على الصدر وقد سماه البلاغيون العرب « التصدير » أيضاً ابتداءً عما يروحيه مصطلح ابن المعتز من معنى الصدر والعجز .

أما في تعريفاته فإنه لا يعتمد عن العرب كثيراً فهو في رد العجز على الصدر يقول : « وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر في أوله كلامه المنشور أو يته المظلوم لظنة معينة ، ثم يذكرها ثانية في آخر العبارة أو البيت وهذه الصنعة على ستة أنواع »<sup>(١١٠)</sup> . وهذا ما قاله البلاغيون العرب بل هو احتذاء لابن المعتز الذي قسمه ثلاثة أقسام وذكر له امثلة أخذ الروطاط بعضها كنقول الشاعر :

سرع الى ابن العم يلطم خداه      وليس السى داعي التفتى بسرع<sup>(١١١)</sup>

ونقل بعض ما استشهد به ابن المعتز من كلام الله كقوله تعالى : « ولكنكم لا تفتشوا على الله كذباً فيسحقكم بمذاب وقد غلب من افتري » وقوله : « ولقد استهزى برسل من قبلك فطاق بالذين سخرنا منهم ما كانوا به يستهزئون »<sup>(١١٢)</sup> . وبعض كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل : « من مقت نفسه فقد آتاه الله من مقتة »<sup>(١١٣)</sup> .

(١٠٩) حقائق السحر ص ٦٤ - ٦٦ . (١١٠) حقائق السحر ص ١١٠ .

(١١١) البديع ص ٤٨ ، حقائق السحر ص ١١٠ .

(١١٢) البديع ص ٤٨ ، حقائق السحر ص ١١٥ .

(١١٣) البديع ص ٤٨ ، حقائق السحر ص ١١٥ .

ويوضح أن<sup>١</sup> رشيد الدين الطواط سار على منهج المتخصصين في عرض فنون البلاغة ، وهو يقترب في ذلك من ابن المعتز في بديعه ، وإن ذكر فنونا لم تكن مدروسة في القرن الثالث للهجرة وإنما درست بعده بقليل في « قد الشعر » لقدامة بن جعفر و « البرهان في وجوه البيان » لمعاصره ابن وهب و « كتاب الصائغين » لأبي هلال العسكري وغيرها من الكتب التي ظهرت في القرن الرابع وما بعده . ولذلك يمكن القول إن البلاغة الفارسية أخذت من بلاغة العرب وأنها أخذتها في المصطلحات والتعريفات والأمثلة . وقد كان « حدائق السحر » إيضاحاً باعتماد الفرس بالبلاغة ، ولذلك انتشر وذاع صيته وظهرت كتب تنحو نحوه منذ منتصف القرن السابع للهجرة ، وظهر « جيلة من الشعراء قضوا أعمارهم في إنشاء البديعيات والفصائد المعنوية والمولوية »<sup>(١١١)</sup> وهذا يدل على أن الصنعة عند الفرس لم تكن قديمة أخذها العرب منهم حينما كتبوا في البديع ، وإنما ظهرت الصنعة في عهد متأخر .

أن « ترجبان البلاغة » و « حدائق السحر » بداية البحث البلاغي عند الفرس أي هما وليدا الفكر العربي بعد الإسلام وليس كما ذهب إليه بعض الباحثين من أن العرب تأثروا بالزخرفة القولية والبديع الفارسي . ويوضح بالموازنة بين الكتابين وكتب البلاغة العربية أنها ينبعان من المعين العربي وأنها يلتقيان في أسس أهمها :

١ - أنها لم يقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة - المعاني والبيان والبديع لأن هذا التقسيم حدث بعد القرن السادس على يد السكاكي التتوي سنة ٦٣٩هـ .

٢ - أنها ربما فنون البلاغة كترتيب ابن المعتز في بديعه ، ولاسيما القسم الثاني منه الخاص بحاسن الكلام . أي أنها جاءت بالفنون واحداً بعد واحد من غير ترتيب خاص .

(١١١) حدائق السحر ص ٢٤ .

٣ - انهما ذكرا المصطلح العربي ووضعا عضوانا لكل فن ، فالترصيع والتجنيس والسجع والاستعارة والتشبيه وتأكيد المدح بما يشبهه الذم ومراعاة النظر والاعتات وتجاهل العارف وحسن التعليل وغيرها هي أساس الكتابين .

٤ - انهما عرفنا الفن وذكرنا أمثله من غير تقسيم عظمي دقيق أو شرح وتعليل ، وبذلك اقتربا من ابن المعتز الذي لم يفعل أكثر من ذلك إلا ما جاء من فصل الأمثلة الحسنة عن الرديئة أو القبيحة .  
ولختلف المؤلفان في بعض المسائل منها :

١ - ان صاحب « ترجمان البلاغة » ذكر ثلاثة وسبعين فنا من غير ما ينقسم بعضها الى اقسام ، وذكر الطوط خسة وخسين فنا من غير الالفاظ والمصطلحات التي ذكرها في آخر الكتاب وهي ستة عشر لونا .

٢ - انهما اختلفا قليلا في ترتيب الفنون ، فها يبدآن بالترصيع والترصيع مع التجنيس والتجنيس ، ثم يبدأ بعض الاختلاف فيكون عند الاول : المقلوب والمقتضب والمضارعة والمطابقة والتضاد والاعتات واعضات القرينة والاستعارة والتشبيه وحسن الطالع وحسن المغالض وحسن المقاطع الى آخر ذلك . ويكون عند الثاني بعد التجنيس : الاشتقاق والاسجاع والمقلوبات ورد العجز على الصدر والتضاد والاعتات وتضمنين المزدوج والاستعارة وحسن الطالع وحسن التخلص وحسن المقطع وحسن الطلب ومراعاة النظر الى آخر ذلك . وليس في هذا الاختلاف اليسير ما يغير شيئا من طريقة المؤلفين لانهما لم يتخذا منهجا دقيقا كما فعل قدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري وغيرها من تلاميذ ابن المعتز وسبقا الفارسيين .

٣ - انهما اختلفا بعض الاختلاف في تسمية بعض المصطلحات وان كانت عربية ، فالمقتضب هو الاشتقاق او الاقتضاب ، وحسن الطالع

والمقاطع والمخالف هي حسن المطلع والقطع والتخلص . وهذا الاختلاف لا يؤدي الى تفاوت كبير بين المؤلفين ، وكان البلاغيون العرب قد اختلفوا قبلها وبمنعها في اطلاق المصطلحات ولكنها كانت تدل على فنون معينة استقرت في كتب المتأخرين .

٤ - انهما اختلفا قليلا في بعض اقسام الفنون فصاحب « ترجمان البلاغة » قسم التجنيس الى المطلق والمركب والمردود والزايد ، وقسمه الوطواط الى التام والتافض والزايد والمركب والمكرر والمطرف وتجنيس الخط . وقسم الاول التشبيه الى المكتبي والمرجوع عنه والشرطي والمكسوس والمزدوج ، وقسم الثاني الى المطلق والشروط والكناية والتسوية والعكس والاضمار والتضليل . وليس في ذلك اختلاف كبير إذا نظرنا الى دلالة كل قسم .

٥ - إن معظم أمثلة الرادوياني فارسية ومعظم أمثلة الوطواط عربية ، ولذلك جاء كتاب الثاني أقرب الى الروح العربية . ولعل سبب ذلك ان الوطواط كان أدبيا بالعربية والفارسية وانه كان أكثر التعاقبا بكتب البلاغة العربية وتمثل أساليبها والتأثر بفنونها ، ولذلك انتقد كتاب الأول وقال إن " شواهدهم " غير مستطابة وانها جميعها متكلفة انظم قد جمعت بطريق التعسف ، وانها " لا تخلو من انواع الزلل وأصناف الخلل " . وقد يكون ذلك سر ابتعاد الأدباء عن « ترجمان البلاغة » ونسيان صاحبه ، واقترابهم من « حقائق السحر » والاشادة بؤلفه . وقد عرف العرب رشيد الدين الوطواط وكان شعره وثره العربيان أمثلة ترددت في كتبهم المتأخرة ، وتأثر به فخر الدين الرازي ( ٦٠٦هـ ) وظل بعض كلامه وأمثله ، وقيل مثله السكاكسي ( ٦٢٦هـ ) والخطيب القزويني ( ٧٣٩هـ ) وشراح التلخيص (١١٠) . ويدل ذلك على أن الكتب العربية كانت تعد المؤلفات



الفارسية وليدها ، وأنها لم تتخرج من الرجوع اليها ما دامت تعرف من فبح  
عربي أصيل . ولعل الباحث بعد ذلك يرى أن علم البلاغة عند الفرس نضجا  
في كنف البلاغة العربية ولم يكن غتا معروفا قبيل أن تستظل إيران بظل  
الاسلام وتتخذ العربية لغة للتعبير ومنها تسير عليه في مؤلفاتها وتدوين  
علومها ، ويجيد الذين يذهبون الى غير ذلك قد أضلعتهم بعض الدراسات ،  
فالدكتور طه حين لم يكتب بما ذهب اليه من أن البيان العربي وثيق الصلة  
بالبان اليوناني والباحث تليذه الدكتور زكي مبارك على الرجوع الى  
تاريخ الآداب الفارسية ليعرف من هم الكتاب الذين أوحوا الى كتاب العربية  
فنون البديع . وجاء الرد من المستشرقين والفرس واعترفوا بأن البلاغة  
الفارسية نشأت بعد الاسلام متأثرة بالبلاغة العربية ، وإن فنون البديع لم  
تعرف عندهم إلا في عهد متأخر .

تلك وقفة على أثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية ، وهو موضوع  
شغلنا به طويلا وكنا نرى أن المتعيق بالفارسية أولى منا ببخشه والخوض  
في مساره ، ولكن الأحوال مضت وخشينا أن نثقل بعض الأوهام عاتقة  
بأفلام بعض الباحثين فجرنا الخوض فيه على الرغم من قلة الأدلة . ولعل  
القادرين - إن هداهم الله تعالى - والمنصفين يكملون ما بدأنا ، ويصححون  
ما شاع في الدراسات اللغوية والأدبية والنقدية ، ويكتبون تاريخ الحضارة  
العربية الإسلامية في ضوء الحقيقة الناصعة والدليل المبين .

## المصادر :

- ١ - الآداب الفارسية في العصر الفرنوي - الدكتور علي الشامي - تونس ١٩٦٥ م .
- ٢ - الآداب في ظلال بني بorse - الدكتور محمود غنصاوي الرهيري - القاهرة  
١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م .
- ٣ - الآداب الفارسية - الدكتور محمد شنيحي هلال - القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٤ - الآداب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث  
الهجري - الدكتور عبد الكريم توفيق العبود - رسالة دكتوراه من كلية  
الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٦٧ م . ( على الآلة الكتابة ) .

- ٥ - الألفاني - أبو الفرج الأسفهاني - تحقيق عبدالكريم إبراهيم المزباني .  
القاهرة ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٦ - الأيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة . ( مطبعة السنة المحمدية ) .
- ٧ - البديع عيادته بن المعتز . طبعة كرانسكوفسكي . لندن ١٩٢٥ م .
- ٨ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي . تحقيق  
محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٢٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٩ - البلاغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب . بغداد ١٢٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ١٠ - البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام  
محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- ١١ - تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي - إدوارد الغبيل  
براون . ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م .
- ١٢ - ترجمان البلاغة - محمد بن عمرو الرادويي . تحقيق أحمد الش .  
( باللغة الفارسية ) استانبول - تركيا ١٩٤٩ م .
- ١٣ - حقائق السحر في دقائق الشعر - رشيد الدين محمد العمري الوطواط .  
ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي . القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ١٤ - حقائق السحر في دقائق الشعر - رشيد الدين محمد العمري الوطواط .  
( باللغة الفارسية ) طهران ١٣٢٩ هـ .
- ١٥ - الحياة العاطفية بسجن العلوية والصوفية - الدكتور محمد فنيهي هلال .  
القاهرة ١٩٧٦ م .
- ١٦ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا . الطبعة  
الخامسة - القاهرة ١٣٧٢ هـ .
- ١٧ - ديوان أبي تمام بشروح الخطيب التبريزي . تحقيق محمد عبده مزام .  
دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ م .
- ١٨ - رسائل البغداد - محمد كرد علي . الطبعة الرابعة - القاهرة ١٣٧٤ هـ -  
١٩٥٤ م .
- ١٩ - رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٢٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٢٠ - الصاحبي - أحمد بن فارس . تحقيق الدكتور مصطفى الشويبي . بيروت  
١٢٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٢١ - صبح الأمل في صناعة الإنشا - أبو العباس أحمد بن علي القلنسدي .  
القاهرة ١٩٦٣ ( من طبعة دار الكتب المصرية ) .

- ٢٢ - ضحى الإسلام - أحمد أمين . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م .
- ٢٣ - ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد - الدكتور محمد زغلول سلام القاهرة - الطبعة الأولى .
- ٢٤ - فجر الإسلام - أحمد أمين . الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م .
- ٢٥ - فنون بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- ٢٦ - الفهرست - أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بابن النديم . تحقيق رضا تجدد . طهران ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- ٢٧ - قصة الأدب في العالم - أحمد أمين وركي نجيب محمود . القاهرة ١٩٤٣م .
- ٢٨ - قصة الحضارة - ول ديورانت . ترجمة محمد بدران . القاهرة .
- ٢٩ - القصة في الأدب الفارسي - الدكتور أمين عبد المجيد بدوي . القاهرة ١٩٦٤م .
- ٣٠ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ٣١ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - الحاج خليفة . منشورات مكتبة الشئ ببغداد ( بالانفست ) .
- ٣٢ - مصطلحات بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب ببغداد ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٣٣ - مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية . الدكتور حسين علي محفوظ . ( بحث قدم الى ندوة الاضطهاد اللغوي في الاحواز التي عقدت ببغداد بين ٩ - ١١ كانون الثاني سنة ١٩٨٢م ) .
- ٣٤ - معجم الأدباء - ياقوت الحموي . طبعة مرغليوث الثانية . القاهرة ١٩٢٢م .
- ٣٥ - المعجم الأدبي - الدكتور جيوور ميدالتور . بيروت ١٩٧٩م .
- ٣٦ - مقدمة ابن خلدون - عبدالرحمن بن خلدون المغربي . دار الكتاب الحديث . بيروت .
- ٣٧ - مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- ٣٨ - مؤلف المعجم من لغة العرب - الدكتور أحمد ناجي القيسي . ( بحث قدم الى ندوة الاضطهاد اللغوي في الاحواز التي عقدت ببغداد بين ٩ - ١١ كانون الثاني سنة ١٩٨٢م ) .

- ٣٩ - النشر الثاني في القرن الرابع - الدكتور زكي مبارك ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- ٤٠ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، القاهرة ١٩٦٣م .
- ٤١ - نقد النشر - المنسوب الى قدامة بن جعفر - تحقيق الدكتور طه حسين وعبد الحميد العبادي ، الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٣٨م .



## البلاغة عند السيوطي

كان منهج السكاكي ( - ٦٢٩ هـ ) آخر ما تلقفه المؤلفون في البلاغة ، وقد تخص القسم الثالث من كتابه « مفتاح العلوم » وشرح كثيراً ، وسيطر على الدرس البلاغي حتى هذه الأيام . وكان عبدالرحمن جلال الدين السيوطي ( - ٩١١ هـ ) من أسهم في الدرس البلاغي في القرن التاسع للهجرة ، ووضع عدة كتب في البلاغة منها : نكت على التلخيص مساه « الانصاح » ، و « عقود الجنان في علم المعاني والبيان » وشرحه ، و « شرح أبيات تلخيص المفتاح » ومختصره ، و « نكت على حاشية المطول » لقنري ، و « حاشية على المختصر » ، والبديعية المسماة « نظم البديع في مدح خير شفع » وشرحها و « اللطائف المصافة في التفصاح والبلاغة » ، و « الجمع والخرق في أنواع البديع » و « النقاية » وشرحها « انام الدراية لقراء النقاية » ، و « جنى الجناس » ، وتحدثت عن البلاغة في كتبه الأخرى ككتاب « التخيير في علوم التفسير » و « مشترك الأثران في إعجاز القرآن » و « الاتفاق في علوم القرآن » و « الزهر في علوم اللغة وأنواعها »<sup>(١)</sup> . وتشمل هذه الكتب منهجين مختلفين في دراسة البلاغة :

وكان السيوطي من أواخر الذين جمعوا بين الذوق والقاعدة في البلاغة ، وقد شاركت في مؤتمر السيوطي الذي عقدته جامعة مؤتة بالأردن ، وقدمت هذا البحث فيه صباح الثلاثاء الخامس من تشرين الأول ١٩٩٢م الموافق للتاسع عشر من ربيع الثاني ١٤١٤ هـ .  
وأنا أشهد في هذا الكتاب قيمة للبحوث البلاغية .

١ . ينظر القزويني وشرح التلخيص ص ٦٠٢ وما بعدها ومناهج بلاغية ص ٢١٢ ، ٢٤١ ، وتنظر كتبه البلاغية في السيوطي النحوي ص ١٠٨ ، وجلال الدين السيوطي ص ٢٦٤ وما بعدها .

الاول : دراسة البلاغة في كتب علوم القرآن وإعجازه من غير تقسيمها  
الى علومها الثلاثة المعروفة .

الآخر : دراسة البلاغة من خلال منهج السكاكي الذي أرساه الخطيب  
التبريزي ( ٧٣٩هـ ) بتلخيصه للنظم الثالث من « مفتاح العلوم » وبشرحه  
الذي ساء « الأيضاح » ، وهو منهج يقسم البلاغة الى ثلاثة علوم : المعاني ،  
والبیان ، والبدیع .

وقد اعطى الدكتور محمد علي رزق الخضاعي تصوراً لجهد السيوطي  
في البلاغة فقال : « إن خطواته » تتدرج من الأعم الى الأخص . فقد بدأ  
بالاعجاز القرآني ، واتجه الى الاعجاز اليلاني ، ثم الى البلاغة بعلومها الثلاثة ،  
ثم اتجه الى البديع ، وأخيراً ينتهي به المطاف في البحث البلاغي الى القول  
في لون واحد من ألوان البديع » . ثم قال بعد أن ذكر بعض كتب السيوطي  
التي تعرضت للبلاغة : « ومعنى هذا أن السيوطي تدرجت جهوده البلاغية  
من الاعجاز البلاغي للقرآن ، ثم الى تناول علوم البلاغة ثم اقتل الى علم  
البديع ، ثم انتهى به المطاف الى التخصص الدقيق عندما تناول فناً بديعياً  
واحداً والف فيه كتاباً هو « جنى الجناس »<sup>(٢)</sup> . والنظر في تاريخ الانتهاء من  
بعض كتبه يؤكد ما ذهب اليه الباحث ورسم صورة للتدرج في الدرس  
البلاغي ، ولعل كتاب « التحجير في علم التفسير » من أقدم الكتب التي  
تعرض السيوطي فيها للبلاغة ، إذ ذكره في « الانتقان »<sup>(٣)</sup> ، وذكر بعض  
موضوعات البلاغة وهي : المجاز ، والاستعارة ، والتنبيه ، والكتابة  
والتعريض ، والايجاز والاقطاب والمساواة ، والفصل والوصل ، والقصر ،  
والاحتباك ، والقول بالموجب ، والطائفة والمجاعة . والتورية والاستخدام  
واللف والنشر ، والالفاظ . وقد انتهى من تأليفه سنة اثنتين وسبعين

٢ . مقدمة جنى الجناس ص ١٠٠-٩٠ .

٣ . الانتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٤٠ .

وثانائة ، وكتبه من هو في طبقة أشياخه من أولى التحقيين<sup>(١)</sup> ، وألف كتاب «مترك الأقران» قبل تأليفه «الافتان» الذي ورد فيه اسم الكتاب ، قال في النوع التاسع والثلاثين ، وهو معرفة الوجوه والنظائر : « وقد أوردت في هذا الفن كتابا سميته مترك الأقران في مترك القرآن »<sup>(٢)</sup> ، ولما في هذا الكتاب من كتاب «التحجير» ، أي أنه تحدث عن موضوعات البلاغة عند كلامه على وجوه الإعجاز الخمسة والثلاثين والموضوعات التي تملق إليها هي : الحقيقة والجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتمريض ، والإيجاز والأخطاب ، والبديع ، والخبر والأنشاء .

والسيوطي في هذا الكتاب وفي « التحجير » لم يقسم البلاغة الى علومها الثلاثة وإنما تعرض لها بوصفها أنواعا من علوم القرآن أو وجوها من وجوه إعجازه ، ولكنه لم يخرج في معالجة الموضوعات عن التراث البلاغي الذي وصل اليه ، ويكاد كلامه يكون إعادة لما ذكره السكاكي والفروبي وشراح التلخيص ، فهو في لسوع التشبيه مثلا يعرفه كما عرفه السكاكي باعتبار طرفيه ، وباعتبار وجهه ، وباعتبار الأدلة<sup>(٣)</sup> . ونرج في « الافتان » نهجه في « مترك الأقران » وقد عده فنون البلاغة من علوم القرآن وتحدث عنها من غير أن يقسما الى علومها الثلاثة . وتبدأ بمباحث البلاغة من النوع الثاني والخمسين وهي : الحقيقة والجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية والتمريض ، والحصر والاختصاص ، والإيجاز والأخطاب ، والخبر والأنشاء ، والبديع . وهذه هي الموضوعات التي عالجها في « مترك الأقران » .

ونلاحظ أنه بدأ في الكتابين بموضوعات علم البيان ، ثم قفاهما بموضوعات علم المعاني ، ثم بموضوعات علم البديع الذي لم يقسمه الى

٤. الافتان ج ١ ص ٥ .

٥. الافتان ج ١ ص ١٤٢ .

٦. ينظر مترك الأقران في أمجاد القرآن ج ١ ص ٢٦٩ وما بعدها .

محسنات لفظية ومعنوية ، وإن<sup>٧</sup> أشار إلى أن<sup>٨</sup> التجنيس أو الجناس « من المحاسن اللفظية لا المعنوية »<sup>(٩)</sup> وهذا تقسيم معروف في الدرس البلاغي . وقد أخذ به السيوطي في كتبه التي اتخذ فيها منهج السكاكي سبيلا . ولم يتحدث عن الجمع في نوع البديع ؛ ، وإنما تكلم عليه في النوع التاسع والخسين ، وهو قواعد الأبي ، والحق به نوعين بديعيين هما : التبرج أو التوام ، والزوج ما لا يلزم .

وبحث في كتاب « الزهر » فصاحة ، والحذف والاختصار ، والمجاز ، والاستعارة ، والجناس الذي سماه « التشبُّه » وأدخل فيه الاختصاص<sup>(١٠)</sup> . وليس للسيوطي في هذه المباحث سوى الجمع والتسريب وتلخيص أقوال السابقين ، فهو في الحقيقة والمجاز - مثلا - لم يخرج عما ذكره أحمد بن فارس في فقه اللغة ، وابن جنبي في الخصائص ، وفخر الدين الرازي في نهاية الإيجاز<sup>(١١)</sup> ، ولم يخرج عما ذكر القزويني في التلخيص والإيضاح ، ونقل آراء المتقدمين . لقد جاءت موضوعات البلاغة في هذه الكتب خدمة للقرآن الكريم ، ولغة اللغة ، ولذلك لم يقسمها كما قسمها السكاكي والقزويني ومن جاء بعدهما من الملخصين والتراجم . ولكنه اتخذ من منهج السكاكي سبيلا في كتبه التي خصصها للبلاغة ، ولذلك جاءت صورة لما استقر في عهده . ولعل كتاب « النقاية » - الذي لم يخلص للبلاغة لأنه تظنن أربية عثر علما - أوضح شاعدا على تحول السيوطي إلى منهج السكاكي إذ خصص ثلاثة علوم منه للمعاني والبيان والبديع ، وجاء كلامه عليها وعلى العلوم الأخرى مقتضبا ، فشرحه بكتاب « إتمام الدراية القراء النقاية » الذي فرغ من تأليفه يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين

٧. الاتفاق ج ٢ ص ٩١ ، وينظر معترك الأفران ج ١ ص ١٠٢ .

٨. ينظر الزهر ج ١ ص ٣٦٩ ، ٣٨٧ .

٩. ينظر الزهر ج ١ ص ٢٥٥ .



وثمالة للهجرة<sup>(١٠)</sup> . وهو في هذين الكتابين يتجسه اتجاه السكاكي والقزويني في التقسيم والمرضى والامثلة .

وسار على النهج نفسه في كنه البلاغة ، وقسم أرجوزة في ألف بيت ، تضمنت تلخيص القزويني وسماها « عقود الجمان » ، قال في أولها :  
 قال الفقيه عابد الرحمن الحمد لله على البيان  
 وأفضل الصلاة والسلام على النبي أنصح الأنام  
 وهذه أرجوزة مثل الجمان ضمتها علم المعاني والبيان  
 لخصت فيها ما حوى التلخيص مع ضم زيادات كأمثال النسخ  
 ما بين إصلاح لما ينتقد وذكر أشياء لها يعتمد  
 وضم ما فرقته للمثبه والله ربي أسأل النفع به  
 وأن يزكي علمي ويعرضا عن سؤله وأن يبلينا الرضا<sup>(١١)</sup>

واقضى من علمها يوم الأحد سلخ جمادى الثانية سنة اثنين وسبعين  
 وثمانائة للهجرة ، وقد اثار الى ذلك فقال :

وتم ذا نظم بتيسر الأحد سلخ جمادى الثاني في يوم الأحد  
 من عام اثنين وسبعين التي بعد ثمانمائة للهجرة  
 في ألف بيت كالتجوم زهر وكالرماض فاح منها الزهر  
 أرجوزة فريدة في أهلها إذ لم يكن في فنها كنهها<sup>(١٢)</sup>

ورتب علوم البلاغة وموضوعاتها كما رتبها القزويني في تلخيصه وإيضاحه ، فبدأ بالقصاحة والبلاغة ، ثم أخذ يعرض موضوعات علوم البلاغة

١٠ . اهتمام الدواية لقراد النقاية ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

١١ . شرح عقود الجمان ص ٢ . ١٢ . المصدر نفسه ص ١٧٦ .

الثلاثة المعروفة . ورأى أن الأرجوزة تحتاج إلى شرح فوضع « شرح عقود الجبان » الذي انتهى من تأليفه يوم الأحد خامس ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثمانمائة<sup>(١٣)</sup> ، وقال في شرح أبياتها الأولى : « حاصل هذه الآيات أن هذه الأرجوزة حاوية لما في تلخيص المفتاح مع تلخيص في العبارة ، وترك كثير من الأمثلة والتماثيل ، موضوعا عنها زيادات حسنة ، بعضها اعتراض عليه ، وبعضها ليس كذلك ، وفيه أبحاث تلقناها عن شيخنا الإمام محيي الدين الكافجي ، وهو المراد حيث أطلق فيها ، وربما قدمت وأخرت للنسابة . ثم من الزيادات ما هو مميز بقلت ومنه ما ليس كذلك فأميزه هنا<sup>(١٤)</sup> . »  
ويتضح في هذا النص :

- ١ . أن الأرجوزة تضم ما في تلخيص القزويني .
- ٢ . أن فيها تلخيصا في العبارة .
- ٣ . أن فيها تركا لكثير من الأمثلة والتعليلات .
- ٤ . أن فيها زيادات حسنة .
- ٥ . أن فيها بحوثا تلقناها عن شيخه الكافجي .

وهذا ما يميزها عن كتاب « التلخيص » ويجعلها أكثر يسرا ، وأقرب إلى النوس ، ولا سيما شرحها الذي امتاز بالسهولة والوضوح . وقد شملت زيادات السيوطي على القزويني معظم موضوعات البلاغة فهو في بيته :

يوصف بالفصاحة المركب      ومفرد ومتنقسي مرتسب  
وغير ثان صفته بالبلاغة      ومثلها في ذلك البرامه

يقول : « والبراعة مثل البلاغة فيقال متكلم بارع وكلام بارع ، ولا يقال : كلمة بارة وقد جمعها القاضي أبو بكر في الانتصار بما يقرب من حد البلاغة

١٣ . المصدر نفسه ص ١٧٦ .

١٤ . المصدر نفسه ص ٢ .

وأصلها الجمهور وذكرها هنا من زوائد<sup>(١٥)</sup> وهو في بيته :

محتمل للصدق والكذب الخبر وغيره الإنشاء ولا ثالث قسم

يقول : « هذا البيت من زادتي ، ألا أن في التلخيص إشارة إليه في بيان وجه الحصر ، وحاصله أن الكلام إما خبر أو إنشاء لا ثالث لهما<sup>(١٦)</sup> » . وكان الغزوني قد قال : « لأن الكلام إما خبر أو إنشاء لانه إن كان نسبته خارج تطايته أولا تطايته فخير ، وإلا فالإنشاء »<sup>(١٧)</sup> .

وهو في بيته :-

أو كونه ميمنا أو ادعى أو المقام ضيق أو سمعا

يقول : في حذف السند إليه : « ومنها ضيق المقام وهو من زائدتي وذكره في الإيضاح ومثله الطيبي في التبيان »<sup>(١٨)</sup> . وتوضح زيادات السيوطي في فنون البديع ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : « وذكر صاحب التلخيص من البديع المعنوي ثلاثين نوعا ، ومن التلطي سبعة ، وذكر في أئناهما أمورا ملحقة بها تصلح أن تعد أقروا آخر ، وقد زدت عليه الجيم الغفير »<sup>(١٩)</sup> ومن ذلك : التوفيق ، والسلب والإيجاب ، والتفاير ، وسمى التلطف ، والترشيح ، والتوهم ، والتفضيل ، والتسليم ، والجناس المعنوي ، والتشبيخ ، والفرائد ، وغير ذلك من فنون التي تبارى علماء البلاغة - ولا سيما أصحاب البديعيات - في توسيعها والاكثار منها .

وأما هذه الزيادات الأربعة وشرحها ولولا ذلك لكانت في أقل من ألف بيت . قال السيوطي : « وإنما بلغت ذلك لما فيها من الزيادات الجيدة ،

١٥ . المصدر نفسه ص ٤ .

١٦ . المصدر نفسه ص ٩ .

١٧ . التلخيص ص ٢٨ .

١٨ . شرح مفرد التبيان ص ١١ . وينظر الإيضاح ص ٢١ ، والتبيان ص ٤ .

١٩ . المصدر نفسه ص ١٥ .

ولو اقتصرنا على ما في التلخيص لم نزد على النصف من ذلك إلا قليلا<sup>(٢٠)</sup>، ولم يشأ السيوطي أن تخلو آثاره من بديعية زين بها كنية فنظم بديعية « نظم البديع في مدح خير شيوخ » ، وهي مائة وأربعون بيتا مشتتة على مثابها من الأنواع ، ومطلعها :

من العقيق ومن تذكّار ذي سلم براعة العين في استهلاكها بدم  
عارض فيها بديعية ابن حجة الحوي التي مطلعها :

لي في ابتداء ملحك يا عرب ذي سلم براعة تستهل الصنع في العلم  
وضمنا اسم النوع البديعي كما فعل الحوي قال : « فهذه بديعية  
مدحت فيها من وجب على الخلق امتداحه وتحلى بفلائد أوصافه الكريمة  
مداحه، معارضا بها بديعية الشاعر الماهر تقي الدين أبي بكر بن حقيقي الثوري باسم  
النوع البديعي ضارعا الى الله تعالى أن ين علي بالتحلي بأجل الأوصاف »<sup>(٢١)</sup>،  
وقد قلنا قبل تأليف شرح عقود الجمان ، قال : « وقل في بديعيتي :

روحى ودم وارج ردد وود وزر وازر ووال نواداء وزد ورم<sup>(٢٢)</sup>

وقبل « جنى الجناس » قال في خاتمة الجناس المعنوي : « ولم يلم أحد  
من أصحاب البديعيات بشيء من ذلك ، بل جروا على قطار الصلبي فصا  
أثرا بطائفي ، خصوصا بيت ابن حجة فاه من أسج البيوت ، وهو مع ما فيه من  
الجميل والصخر أوهى من بيت المنكبوت ، وقد تعقبه عليه البارزي ، وأما  
التواحي فنأدى عليه مناداة اللحم السمين ، وهو معذور ، وقد كنت لم  
أظنه في بديعيتي فلما اجلج هذا الاجلاء قلبه فيها فقلت :

حري الجمال بعماء وصورته وخاطبته القبا والبطن بالكلم

كثيت بالبدن عن الجمال ليجانس الجمال »<sup>(٢٣)</sup> .

٢٠ - المصدر نفسه ص ١٧٦ .

٢١ - ينظر الصبغ البديعي ص ٤٩ ، ومقدمة جنى الجناس ص ٢١ .

٢٢ - شرح عقود الجمان ص ١٥٦ . ٢٣ - جنى الجناس ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

وأراد أن يفرد كتابا لنوع من أنواع البديع فالف «جنى الجنس» قال في مقصده : « هذا كتاب ألفت في أقسام الجنس التي استخرجتها وحصرتها ولم أسبق إلى ذلك ، ووصلتها إلى نحو الأربعمائة قسم ، وأكثر فيها من إيراد شواهد القرآنية والحديثية والشعرية ، وغالب ما أوردته من القرآنية والحديثية ما الذي استخرجته ولم أسبق إلى استخراجها ، وقد يكون في الشاهد الشعري عدة جناسات فأذكره في أول موافقه واستغني عن إعادتها فيما بعد وسيتتبعه «جنى الجنس» وبالله أعود رب الناس من شر الوسوس الخناس فأقول : أصول أنواع الجنس ثلاثة عشر نوعا تحت كل نوع منها عدة أنواع <sup>(٢٥)</sup> . وهذه الأصول هي : التام الفرد ، والتام المركب ، والتامير ، والخطي أو المصحف ، والمخالف ، والمطعم ، والتجنيس الترجيع ، والجناس المعنوي ، والتجنيس اللطفي ، والمقارب ، والمطلق ، والشوش ، والجناس المعنوي ، والتجنيس المضاف ، ويبدو في هذا الكتاب التفسيرات الكثيرة للجناس ، والشواهد والأمثلة الكثيرة لتلك الأنواع . ولعل هذا الكتاب آخر ما ألف السيوطي في البلاغة فقد ألفه بعد عودته من مكة المكرمة سنة تسع وستين وثمانمائة بأربعين عاما . قال وهو يتحدث عن أحد أنواع الجنس التام : « وأظن أنني رأيت من ذكر هذا النوع أزيد من أربعين سنة بسكة المشرقة في يدعية غريبة ليوسف الغلابي ، وقلت فيه إذ ذاك ، وألفه سواء المصحف <sup>(٢٦)</sup> » وقال : « وقلت قديما وكتبها علي الحافظ نجم الدين بن فهد بسكة سنة تسع وستين وثمانمائة <sup>(٢٧)</sup> » . ومعنى هذا أن السيوطي ألف « جنى الجنس » قبل موته بعام أو بعامين .

## ( ٢ )

وأهم القضايا البلاغية التي عالجها السيوطي هي إيجاز القرآن الكريم وقد تحدث عنها السابقون « وأضئ بعضهم وجوه إعجازة إلى ثمانين ،

٢٥ . جنى الجنس من ٧٢-٧٤ . ٢٦ . جنى الجنس من ١٦٠ .

٢٤ . جنى الجنس من ٧١ .

والصواب أنها لا نهاية لوجود إعجازه» (٢٧) وذكر خمسة وثلاثين وجها للإعجاز ، ومنها وجوه بلاغية هي : حسن تأليفه والتشام كلسه ، ووقوع الحقائق والمجاز فيه ، وتشبيهه واستعاراته ، والكناية والتعريض ، وإيجازه في آية وأمثابه في أخرى ، ووقوع البدائع البليغة فيه ، واحتواؤه على الخير والافشاء ، وهذه الموضوعات بحثها في كتبه المختلفة ، فكانت انوارا من علوم القرآن في « الاقتران » ، ووجوها من وجوه الإعجاز في « معترك الاقتران » وعلوما لغوية في « الزهر » ، وقنوة بلاغية في كتبه الأخرى .

وقد عده الوجه الخامس والثلاثين - وهو الاقتران المشتركة - من أعظم وجوه الإعجاز « حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف الى عشرين وجها وأكثر وافق ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر» (٢٨) . ويرتب الاقتران المشتركة ترتيبا معجيبا ليسهل الرجوع اليها ، وشرحها كما جاءت في كتاب الله ، ومثال ذلك كلامه على « شعار الله » : « ما جعله الله عليا لطاعته ، واحداثها شعيرة مثل الجرائم ، يقول : لا تملوه ، وكان المشركون يمجسون ويعتبرون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فقبل لهم : لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم وقيل : هي الحرم واحلاله الصيد فيه ، وقيل : هي ما يحرم على الحاج من النساء والصيد وغير ذلك ، واحلاله فعله» (٢٩) .

ويلحق بالثمنون البلاغية والاقتران المشتركة ما تحدث عنه في الوجه العشرين من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو « روعته وهيبته » وهذه مسألة نفسية ، قال : « الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه ، والهبة التي تعترجهم عند تلاوته لقوة حاله وابانة خطره وهي على الكاذبين به أعظم حتى كانوا يستقلون سماعه ويزيلهم قنورا - كما قال تعالى - وبردون انقطاعا لكرهتهم له ولذا قال عليه السلام : « إن القرآن صعب مستصعب

٢٧ - معترك الاقتران ج ١ ص ٣ .

٢٨ - معترك الاقتران ج ١ ص ٥١٤ .

٢٩ - معترك الاقتران ج ٢ ص ٢٨٤ .

على من كرهه ، وهو الحكم » . وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته تواليه الجذبا وتكسبه عشاقته ليل قلبه إليه وتصديقه به ، قال تعالى : « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ... » (٢٠) ، الآية ، وقال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » (٢١) الآية . ويدل على هذا شيء خفي به أنه يقر به من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفسيره ... وهذه الروعة قد اعترف بها جماعة قبل الإسلام وبعده » (٢٢) . وذكر بعض الروايات التي تشير إلى روعته وهيبته وأثرها في القلوب . ويصل بهذا الوجه من الإعجاز الوجه الحادي والعشرون وهو « أن سامعه لا يحكمه وقارنه لا يبله ، فتدله الأسراع ، وتنقلب له القلوب ، فلا تزيد تلاوته إلا حلاوة ولا تزيد منه إلا محبة ، ولا يزال لخصا طريا ولحمه من الكلام — ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه — يصل مع التريد ويعادى إذا أعيد لأن إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديد ، وكتابنا بعيد الله يسئل به في الخلوات ، ويؤنس به في الأزمات ، وسواء من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطريا يستجلبون بذلك اللحن تشييطهم على قراءتها ، ولهذا وصف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ، ولا تقنى عجابه ، وليس بالهزل ، لا يسبح منه العلماء ولا ترخ به الأهواء ، ولا تلتبس به الالسة » (٢٣) . وهذا الأثر النفسي للقرآن مما ذكره المتقدمون ، وأكثوه بروايات مرفقة من ذلك تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به كتاب الله

---

٢٠. الآية ٢٢ ( سورة الزمر ) هي : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، لم تكن جلودهم وقلوبهم التي ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ، ومن يشكك الله فما له من هاد » .

٢١. الآية ٢١ ( سورة العنكبوت ) هي : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خائضا متصدعا من خشية الله ، وتلك الأمثال نطربها للناس لعلهم يتفكرون » .

٢٢. معترك القرآن ج ١ ص ٢١٢ .

٢٣. معترك القرآن ج ١ ص ٢١١ ، وينظر الإختار ج ١ ص ١٢٢ .

وقصة اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي<sup>(٢٤)</sup> ، وكان السكاكي قد أكد اثر القرآن النفسي ورأى أن « إيجازه لا يوصف ، قال : « واعلم ان شأن الاعجاز عجيب يفرك ولا يسكن وصفه كاستقامة الوزن تفرك ولا يسكن وصفها ، وكالملاحه . ومفرك الاعجاز عندي هو الذوق ليس إلا ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة حنين العليين - المعاني والبيان - نعم للבלغة وجوه مثبته ربما تيسرت امالة الثام عنها لتجلى عليك . أما غنى الاعجاز فلا »<sup>(٢٥)</sup> . وقال « وهذه اقوال أربعة يخصها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الاعجاز هو أمر من جنس البلاغة والقصاحة »<sup>(٢٦)</sup> ، وهو ما قلله السيوطي ، فقال : « والصواب انه لا نهاية لوجوه اعجازه كما قال السكاكي في مفتاح »<sup>(٢٧)</sup> . ولذلك اهتموا بدراسة البلاغة لأنها ما يوصل الى إدراك الاعجاز قال أبو هلال العسكري : « وقد علمنا أن » الانسان اذا أغفل علم البلاغة وأخل بعرفة القصاحة لم يقع عليه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، ورياسة التركيب ، وما شبعه به من الأيجاز الديدع ، والاختصار اللطيف ، وضمنه من الحلاوة ، وجلته من روق الطلاوة ، مع سهولة كليمه ، وجزائتها ، وعذوبتها ، وسلاستها ، الى غير ذلك من محاسن التي عجز الخلق عنها وتحييت عقولهم فيها »<sup>(٢٨)</sup> . فالسيوطي يؤمن باعجاز القرآن الكريم كما يؤمن به غيره ولكن وجود اعجازه كثيرة ومنها ما فيه من فصاحة وبلاغة يعجز عنها الخلق ، وما فيه من أنماط مشتركة ، وما له من روعة وهيبه في النفوس ، ولذة في الاسماع والقلوب ، وهو ما حام حوله المماصرون ، وحاولوا أن يوضحوا إيجاز القرآن النفسي والفني ، كما فعل سيد قطب في تفسيره للقرآن الكريم المسمى « في ظلال القرآن » وفي كتابه « التصور النفسي

٢٤ . ينظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ ، ٢٨٢ .

٢٥ . مفتاح العلوم ص ١٦٦ .

٢٦ . مفتاح العلوم ص ٢٤٣ .

٢٧ . معترك الاثران ج ١ ص ٣ .

٢٨ . كتاب الصناعتين ص ١ .



في القرآن » ، و « مشاهد القيامة في القرآن » ، وكما فعل أمين الخولي في بحثه « البلاغة وعلم النفس » الذي تحدث فيه عن الإعجاز النفسي ، والتفسير النفسي ، وقال : « إن هذا القرآن من حيث هو فن أدبي معجز ، ثم من حيث هو هدى وبيان ديني لن يدار الأمر فيه إلا على سياسة النفوس البشرية ورياضتها ، لأن الفن هو فجوى الوجدان ، والدين هو حديث الاعتقاد وخطاب القلوب ، فصلت بالنفس ومناجاته للروح أوضح من أن يستدل لها أو تخص بالشرح . وفيما مضى من رأى - قديم أو حديث - عن أسرته في النفوس وحقوقه لديها أقرب شاهد وأدناه<sup>(٣٩)</sup> وفي بحثه « علم النفس الأدبي » الذي تحدث فيه عن الإعجاز الفني قال : « إن هذا القرآن انما يعالج إيجازاً والمناجاة وتوكيده وإثباته ، وإجالة وتفصيله ، وتكراره وإمالة ، وتقسيمه وتفصيله ، وترتيبه ومناسبه ، يمثل كل أولئك وما إليه بالأمور النفسية لا غير<sup>(٤٠)</sup> . وكما فعلت الدكتورة بنت الناطقي - عائشة عبدالرحمن - في كتبها « التفسير البياني للقرآن الكريم » و « مقال لسي الإنسان » و « الإيجاز البياني للقرآن<sup>(٤١)</sup> » .

### ( ٣ )

ولا نخلو كتب السيوطي من آراء ، ولعل أهم آرائه ما جاء في الرد على من أنكرو المجاز في القرآن الكريم ، قال : « وقد أنكرو قوم وقوع المجاز فيه وقالوا : انه أخو الكذب ، والقرآن منزّه عنه ، وإن المتكلم لا يبدل إليه الا اذا ضاقت الحقيقة فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى . وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، فقد اتفق البلغاء على ان المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولو وجب خلو القرآن عن المجاز وجب خلوه من الحذف

٣٩ . مناهج تجديد ص ٢٠٣ .

٤٠ . مناهج تجديد ص ٢٣٠ .

٤١ . ينظر بحثنا التفسير الأدبي والإعجاز ( كتاب إعجاز القرآن ) ص ٤٧-٤٨ .

والتوكيد وتكتية التخصيص وغيرها»<sup>(٤٢)</sup> . وليس هذا رأيه لأن التقسيمين ذكروه ، ولكنه اختار هذا الرأي ، لأنه وجد في القرآن الكريم كثيرا من المجازات ، وهي لون من ألوان التعبير التي درج العرب عليها في كلامهم ، ولكنهم عجزوا عن أن يأتوا بنقل مجازات الكتاب العزيز .

وقسم المجاز كما قسمه عبدالقاهر والسكاكي والفزوني وغيرهم من اللغويين والشراح وهو نوعان :

- الاول : المجاز في التركيب ، ويسمى مجاز الاسناد ، والمجاز العقلي .
- الثاني : المجاز اللغوي ، وهو ما أطلق عليه اسم المجاز المرسل .

ولم يذكر الاستعارة فيه وهي مجاز لغوي وأنا عد التشبيه والاستعارة الوجه الرابع والعشرين من وجوه الإعجاز . وكان الوجه الثالث والعشرون هو وقوع الحقائق والمجاز فيه ، وقد تحدث فيه عن المجاز العقلي والمجاز اللغوي أو المجاز المرسل ، ولكنه قال « زوّج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة فهي مجاز علاقته المشابهة ، ويقال في تعريفها : « اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي » والأصح أنها مجاز لغوي لأنها موضوعة للتشبيه لا للتشبيه ولا لأعم منها »<sup>(٤٣)</sup> . واهتم بنون البديع وقال إن : « أنواعه - وهي الوجوه المذكورة - كثيرة جدا تربو على المائتين ، وفيه بديعية الصفي منها مائة وخمسون نوعا »<sup>(٤٤)</sup> ، وقال : إن « الأصل في حسن أنواع البديع اللطيفة تبعية اللفظ للمعنى لا عكسه »<sup>(٤٥)</sup> وقال في خاتمة المحسنات اللطيفة :

وأصل حسن ما مضى أن يتبعها اللفظ معنى دون عكس وقعا

٤٢ . معترك الاقران ج ١ ص ٢٤٦ ، وينظر الاثنان ج ٢ ص ٢٦ .

٤٣ . معترك الاقران ج ١ ص ٢٧٥ ، الاثنان ج ٢ ص ٤٢ .

٤٤ . انباء الدرياء لقراء النقابة ص ١٦٦ .

٤٥ . المصدر نفسه ص ١٧٢ ، وينظر شرح عقود الجمان ص ١٠٥ .

« أصل الحسن في الأنواع النطقية أن تكون اللفاظ تابعة للمعاني لا أن تكون المعاني تابعة لللفاظ ، بأن يؤتى باللفاظ متكلفة مصنوعة المعنى كما يفعله من له شغف بإيراد المحسنات النطقية فيجعل الكلام غير مسوق لافادة المعنى ، ولا يبالى بخفاء الدلالة وركاكة المعاني . فإذا تركت المعاني على مجيئها طليت لأغصها الفاظا تليق بها ، وعند ذلك تظهر البلاغة ويشير الكامل من القاصر »<sup>(١٧)</sup> وهذا ما رددته المتقدمون كالحرجاني والسكاكي والقزويني وغيرهم من اللغويين والنحاة . وفيه على أن بعض موضوعات المعاني وردت في البديع ، قال : « قد انتهى القول في علم المعاني وله الحمد والثناء وفيه أمور أوردناها جميع في البديع ، منهم الطيبي في التبيان ، وأصحاب البديعيات وهي : الالتفات والخطاب العام ، والتقليب ، والاسلوب الحكيم ، والإيضاح بعد الإيهام ، والتكرار ، والتزديد والتعطف ، والترجيح ، وذكر الخصائص بعد العام وعكسه ، والإيقال ، والتبذيل ، والتكبير ، والاحتراس ، والتنظيم ، والإشارة ، والبسط »<sup>(١٨)</sup> وهو ما به عليه السكاكي حينما بحث الالتفات في علم المعاني وقال : « ويسمى هذا النقل الثنائيا عند علماء المعاني »<sup>(١٩)</sup> وذكره في المحسنات المعنوية ولم يصرحه واكتفى بأن قال : « وقد سبق ذكره فسي علم المعاني »<sup>(٢٠)</sup> . وللسيوطي رأي في الاستخدام والثورية ، قال عن الأندلسي « صرح بأن الاستخدام أجل من الثورية ، وأعجب وأظف ، وإن كان المختار عتدي أنها بيان »<sup>(٢١)</sup> . واهتم بالجناس من بين فنون البديع وتحدث عنه في كتبه . وهو في « عقود الجنان » يذكر قسمي الجناس الناقص ويسمي الأول المردوف « لأن حرف الزيادة مردوف بها وقع فيه التجانس كقوله تعالى : « والتفت الساق بالساق » إلى ربك يومئذ المساق »<sup>(٢٢)</sup> والثاني

١٦. شرح عقود الجنان ص ١٥٧ . ١٧. المصدر نفسه ص ٧٦-٧٧ .

١٨. مفتاح العلوم ص ٩٥ .

١٩. مفتاح العلوم ص ٩٠٢ ، وينظر البلاغة عند السكاكي ص ١٣٦ .

٢٠. شرح عقود الجنان ص ١١٢ ، وتنظر ص ١١٣ .

٢١. سورة القيامة الأيتان ٢٩ ، ٣٠ .

المكتشف « لأن حرف الزيادة فيه مكتشف أي متوسط بين ما اكتشفناه كتوليم  
 « جدي جدي »<sup>(٥٢)</sup> وقال عن الجنس : إنه « نوع متوسط في البديع ليس  
 كالتورية والاستندام والطباق ونحوها ، وانفقوا على أنه أنا يحسن إذا قل ،  
 فمن كثر سجع وخرج إلى حد التزلزل بخلاف التورية ونحوها ، فنان جعل  
 الجنس تورية ، وانحصر المعنيان في ركن واحد فقد علت رتبته وارتفعت  
 رتبته ، وصارت تسمى بالتورية التامة »<sup>(٥٣)</sup> . وألف كتابا خاصا بالجناس هو  
 « جنس الجناس » فصل القول فيه وذكر أنواعه المختلفة وأمثله المتعددة وزاد  
 في القبحان الزام المفرد قسما تاسعا « وهو أن يكون الاسم من لغة غير العرب والفعل من لغة  
 ومعربة وعشرا : وهو أن يكون الاسم من لغة غير العرب والفعل من لغة  
 الرب » قال : « وأظن أنني رأيت من ذكر هذا النوع أرسد من أربعين سنة  
 بسكة المبرقة في يدعية غريبة ليوسف الغلاني ، وظلمت فيه إذ ذاك وأظنه سماه  
 المسح »<sup>(٥٤)</sup> ومن ذلك قول أبي حيران موسى بن محمد الطوالقي :

أنا ليل أي الناس في الأرض زينة      أجبتنا ولنا أبهج الأرض بئسئها  
 ذو أني أدركت يوما عبيدها      لزممت يد البستي\* ذهري وبئسئها  
 قال : « قلت : هذا من لغتين ، فإن البوس بمعنى الثقيل ليس من لغة  
 العرب ، وتثنيه قولي قديما من قصيدة نبوية :

أوت\* إليه جميع المحتفين فلم      يشجب بغر أوت\* للعرب والعجم  
 أوت\* يرومهم نعم بالتركية»<sup>(٥٥)</sup> . وله فيه بعض الآراء الخاصة من  
 ذلك رأيه في الجنس الزام المركب فهو عند « أشرف أنواع الجنس  
 وأجلاها »<sup>(٥٦)</sup> . وكانت له قدرة على استقراء التولميد والأمثلة من القرآن

- 
- ٥٢ . شرح عقود الجنان ص ١٤٥ .  
 ٥٣ . المصدر نفسه ص ١٤٨ .  
 ٥٤ . جنس الجناس ص ٧٣ .  
 ٥٥ . جنس الجناس ص ١١١ .      ٥٦ . جنس الجناس ص ١٢١ .

الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب ، وهذا واضح في الكتاب ،  
كل الوضوح ، وهو ما يستلزم به على كتبه الأخرى التي تعرضت لسرايا زندقته  
وختم كتابه « جنى الجناس » بست فوائد :

الأولى : أن أسامة بن منقذ ذكر أن عمرو بن العلاء ذكر اسم الجنس  
وهو يتحدث عن شعر أبي دؤاد الأيادي ، وورد تجنيس التركيب والتمثيل  
والتشخيص والتعريف فيه . فقال : « قلت : في مثل هذا عن أبي عمرو قال ،  
فإن اسم الجنس لم يكن موجودا في زمانه وإنما حدث بعده يدهش نفسه  
ذكروا - منهم ابن رشيق - أن أول من اخترع اسم التجنيس هو ذلك من  
المعترف في سنة أربع وسبعين ومائتين وذلك بعد موت أبي عمرو<sup>(٥٧)</sup> . ولكن  
ابن المعتز ذكر أن الأصمعي ألف « كتاب الجناس »<sup>(٥٨)</sup> ، ولأنه ربما أن يكون  
اسم الفن البدعي معروفا في زمن أبي دؤاد ولكنه ، كما أنه مستغنيا في  
النصير مقبولا .

الثانية : أن ضياء الدين بن الأثير ذكر أن بعض البلاغين وقع في خطأ  
عندما أدخل في التجنيس ما ليس فيه مثل بيت أبي تمام :

ألم أسمع من عيسى سبيتي      رسوما من يكساى كسي الرسوم  
ولم يتعرض على ابن الأثير .

الثالثة : أن ابن النفيس قسم التجنيس في كتاب « طرق النسخة » إلى  
حقيقة ومجاز ، والعقيقي أنه فرع واحد باستعمال اللفظ تارة في « زيادة » في  
غيره ، ولا يشترط أن يكون ذلك في موضع مخصوص بخلاف التجميع  
والنصرع . قال : « وهذا الذي قررره في الجناس التمام خلافا لما قررره في »

٥٧ . جنى الجناس ص ٢٨٨ .

٥٨ . البدیع ص ٢٥ .

بواحد من أنه يشترط أن يكون اللفظ حقيقة في المعين ولا جاس في حقيقة ومجازة (٢١) .

الرابعة : ان التوخي اورد في « الاقصى القريب » فكرتين : الاولى  
مقياس تأثير التجنيس بشكرو الحروف من غير أن يكون بينهما بعد بحيث  
ينصرف منه الذهن عن الاول ، والثانية تقسيم التجنيس + ولم يتعلق على  
هذا التقسيم .

الخامسة : مذكّر شهاب الدين العلي في « حسن التوكل » والليالي  
والتمالي من أن التجسس يحسن إذا قل وأتى في الكلام ضرباً من غيد  
كبد ولا استكم له .

السادة : ذكر فيها آيات الجنس في بديعة شعبان الأتاري ، ولم  
تعلق عليها .

واستخدم السوملي بعض أنواع البدع ، كالتأسييس والتفريع ، قال :

ولقد وجدت مقصدا بديها      سميتهُ الأبيس والفرعا

قاعدة كلية يهـلها ينس عها لعية قلعها

مثاله لكل دين خلق وخلق ذا الدين الجاه الوثق

« هذا نوع لطيف اخترعته لكثرة استعماله في الكلام النبوي ولم  
أد في الأنواع المتقدمة ما يناسب فسيته التأسيس والتخريج ؛ وذلك أن  
يهي قاعدة كلية لما يقصده ثم يرتب عليها المقصود كقوله صلى الله عليه وسلم:  
« لكل دين خلق وخلق هذا الدين الحياء »<sup>(١)</sup> .

وقضى الموضوع قال :

والنفس الموضوم قصدا منه      ماله ليس الشديد المرحه

٥٩. حتى الحثاس من ٢٩. - ٦٠. فرح مقود الجيمان من ١٤.

« هذا النوع أيضا من مخترعائي وسببه في الموضوع ، وهو كثير في الحديث وكلام البلاء ، بأن يكون اللفظ موضوعا لمعنى فيصريح بشيه وربه لغيره مبالغة في ادعاء ذلك الحكم ، ومثاله ما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » (٦١) .

وتسميد الدليل ، قال :

وإن أتى بجمل للتقصيد      توصلا لحكم ما به ابتدئ  
وصح حذف الوسط الموصول      فذلك التمهيد للدلائل

« وهذا نوع ثالث اخترعته وسببه تسميد الدليل ، وهو أن يقصد الحكم بشيء فيرتب له أدلة تقتضي قطعاً بأن يبدأ بالتقصود ويخبر عنه بجملته مسلية ثم يخبر عن تلك الجملته بأخرى مسلية فيلزم ثبوت الحكم للأول بأن يحذف الوسط ويخبر بالآخر عن الأول ، وهذا شكل من أشكال المناطقة وتحن - معاصر أهل السنة - لا تتبعهم أصلاً وهم مصرحون بأنه في طبع أهل الذوق والذكاء ، والقرآن والسنة طائفتان باستعماله ، ثم تارة يكون الوسط جملة واحدة ، وتارة يكون أكثر ، فمن الأول قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » رواه مسلم ، لأنه يصح أن يحذف الوسط فيقال : « ولا تدخلوا الجنة حتى تحابوا » من لم يؤمن بالله لم يؤمن بي ، ولم يؤمن بي من لا يحب الانصار » (٦٢) .  
والتصنيف ، قال :

ومنه تصنيف بأن يمتددا      به وبالتصنيف أسن قصدا

« هذا نوع رابع اخترعته ، وهو أن يأتي في المقصود بكلام لتصنيفه معنى معتبر فيقصد ذلك لئلا يذهب إلى كل من معنيه كما حكى عن

٦١. المصدر نفسه ص ١٤١ .      ٦٢. المصدر نفسه ص ١٤٢ .

بعض الأذكياء أنه كتب الى بعض أصحابه أن يشتري له من البضائع الرائجة، وأمر أن لا ينقط ليصلح للرائجة والرايحة<sup>(٦٣)</sup> .

هذا مما ابتدعه من المحسنات المعنوية ، أما المحسنات اللغوية فقد ابتدع التضييق ، قال :

قلت فإن كان المزموم في الروي أو كلمات في تطبيق قسوي

وهذا النوع اخترعته وسيته بالتضييق بأن يلتزم في الروي أمراً لا يلزم، وإنما لم يذكره لظنهم أن الروي يلزم أن يكون على حرف واحد فلا يقع فيها التزام ما لا يلزم . وأشارت بما ذكرته الى أن الروي قد يكون مثلاً على البهاء فيلتزم أن لا يأتي بها ضميراً ، أو الألف فيلتزم أن لا يأتي بها ألف إطلاقاً، وقد عمل العباد الأسبغاني قصيدة هائلة لأخيه فيها وادعى البراعة ، وعارضه أبو اليمن الكندي بقصيدة مطلعها :

هل أنت راحم عبدة وتولع  
ومجير صعب عندما عنه نفسي  
هيهات يرحم قاتل مقتوله  
وسانف في القلب غير منه  
من "من" من ذاء الغرام فانس  
مذ حل بي مرض المعوى لم انتع

عارضها البهاء السكي بقصيدة وابن نباتة والصلاح الصفدي ، ولي في ذلك قصيدة ذكرتها في طبقات النحاة . ويلحق بذلك ما إذا التزم أمراً في كل كلمات البيت أو الرسالة . وللصرصري قصائد التزم في كل كلمة منها صاداً ، وقصائد التزم في كل منها عينا ، وللحريري رسالة التزم في كل كلمة منها سيناً<sup>(٦٤)</sup> .

والمتحمل ، قال :

واللفظ إذ يقرؤه الاثني لا يعاب قد سيئه المتحلا

٦٣. المصدر نفسه ص ١١٢ .

٦٤. المصدر نفسه ص ١٥٤ .



« هذا النوع اخترعته وسماه المتحل والمتقى والتحري ، وهو أن يختار لفظ إذا قرأه الإلتصاق لا يجاب عليه تحريا ، وقد رأيت فسي ذلك يتبين في الرد لبعض الأقدمين ومما :

من شاء جمع معاني قد خصصت بها وجاوزت كل حد لم يسئل وطرا وكيف يستطيع أن تخصص فضائلها وزنتك الفرد بها تقتضيه ورأى<sup>(٦٥)</sup>

## ( ٤ )

هذه وقفة عند كتب السيوطي التي تعرضت للبلاغة، وقد اتضح أنها تمثل أربعة أهداف :

الاول : خدمة القرآن الكريم ، ويتجلى ذلك في « التبحر في علوم التفسير » و « معترك الاقران » و « اللتان » .

الثاني : خدمة اللغة العربية وفقها ويوضح ذلك في « الزهر » .

الثالث : خدمة البلاغة العربية بعلومها الثلاثة ، وتيسر دراستها قلما أو تلخيصا أو شرحا ويبدو ذلك في الكتب التي تحت نحو السكاكي في التفسير والعرض والتشيل ، ومنها ما جاء فسي « النفاية » وشرحها و « عقود الجنان » وشرحها .

الرابع : التعمق في لون بدعي واحد هو الجناس ، ويظهر ذلك فسي « جنى الجناس » الذي يعد حلقة من حلقات التأليف في هذا الفن ، إذ ألف التعالي قبله كتابي « أجناس التجنيس » و « الأيس فسي غور التجنيس » ووضع الصفدي كتاب « جنان الجناس » وقد اتضح السيوطي بهذه الكتب<sup>(٦٦)</sup> . ولا ينكر فضل السيوطي في كنهه ، فهو وإن كان ناقلا ، إلا أن

٦٥ . المصدر نفسه ص ١٥٧ ، وقرا : وطقا - ومما .

٦٦ . تنظر مقدمة جنى الجناس ص ٥٥-٥٤ .

جهدته يتضح في العرض أو الفرح أو التخليص، وإضافة بعض الأمثلة، وإبتداع بعض أنواع البديع، وهو جهد كبير في عهده الذي شهد انكفاءً وعودةً إلى التراث القديم. ولا بد بعد هذا العرض والتقوم من تحديد منزلة السيوطي في الدرس البلاغي وهو العالم الكبير الذي قال عن نفسه: « ورزقت البحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، على طريقة العرب والبلاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة»<sup>٦٧</sup>. ويريد بطريقة العرب البلاء ما أطلق عليها اسم « المدرسة الأدبية » وبطريقة العجم وأهل الفلسفة ما أطلق عليها « المدرسة الكلامية » . قبل وفق السيوطي في هذا الوصف ؟

إن دراسة كتبه التي اتخذ فيها منهج السكاكي والقزويني سيلا تؤكد أنه سار على طريقة العجم والفلاسفة، وإن أكثر من الأمثلة في بعض المواضع من كتبه. وأن مطالعة كتبه التي تحدث فيها عن علوم القرآن ووجوه الإعجاز وفقه اللغة توضح أنه لم يمتد كثيرا عن السكاكي والقزويني فسي التقسيم والعرض والأمثلة وإن لم يقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة المعروفة. ولا تختلف عنها بديعيته وشرحها فهو قد سار على نهج أصحاب البديعيات معارضا ابن حجة في تسمية النوع البديعي، وهذه البديعيات وأن لم تقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة - احتفظت بطابع البلاغة الذي توقفت تجدها بعد مفتاح العلوم للسكاكي ولذلك لم تأت بجديد إلا زيادة المحسنات، ولم تكن بديعية السيوطي أروع من البديعيات الأخرى، فهي قد نهجت نهجها، وهي كغيرها « لا روح فيها ولا قوة ولا بهجة ولا روعة»<sup>٦٨</sup>. ويقي « جسي الجناس » فيما لو<sup>٦٩</sup> قال الدكتور محمد علي رزق الغضائري :

« قل السيوطي من المدرسة الكلامية إلى المدرسة الأدبية، أو قد

٦٧. حسن الحاضرة ج ١ ص ١٩٠، وينظر القزويني والفروغ التلخيص ص ٦٠٢ - ٦٠٥ .

٦٨. الصيغ البديعي ص ٤٤٩ .

إعادة إليها ، وذلك إذا صنفنا معترك الاقتران في البلاغة<sup>(٦٩)</sup> . » وقال : « أخرج السيوطي بكتابه هذا فن الجناس من التقسيمات الجافة التي عرفت في المدرسة الكلامية وجعله فنا بلاغيا يسيل الى الادب والنوع . وقد نهى له ذلك بفضل ما أورده من شواهد قرآنية وحديثية كثيرة وأمثلة أدبية شعرية وشعرية ، وكانه الكتاب بهذا الحشد الكبير من الشواهد والأمثلة معروض حافل بالالوان والانواع الأدبية التي غالبا ما جاءت متقاربة<sup>(٧٠)</sup> . ولا تعني كثرة الأمثلة في كتاب « جنى الجناس » أن السيوطي انتقل الى المدرسة الأدبية لأن الكتاب لا يخرج عما اختطه علماء البلاغة من اتباع المدرسة الكلامية ، إذ قسم السيوطي الجناس الى ثلاثة عشر نوعا وذكر تحت كل نوع عدة أقسام بلغت الاربعمائة ، قال : « هذا كتاب ألفت في أقسام الجناس التي استخرجتها وحصرتها ولم أسبق الى ذلك ووصلتها الى نحو الاربعمائة قسم<sup>(٧١)</sup> . » ولم يفعل السكاكي والفزوني وشراح التلخيص ما فعله في كثرة التقسيمات ولكنه — على الرغم من ذلك — أعطى فن الجناس روحا أدبية وجعل القارئ يستروح ويطوف في ألوان من الكلام ، وبذلك تنوعت عليهم بهذا الجانب الذي لم يمهله المتقدمون كالثعالب والصفيدي . وهذا واضح لأن السكاكي وأتباعه بحثوا الجناس في إطار البديع ، ولذلك لم يكتفوا من الشواهد والأمثلة ، في حين أن السيوطي أفرد له كتابا ، ولا بد للكتاب الذي يبحث في موضوع خاص أن يشلا دفئا بالنصوص ليكون سفسرا لا فصلا أو بحثا في كتاب . وقد أحسن السيوطي صنعا بذكر هذه الشواهد والأمثلة الكثيرة التي تعد على ثروة الأدبية وذوقه في الاختيار ، وهو — وإن تسك بأهلب السكاكي والفزوني — أرحب أفقا وأجلى بيا ، ولعل شعوره بهذا التفوق جعله يقول أنه تبحر في البلاغة « على طريقة العرب والبلقاء لا على طريقة المعجم وأهل الفلسفة » وهي إشارة الى اختلاف القضايا

٦٩. مقدمة جنى الجناس ص ٢٢ .

٧٠. مقدمة جنى الجناس ص ٢٨ . ٧١. جنى الجناس ص ٧١ .

في دراسة البلاغة ، وقد يهت الباحثان المحدثان الى هذا التفاوت ، فتحدثوا عن المدارس البلاغية وذكروا المدرسة الكلامية والمدرسة المصرية ، والمدرسة الادبية<sup>(٧٢)</sup> ، وهذا توسع في الدرس البلاغي وكنتشفاً للاتجاهات التي مرت بها البلاغة العربية في عهدها المختلفة ، وفي ذلك تقع عظيم .

## المصادر :

- ١ . الاثنان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي . القاهرة ١٣٦٨هـ .
- ٢ . ايام الدراسة لقراء النفاية - جلال الدين السيوطي . مطبوع على حاشية مناح العلوم لابي يعقوب يوسف بن ابي بكر السكاكي . الطبعة الاولى - القاهرة ١٣١٧هـ .
- ٣ . البديع - عبدالله بن المعتز . طبعة كرانسكونفسكي . لندن ١٩٣٥ .
- ٤ . البلاغة العربية في دور نشأتها - الدكتور سيد نوفل . القاهرة ١٩٤٨م .
- ٥ . البلاغة عند السكاكي - الدكتور احمد مطقوب . بغداد ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ٦ . التفسير الادبي والاجمال - الدكتور احمد مطقوب . بحث منشور في كتاب ( اجمل القرآن ) الذي اصدرته وزارة الاوقاف والشؤون الدينية - بغداد ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ٧ . التلخيص في علوم البلاغة - جلال الدين القزويني بتحقيق عبدالرحمن البرقولي . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- ٨ . جلال الدين السيوطي وآثره في الدراسات اللغوية - الدكتور عبدالعال سالم محرم . بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ٩ . جنس الجناس - جلال الدين السيوطي . تحقيق الدكتور محمد علي ورق الخفاجي . الدار الكلية للطباعة ديوس ١٩٨٦م .
- ١٠ . حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي . القاهرة ١٢٩٩هـ .
- ١١ . دروس في البلاغة وتطورها - الدكتور جميل سعيد . بغداد ١٣٧٠هـ - ١٩٥١ .

٧٢ . للتوسع في هذه الاتجاهات ينظر فن القول ، ومناهج تجديد ، والبلاغة العربية في دور نشأتها ، ودروس في البلاغة وتطورها ، والبلاغة عند السكاكي ، والقزويني وشروح التلخيص .

١٢. السيرة النبوية لابن هشام - تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأيساري وعبدالحفيظ شلبي . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
  ١٣. السيوطي النحوي - الدكتور عفتان محمد سلمان . بغداد ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
  ١٤. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان - جلال الدين السيوطي . القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
  ١٥. الصيغ البديعي في اللغة العربية - الدكتور أحمد إبراهيم موسى . القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
  ١٦. القرويني وشرح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب . بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
  ١٧. كتاب الصناعتين - أبو حلال العسكري - تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
  ١٨. المهر في علوم الفنة والواعظا - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أحمد جاد الحولي ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي - القاهرة .
  ١٩. معترك القرآن في أعجاز القرآن - جلال الدين السيوطي . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة .
    ١. ج ١ سنة ١٩٦٩م .
    ٢. ج ٢ سنة ١٩٧٠م .
    ٣. ج ٣ سنة ١٩٧٣م .
  ٢٠. مفتاح العلوم - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي . القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
  ٢١. مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
  ٢٢. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - أمين الخولي . القاهرة ١٩٦١م .
- يضاف إلى هذه القائمة مصدران أضيفا إلى الحواشي وهما :
- ١ - الإيضاح في علوم البلاغة - جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني . تحقيق أسامة من الجامع الأزهر - القاهرة .
  - ٢ - البيان في البيان - شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي . تحقيق الدكتور توفيق الفيل وعبد اللطيف عبد الله . الكويت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م .



## الخاتمة

لم تكن بعوث هذا الكتاب تأريخاً بمرضى ، وإنما هي مناهج أريد بها تبيان ما وقف عنده علماء البلاغة لتكون منطلقاً الى البلاغة التي توضح معالم الأدب الجديد الذي اغترف من التراث الغربي ولم يرجع الى الاسول العربية التي رسمت للعالم في الطريق يوم كان الأدب مزدهراً والفكر متقدماً . إن البلاغة روح الأدب وما المناهج النقدية التي شاعت في السنوات الأخيرة إلا ومضات منها وإن جاءت بأساء ترجعت ، وإشارات استحدثت ، متابعه لما حدث من تغير في المواقف والأهداف بعد أن توقفت البلاغة عند حدود رسمتها مرحلة الجسود .

ونحن - العرب - بهرنا ببعض المناهج وعددناها خير ما أنجز العقل الغربي فضررنا عن الفكر العربي صفحاً لما آلت اليه البلاغة في عصر الجسود ، ولما أصبح عليه النقد الأدبي في مطلع القرن العشرين حين اتخذ النوق سبيلاً ، والافطباع منهجاً ، والتأثيرة أسلوباً ، ولم نسمح إلا حينها شاعت الدراسات الاسلوبية التي انخفضت من دراسة النص منهجاً ، ونظرة قساذاً بكثير مما قيل يرجع الى أصول البلاغة ، وإذا بنا نضمر الى « علم النص » ليكون بديلاً من البلاغة أو هو البلاغة الحديثة .

لقد قاد الجهل أو الضياع الى انكار ما للعرب من مناهج بلاغية ومالديهم من نظرات صائبة وتحليل للنص ينبع من طبيعة اللغة العربية وروح أدبها ، فأعرض الباحثون عن العودة الى التبع الأصليل طلباً لقراءة أو تباهيا بالحداثة التي تصوروا أنها هكذا " للتراث ، وقد نسوا أنها لاتنهض من غير أصول ، وإن التجديد يحكوف على الموروث ، وفهم وتمثل له ، وإطلاق الى الآفاق . وهذا ما فعله الاوربيون في نهضتهم الحديثة إذ عادوا الى تراثهم يهرسونه

ويقعون عند قضائه وقته التأمل ، ويستخلصون منه ما ينجم ومعالم نهضتهم ، وما يصور واقعهم الذي ارتبطوا به لغة وثقافة ولسونا ، وبذلك جاءت مناهجهم أسيلة تمثل حضارتهم ، وجديدة تعبر عن فكرهم ، وتنبثق من أدبهم الذي يستند لغته وأسلوبه وتصوره وأفكاره من واقعهم الذي دسسته قرون درجت فيها أوربة وهي تتلمس طريقها في الحياة .

وستان ما بين تاريخ أوربة وتاريخنا ، نحن أمة شرقها الله بالأنبياء وكان آخرهم الرسول العربي محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي بشر بقرآن منزل من السماء ، وعقيدة فتحت أمام الإنسان آفاق الحياة ، وبشيرة بنعيم متيم ، فاطلق في ضوء ذلك بيني مجتمعه ، وشيد حضارته ، وبمسق ثقافته ، ورسم أدبه ، ونبس ما فيه الخير وما ينفي مواهبه ، وبوسع مداركه ، وفتح أمامه سبل الحياة البشلى ، وبذلك حقق ذاته ، وأصبح ذا كيان يحرس عليه حرمة على وجوده ، ولولا ذلك ما كان للعرب دور عظيم في بناء الحضارة الانسانية التي عبرت البلاد وغدت العقول .

إن لكل أمة طابعا مميزا في الحياة ، وأن لها تصورا للوجود ، وأن لها كيانا تعتر به ، والأمة العربية وهي ذات الحضارة العريقة لا بد من أن تحقق ذاتها وهي تستشرق القرن الحادي والعشرين ، وأن يكون لثقافتها تميز بين ثقافات الأمم التي تسمى الى ترسيخ ثقافتها ونشرها وفرضها على الشعوب ، ومن ذلك الأدب وهو وليد اللغة ، وريب الحضارة ، وعطائيسها العجم .

وما البلاغة إلا جفود ذلك الأدب الأصيل ، أما السيل فيبقى في مهبط الريح تنقذه الأهواء ولا يستطيع أن يلقى النور إلا بالنظر الكليل . وليس مثل هذا يراد للأدب العربي وأصول نقده وتحليله ، ومن هنا كانت الدعوة الى مثل البلاغة العربية مثلا وانما ، والاطلاق منها الى آفاق رحبية بعد الانتفاع بما لغير العرب من فكر بناء ، ومناهج رسختها عقول وقادة ، وسعت الى أهداف نبيلة ، لاعقول مريضة ، ومناهج لاتنخذ من المنطق السليم

سيلا .

والثقافة العربية وهي تستشرف القرن الحادي والعشرين تواجه تحديات كبيرة تريد اختراقها وطس معالمها لتنفذ الأمة عثورتها ، وتذكر ذاتها ، والبلاغة من تلك الثقافة العربية التي ينتها عقول ليرة وأقام أصولها رجال مسدقوا ما عاهدوا الله عليه . ولن يكون للنقد العربي مستقبل إن بقي رجاله بعيدين عن أسسه ، ولعل من أول ما يسعى اليه المؤمن بأمة وثقافتها أن يطيل التأمل في الثوروث وأن يقف عنده « وقوف شحيح ضاع في الترب خائسه » وأن يطره دراسة مستوعبة ليستخلص منه ما يرفع وما يقوّم الأدب الجديد ، غير مستنكر الدعوات الصادقة ، والآراء الصائبة ، والمناهج القوية ، فقد خلق لهذا الزمان ولا بدّ من أن يكون للمعاصرة طابعها ، وأن تكون له شخصيته الراسخة الأصول . وما البحوث التي خل بها هذا الكتاب إلا دعوة السى التأمل الطويل ، والتفكير العميق فيما ترك العرب من تراث بلاغي وقصدي ضخم استند أصوله من اللغة العربية وأدبها ، وامتد السى اللغات الأخرى موجها ومؤثرا .

إن العودة الى البلاغة العربية تقتضيها النزعة العلمية والنضجة الروحية ، فضلا عن تحقيق الذات وإرساء أصول النقد العربي الجديد بعد أن طفت على الدرس الأدبي اتجاهات متصارعة لم تثبت فسن الأسلوبية السى الشكلانية الروسية فالواقعية الاشتراكية والبنوية وما بعد البنوية ، والظاهرية والتفكيكية وما الى ذلك من تيارات نبع معظمها في فرنسا وانتقل الى العرب بعد أن فقد بريقه في موطنه وتجاوزته الدراسات ، إما ثورة عليه أو تجريرا لاتجاهات تليها زعات وتوجهات لا تستخدم الفكر الأصل في كثير من الأحيان .

إن طينان هذه التيارات التي أنكر معظمها أصحابها أبعثت النقد العربي عن البلاغة التي لم تفهم حق الفهم ، ولم تدرس بعناية كبيرة ، وطئن أنها تكنة الاتباع كما فهمها قدماء اليونان ووارثو حضارتهم ، في حين أنها عند العرب



أوسع من ذلك ، لأنها ترتبط بفهم إيجاز القرآن الكريم ، وتصل بتعليم فن القول ، والنقد الأدبي ، واختيار النصوص ، ومعرفة العبد من الرديء ، فهي - إذن - روحية وتطبيقية وتقديرية ، وهذا ما نص عليه أبو هلال العسكري في مقدمة « كتاب الصناعتين » .

هذا الفهم الواسع والادراك العميق للبلاغة العربية يجعل المسودة إليها خيراً للأدب والنقد بعد أن ضاعا في حمرة التيارات ، وتعصب بعضهم لهذا أو ذاك ، واتهم بعضهم بعضاً بما لم ينزل الله به من سلطان ، وكادوا يقتلون كلهم في حومة الوقي ، ولم يموا أنهم يظنمون اتجاهات بعيدة عن واقع اللغة العربية ، ويعلمون من لا يستحق أن يذكر في عالم التأليف .

واتمنى المطاف إلى الضياع أو إلى التعصب لاتجاه لا يصور النقد بمعناه العام وإنما ينظر في جانب منه ، ويبقى النص بعد ذلك محتاجاً إلى سبر أغواره ، ومن ذلك تفسيره وتقويمه وهما مهبطان في العملية النقدية ، فضلاً عن إيضاح أبعاده المختلفة والوقوف على منشئه ومثله . ولا ينبغي هذا لأن الانتفاع بالاتجاهات المختلفة محظور ، وإنما يراد من النقد أن يكون تكاملياً ، أي دراسة النص الأدبي والنظر فيه من جميع جوانبه ، لا من جانب بشئ وحده والاكتفاء بالوقوف على مستوياته الصوتية والتركيبية والدلالية في ضوء ما دعت إليه الأسلوبية ، لا في ضوء البلاغة بطورها التي ذكرتها الكتب العربية وأضمت عليها مسحة ذوقية وضعة روحية لا يجدها الناقد في كثير من الاتجاهات التي أحاطت به من كل جانب ، ولم يستطع تسليها والانتفاع بها ، وخرق في لجتها في حين أن أصحابها تجاوزوها وخطوها وراسمها ظهرياً . ولو عاد العربي إلى بلاغة لفته لوجدها حية وإثماً - كما قال القدماء - : « لم تنفج ولم تحترق » وما أخرى بالناقد أن يعود إليها دارساً ومثلاً ، ومدرساً مقاصدها ، ومضيئاً إليها ما استجد لتسبر مع الأدب كما مسارت

في مراحلها الأولى وقبل أن يتربها الجسد الذي لبسه علوم اللغة العربية في  
يهود القلām .

وبعد :

فلم تكن بعوث هذا الكتاب مزجاة للوقت ، وإنما هي بعوث جاءت بعد  
تأمل طويل ، وتشكي لتراث العرب البلاغي ، ووقوف واعٍ جاد على ما عند  
الأجانب لتكون شاهداً على ما للعرب من أصالة ، ودليلاً لمن يريد أن يقسم  
لقد عالياً تمتد جذوره في عبق الثقافة العربية ، وتزهر ألغصانه في ظلال حرية  
الفكر والتعبير . وسيبقى الفكر العربي خالداً يفتح الناس ويهديهم مسواه  
السل ، مها تعرض للعزوف والنكران ممن فقدوا ذاتهم ، وأنكروا هويتهم ،  
وصدق الله تعالى حينما قال :

« فَأَمَّا الزُّبَيُّدُ فَيَكْذُوبٌ جَفَاءُ » ، وَأَمَّا مَا

يُشْفَعُ الشَّاسُ فَيَكْثُرُ لِحْسِي الْأَرْضِ »

الدكتور أحمد مطلوب

عضو الجمع العلمي

واعينه المأم

الأحد ١٨ ربيع الثاني ١٤١٧هـ

الأول من أيلول ٢٠٩٦م



## الملحق

في البحث الأول من هذا الكتاب أهم مصادر البلاغة القديمة ،  
وإضاف إليها :

- ١ - الإشارات والتنبهات في علم البلاغة - محمد بن علي الجرجاني .
- ٢ - الإعجاز والإيجاز - أبو منصور النحاشي .
- ٣ - الإيجاز في علم الإعجاز - لطف الله بن محمد الغياثي الطنجري .
- ٤ - التبيان في البيان - شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله الطنجري .
- ٥ - جنى الجناس - جلال الدين السيوطي .
- ٦ - رائق التحلية في فائق التورية - أحمد بن زرقالة .
- ٧ - في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم - أبو أحمد الحسن بن سعيد العسكري .
- ٨ - كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكتاب - ضياء الدين بن الأثير .
- ٩ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص - عبدالرحيم العباسي .
- ١٠ - المنتخب من كنایات الأدباء وإشارات البلغاء - أحمد بن محمد الجرجاني النحاشي .
- ١١ - الوشي المرقوم في حل المنظوم - ضياء الدين بن الأثير .

وهناك كتب بلاغية مطبوعة لم تصل إليها اليد ، أما المخطوطة فلانزال بعيدة عن أيدي كثير من الباحثين ، ولذلك لم تذكر في هذا الكتاب .

والدراسات البلاغية الحديثة كثيرة ، إذ حظيت البلاغة العربية باهتمام بالغ في القرون العشرين ، ولكن معظمها كان تأريخاً أو لقاء ضوء على

مصطلحاتها وفترتها ، وظلت على واقعها القديم إلا ما جاء من دعوات تجديدية ، وكان المرحوم أمين الخولي من أكثر المعاصرين اعتناءاً بالمنهج الذي رسمه في بحوثه أو في كتابه « فن القول » ولم يلبثه . وتبعه باحثون كثيرون إلا أنهم ساروا في التطبيق على منهج السكاكي والقزويني وشرح التلخيص ، وكان معظم ما ألفوا كتباً تعليمية . ولم يخرج على تقسيم البلاغة الثلاثي دعاء التجديد ، فهم ما زالوا يبحثون في مستويات النسخ الصوتية والتركيبة والدلالية ، وهي ما يدخل في النصاحة والمعاني والبيان وبعض فنون البديع ، وبذلك عادوا إلى البلاغة القديمة وهم لا يشعرون . إن تجديد البلاغة لن ينهض به إلا باحث درس القديم دراسة واعية ، وعرف سالكه ومقاصده معرفة دقيقة ، وتمثله تمثلاً حقيقياً ، وعرف الناهج الحديثة ، وكان ذا ذوق رفيع .

ولعل من النافع المبد أن نذكر في هذا الملحق بعض ما صدر من دراسات بلاغية لتكون مطلقاً للبحث في البلاغة العربية التي لم تطبع ولم تحرق . وكان الأستاذ الدكتور محمد يركات حبيدي أبو علي « الجامعة الأردنية » قد عقد الفصل الرابع من كتابه « مقدمة في دراسة البيان العربي » - عام ١٩٨٦ - لمكتبة الدراسات البلاغية ، ذكر فيه كثيراً من كتب البلاغة القديمة والحديثة ، المطبوعة والمخطوطة ، وأتى ببعض البحوث البلاغية المنشورة في المجالات العلمية ، وأثبت بعض الدراسات الجامعية التي لم تطبع . والنظر في هذا الجهد العظيم يظهر عناية الباحثين بالبلاغة ، ولكن الانتفاع بها كان قليلاً إذ عُرِفَ عنها وعن مصادرها معظم النقاد وانجبروا إلى اعلاء شأن النقد الغربي الذي لم يكن كله بريئاً أو سليماً ، فضلاً عن أن معظمه كان بعيداً عن واقع الأمة العربية فكراً ومضمناً .

وفي هذا الملحق أسماء بعض ما طبع من الدراسات البلاغية ، أريد بها أن تكون دليلاً للباحثين ، وبرهاناً على أن البلاغة العربية تستحق الدراسة

والعناية ، والتزود منها في النقد الأدبي الحديث ، وهو تمة لما ذكر في البحث الأول من هذا الكتاب وفي مطلع هذا الملحق من مصادر قديمة تعد أصول الدرس البلاغي والنقدي عند العرب .

## الهجرة

وأهم هذه الدراسات :

- ١ - ابن أبي الأسبح المصري بين علماء البلاغة - الدكتور حنسي محمد شرف .
- ٢ - ابن رشيق القيرواني - الدكتور عبدالرؤوف مخلوف .
- ٣ - ابن رشيق الناقد الشاعر - الدكتور عبدالرؤوف مخلوف .
- ٤ - ابن المعتز وراثته في الأدب والنقد والبيان - الدكتور محمد عبدالنعم خفاجي .
- ٥ - أبو القاسم الأمدى وكتاب الموازنة - الدكتور محمد علي أبو حدة .
- ٦ - أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية - الدكتور بدوي طبانة .
- ٧ - الأثر الأغرقي في البلاغة العربية - الدكتور مجيد عبدالحميد ناجي .
- ٨ - أثر البلاغة في تفسير الكشاف - الدكتور عمر الملا حويش .
- ٩ - أثر النحاة في البحث البلاغي - الدكتور عبدالقادر حسين .
- ١٠ - أحاديث في تاريخ البلاغة وفي بعض قضاياها - الدكتور عبدالكريم محمد الأسعد .
- ١١ - الأدب والبلاغة - الدكتور إبراهيم أبو الخشب .

- ١٢- أساس البلاغة - الدكتور محمد السيد شيخون .
- ١٣- أساليب الاستفهام في القرآن - الدكتور عبدالعليم فودة .
- ١٤- أساليب بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب .
- ١٥- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين - الدكتور قيس اسماعيل الأوسلي .
- ١٦- الاستمارة ( نشأتها - تطورها - أثرها في الأساليب العربية ) - الدكتور محمد السيد شيخون .
- ١٧- أسرار التكرار في القرآن - أحمد عبدالقادر عطا .
- ١٨- أسرار التشثيل بين الطريقة الأدبية والتقريرية - عبدالمتعال الصعيدي .
- ١٩- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية - الدكتور مجيد عبدالحيد ناجي .
- ٢٠- الأسلوب ( دراسة بلاغية تحليلية لآصول الأساليب الأدبية ) أحمد الشايب .
- ٢١- الأسلوب الكنائي ( - نشأته - تطوره - بلاغته ) - الدكتور محمد السيد شيخون .
- ٢٢- أصول البيان العربي ( رؤية بلاغية معاصرة ) - الدكتور محمد حسن علي الصنبر .
- ٢٣- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأرقط - الدكتورة عائشة عبدالرحمن ( بنت الشاطئ ) .
- ٢٤- الإعجاز الفني في القرآن - عمر السلامي .
- ٢٥- الإعجاز في نظم القرآن - الدكتور محمد السيد شيخون .

- ٢٦- إعجاز القرآن - الدكتور عبدالكريم الخطيب .
- ٢٧- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق - الدكتور حنفي محمد شرف .
- ٢٨- إعجاز القرآن بين المعتزلة والاشاعرة - الدكتور منير سلطان .
- ٢٩- إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعانيها - عبدالكريم الخطيب .
- ٣٠- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي .
- ٣١- إعجاز النظام القرآني - أحمد عبدالوهاب .
- ٣٢- آمالي علي عبدالرزق في علم البيان وتاريخه - علي عبدالرزق .

### الباء

- ٣٣- الباقلائي نافدا أدبيا - الدكتور فاضل محمد عبدالله .
- ٣٤- الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن - الدكتور عبدالرؤوف مخلوف .
- ٣٥- البحث البلاغي عند العرب - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٣٦- بحوث بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٣٧- بحوث وآراء في علوم البلاغة - أحمد مصطفى الراعي .
- ٣٨- بحوث ومقالات في البلاغة - الدكتور فتحي عبدالقاهر فريد .
- ٣٩- البديع في ضوء أساليب القرآن - الدكتور عبدالفتاح لاشين .
- ٤٠- البديعيات في الأدب العربي ( نشأتها - تطورها - أمورها ) - الدكتور علي أبو زيد .
- ٤١- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان - الدكتور إبراهيم سلامة .
- ٤٢- البلاغة التطبيقية دعامة النقد الأدبي السليم - الدكتور أحمد موسى .
- ٤٣- البلاغة تطور وتاريخ - الدكتور شوقي ضيف .
- ٤٤- البلاغة العربية - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٤٥- البلاغة العربية بين القية والممارسة - الدكتور أسعد أبو الرضا .
- ٤٦- البلاغة العربية تأريخاً وتطبيقاً - الدكتور المحمدي عبدالعزيز الحناوي .

- ١٧- البلاغة العربية (تأريخها - مصادرها - مناهجها) - الدكتور علي عشري .
- ١٨- البلاغة العربية في تأريخها - الدكتور محمد علي سلطاني .
- ١٩- البلاغة العربية في توبها الجديد - الدكتور بكري شيخ أمين .
- ٢٠- البلاغة العربية في دور نشأتها - الدكتور سيد نوفل .
- ٢١- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل - الدكتور محمد بركات حسني أبو علي .
- ٢٢- البلاغة العربية ( نشأتها وتطورها ) - الدكتور حنفي محمد شرف .
- ٢٣- البلاغة ( عرض وتوجيه وتفسير ) - الدكتور محمد بركات حسني أبو علي .
- ٢٤- البلاغة المصرية واللغة العربية - سلامة موسى .
- ٢٥- بلاغة العطف في القرآن الكريم ( دراسة أسلوبية ) - الدكتور عزة الشرفاوي .
- ٢٦- البلاغة عند الجاحظ - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٢٧- البلاغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٢٨- البلاغة الفنية - علي الجندى .
- ٢٩- بلاغة القرآن - محمد الخضر حسين .
- ٣٠- بلاغة القرآن بين الفن والتأريخ - الدكتور فتحي أحمد عامر .
- ٣١- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية - الدكتور عبد التناح لاشين .
- ٣٢- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية - الدكتور محمد حسنين أبو موسى .
- ٣٣- البلاغة والأسلوب - الدكتور محمد عبدالمطلب .
- ٣٤- البلاغة والتطبيق - الدكتور أحمد مطلوب والدكتور كامل البصير .
- ٣٥- البلاغة والنقد بين التأريخ والفن - الدكتور مصطفى الصاوي الجبروني .
- ٣٥(ب)- بناء الصورة الفنية في البيان العربي - الدكتور كامل حسن البصير .



- ٦٦- البهاء السبكي وآراءه البلاغية والنقدية - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ٦٧- البيان العربي - الدكتور بدوي طبانة \*
- ٦٨- البيان في إعجاز القرآن - محمد محمد السباعي الديب \*
- ٦٩- البيان في ضوء أساليب القرآن - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ٧٠- البيان القرآني - الدكتور محمد رجب البيومي \*
- ٧١- البيان النبوي - الدكتور عدنان زوزور \*

## التساء

- ٧٢- تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية - الدكتور مهدي صالح السامرائي \*
- ٧٣- تاريخ علوم البلاغة والتعرف برجالها - أحمد مصطفى المراني \*
- ٧٤- تاريخ فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة حتى عصرنا الحاضر - نعيم الحصري \*
- ٧٥- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري - الدكتور محمد زغللول سلام \*
- ٧٦- التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري - الدكتور وليد قصاب \*
- ٧٧- التراكيب النحوية من الوجة البلاغية عند عبدالقاهر - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ٧٨- التركيب النحوي للأدب - الدكتور لطفى عبدالديع \*
- ٧٩- التشبيهات القرآنية والبيئة العربية - الدكتورة واجدة مجيد الأطرقجي \*
- ٨٠- التشبيه البليغ هل يرقى الى درجة المجاز - الدكتور عبدالعظيم ابراهيم \*
- ٨١- التشبيه والتشليل - الدكتور يوسف البيومي \*

- ٨٢- التصور الأدبي في كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص  
 لعبد الرحيم العباسي - الدكتور محمد يركات حندي أبو علي •
- ٨٣- التصور البياني - الدكتور حنفي محمد شرف •
- ٨٤- التصور البياني - الدكتور محمد أبو موسى •
- ٨٥- التصور الفني في القرآن - سيد قطب •
- ٨٦- تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية - الدكتور  
 عمر الملا حويش •
- ٨٧- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث - الدكتور نعيم  
 حسن اليافعي •
- ٨٨- التعبير البياني - الدكتور شفيع السيد •
- ٨٩- التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين •
- ٩٠- التعبير البياني للقرآن الكريم - الدكتورة عائشة عبدالرحمن  
 ( بنت الشاطئ )
- ٩١- التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوره الى القرن السادس) -  
 الدكتور حمادي مسعود •
- ٩٢- تقي الدين بن حجة العمري - الدكتور محمود رزق سليم •

### الجيـم

- ٩٣- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب -  
 الدكتور ماهر مهدي هلال •
- ٩٤- جولة مع ضياء الدين بن الأثير - أحمد محمد خير •

### الحاء

- ٩٥- حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة - الدكتور  
 عبدالرحمن بشوي •

- ٩٦- الحديث النبوي (بمطلعه وبلاغته) - الدكتور محمد الصباغ \*
- ٩٧- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية - الدكتور عز الدين السيد \*
- ٩٨- حول إعجاز القرآن - الدكتور علي المباري \*

### الغناء

- ٩٩- خصائص التراكيب - الدكتور محمد أبو موسى \*
- ١٠٠- خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم - الدكتور محمد وجيب البيومي \*
- ١٠١- الخيال في الشعر العربي - محمد الخطر حسين \*

### المدل

- ١٠٢- دراسات بلاغية ونقدية - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٠٣- دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبدالقاهر في التشبيه والتشثيل والتقديم والتأخير - عبدالهادي المدل \*
- ١٠٤- دراسات في الأدب والبلاغة - الدكتور سعد ظلام وآخرون \*
- ١٠٥- دراسات في الأدب والنقد والبلاغة - الدكتور أحمد عبدالنعم البهي \*
- ١٠٦- دراسات في البلاغة الدكتور محمد يركات حندي أبو علي \*
- ١٠٧- دروس في البلاغة وتطورها - الدكتور جميل سعيد \*
- ١٠٨- دفاع عن البلاغة - أحمد حسن الزيات \*
- ١٠٩- دلالات التراكيب - الدكتور محمد أبو موسى \*

### السجع

- ١١٠- سر العرية وبياتها - الدكتور محمد يركات حندي أبو علي \*
- ١١١- السرقة الأدبية - الدكتور بدوي طياعة \*

## الثمسين

١١٢- الشرف الرضي بلاغيا - الدكتور متاهل طه الدين قليح .

## المصاد

١١٣- الصبح البديعي في اللغة العربية - الدكتور أحمد إبراهيم موسى .

١١٤- الصور البديعية بين النظرية والتطبيق - الدكتور حفي محمد شرف .

١١٥- الصور اليباية بين النظرية والتطبيق - الدكتور حفي محمد شرف .

١١٦- صور من تطور البيان العربي - الدكتور كامل الخولي .

١١٧- الصورة الأدبية - الدكتور مصطفى ناصف .

١١٨- الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي - الدكتور محمد يركات

حدي أبو علي .

١١٩- الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني - الدكتور علي أحمد

دهمان .

١٢٠- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي - مدحة سعد محمد الجيار .

١٢١- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي - الدكتور جابر

أحمد عصفور .

١٢٢- الصورة الفنية في شعر أبي تمام - الدكتور عبدالقادر الرباعي .

١٢٣- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي - الدكتور عصرة عبدالرحمن .

١٢٤- الصورة الفنية في النثر القرآني - الدكتور محمد حسين

علي الصغير .

١٢٥- الصورة الفنية ميارا قديا - الدكتور عبدالاله المانع .

١٢٦- الصورة في شعر الأختل الصغير - الدكتور أحمد مطلوب .

١٢٧- الصورة في شعر بشار بن برد - الدكتور عبدالفتاح صالح نافع .

- ١٢٨- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري -  
الدكتور علي البطل \*
- ١٢٩- الصورة والبناء الشعري - الدكتور محمد حسن عبدالله \*

### القصائد

- ١٣٠- ضياء الدين بن الأثير - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٣١- ضياء الدين بن الأثير - الدكتور محمد زغلول سلام \*
- ١٣٢- ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد - الدكتور محمد زغلول  
سلام \*

### المصنفين

- ١٣٣- عبدالقاهر الجرجاني ( بلاغته ونقده ) - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٣٤- عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية - الدكتور  
أحمد أحمد بدوي \*
- ١٣٥- عبدالقاهر والبلاغة العربية - الدكتور محمد عبدالمنعم خضاجي \*
- ١٣٦- علم البديع ( نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ ) -  
الدكتور عبدالرزاق أبو زيد زايد \*
- ١٣٧- علم البديع والبلاغة عند العرب - كراتيكوسكي \*
- ١٣٨- علم القصيدة العربية - الدكتور محمد علي رزق الطفاجي \*

### القصائد

- ١٣٩- الفاصلة في القرآن - محمد الحسناوي \*
- ١٤٠- الفاصلة القرآنية - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ١٤١- فخر الدين الرازي بلاغياً - الدكتور ماهر مهدي هلال \*

- ١٤٢- فصول في البلاغة - الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي \*
- ١٤٣- فصول من البلاغة - صادق إبراهيم خطاب \*
- ١٤٤- فصول من علم البلاغة - عبدالعظيم الروبي \*
- ١٤٥- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم - الدكتور فتحي أحمد عامر \*
- ١٤٦- فلسفة البلاغة - جبر ضوابط \*
- ١٤٧- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور - الدكتور رجاء عيد \*
- ١٤٨- فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث - الدكتور لطفي عبدالبدیع \*
- ١٤٩- فن الاستعارة - الدكتور أحمد عبدالسيد المصري \*
- ١٥٠- فن الأسجاع - علي الجندي \*
- ١٥١- فن البلاغة - الدكتور عبدالقادر حسين \*
- ١٥٢- فن التشبيه - علي الجندي \*
- ١٥٣- فن الجناس - علي الجندي \*
- ١٥٤- فن القول - أمين الخولي \*
- ١٥٥- فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب - الدكتور فتحي عبدالقادر فرید \*
- ١٥٦- فنون بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٥٧- في الأدب والبيان - الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي \*
- ١٥٨- في إعجاز القرآن الكريم - الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي \*
- ١٥٩- في البلاغة العربية - الدكتور رجاء عيد \*
- ١٦٠- في تاريخ البلاغة العربية - الدكتور عبدالعزيز عتيق \*

#### التصانيف

- ١٦١- القاضي الجرجاني - الدكتور أحمد أحمد بدوي \*
- ١٦٢- القاضي الجرجاني - الدكتور محمود السرة \*

- ١٦٣- قدامة بن جعفر والنقد الأدبي - الدكتور بنوي طبانة \*
- ١٦٤- القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز - محمد عبدالغني حسن \*
- ١٦٥- القرآن والصورة البيانية - الدكتور عبدالقادر حسين \*
- ١٦٦- القرويني وشروح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٦٧- قضايا النقد الأدبي والبلاغة - الدكتور محمد زكي المشاوي \*
- ١٦٨- قضية عبود الشعر العربي القديم ( ظهورها وتطورها ) - الدكتور وليد قصاب \*

## الكشاف

- ١٦٩- كتاب أرسطو طاليس في الشعر - الدكتور شكري محمد عياد \*
- ١٧٠- كتاب سر الفصاحة لابن سنان ( دراسة وتحليل ) - الدكتور عبدالرزاق أبو زيد زايد \*

## السلام

- ١٧١- اللغة والبلاغة - عدنان بن فويل \*
- ١٧٢- لمحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية - الدكتور محمد أديب الصالح \*

## السيم

- ١٧٣- المبالغة في الشعر العباسي - عبدالعزيز بن عبدالله الشبيلي \*
- ١٧٤- المجاز في البلاغة العربية - الدكتور مهدي صالح السامرائي \*
- ١٧٥- المجاز وأثره في الدرس اللغوي - الدكتور محمد بدري عبدالجليل \*
- ١٧٦- محاضرات في فلسفة البلاغة العربية - الدكتور حلمي علي مرزوق \*
- ١٧٧- المختصر في تاريخ البلاغة - الدكتور عبدالقادر حسين \*

- ١٧٨- المدخل الى دراسة البلاغة - الدكتور فتحي فريد .
- ١٧٩- المدخل الى دراسة البلاغة العربية - الدكتور السيد أحمد خليل .
- ١٨٠- المذهب البديعي في الشعر والنقد - الدكتور رجاء عيد .
- ١٨١- مشكلة السراقات في النقد العربي - الدكتور محمد مصطفى هدارة .
- ١٨٢- مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم القرطاجني - الدكتور  
نصور عبدالرحمن .
- ١٨٣- مصطلحات بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب .
- ١٨٤- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للنجاح -  
الشاهد البوشيخي .
- ١٨٥- المصطلح النقدي في نقد الشعر - ادريس النافوري .
- ١٨٦- معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني - الدكتور محمد  
بركات حسدي أبو علي .
- ١٨٧- المعاني الثمانية في الاسلوب القرآني - الدكتور فتحي أحمد عامر .
- ١٨٨- الثماني في ضوء أساليب القرآن - الدكتور عبدالفتاح لاشين .
- ١٨٩- مع بلاغة القرآن - الدكتور عبدالحميد العبيسي .
- ١٩٠- المعجم الأدبي - الدكتور جبور عبدالنور .
- ١٩١- معجم البلاغة العربية - الدكتور بدوي طباعة .
- ١٩٢- معجم مصطلحات الأدب - الدكتور مجدي وهبة .
- ١٩٣- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - الدكتور أحمد مطلوب .
- ١٩٤- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب - مجدي وهبة  
وكامل المهندس .
- ١٩٥- معجم النقد العربي القديم - الدكتور أحمد مطلوب .
- ١٩٦- مفهوم الاستمارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين - الدكتور  
أحمد السيد عبد الصاوي .



١٩٧- مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة - الدكتور محمد بركات  
حدي أبو علي \*

١٩٨- مقدمة في دراسة البيان العربي - الدكتور محمد بركات حدي  
أبو علي \*

١٩٩- ملامح الشخصية المصرية في الدراسات البيانية في القرن السابع  
الهجري - الدكتور مصطفى الصاوي الجوزي \*

٢٠٠- من أساليب البيان في القرآن الكريم - الدكتور محمد علي أبو  
حنيفة \*

٢٠١- من أسرار التركيب البلاغي - الدكتور سيد عبدالفتاح حجاب \*

٢٠٢- من بلاغة النبوة - الدكتور عبدالقادر حسين \*

٢٠٣- مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب \*

٢٠٤- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - أمين الخولي \*

٢٠٥- مناهج وآراء في لغة القرآن - الدكتور محمد بركات حدي  
أبو علي \*

٢٠٦- من بلاغة القرآن - الدكتور أحمد أحمد بدوي \*

٢٠٧- المنهاج الواضح للبلاغة - حامد صوني \*

٢٠٨- منهج التفسير في تفسير القرآن وبيان إعجازة - الدكتور  
مصطفى الصاوي الجوزي \*

٢٠٩- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب وقلده - محمد خلف الله أحمد \*

٢١٠- الموجز في تاريخ البلاغة - الدكتور مازن المبارك \*

### التسعون

٢١١- نحو بلاغة جديدة - الدكتور محمد عبدالمنعم خلفي والدكتور  
عبدالعزیز شبرق \*

٢١٢- نصوص النظرية البلاغية في القرنين الثالث والرابع للهجرة -  
الدكتور داود سلوم والدكتور عمر الملا حوش \*

- ٢١٣- نظرات في البلاغة والأسناد - الدكتور محمد عبدالرحمن الكردي .
- ٢١٤- النظريات النسائية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان الوائلي - محمد الصفي بناني .
- ٢١٥- نظرية إعجاز القرآن عند عبدالقاهر الجرجاني - محمد حنيف المصلي .
- ٢١٦- نظرية البلاغة بين النقد العربي والنقد اليوناني - الدكتور السيد السيد عبادة .
- ٢١٧- نظرية عبدالقاهر في النظم - الدكتور درويش الجندي .
- ٢١٨- نظرية العلاقات أو النظم بين عبدالقاهر والنقد الغربي الحديث - الدكتور محمد نائل أحمد .
- ٢١٩- نظرية المعنى في النقد العربي - الدكتور مصطفى تأسف .
- ٢٢٠- نظرية النظم ( تاريخ وتطور ) - الدكتور جاتم صالح الضامن .
- ٢٢١- النظم الفني في سورة الرعد - محمد بن سعد الدبل .
- ٢٢٢- النظم الفني في القرآن - عبدالغفار الصعدي .
- ٢٢٣- النظم القرآني في كتاب الزمخشري - الدكتور درويش الجندي .
- ٢٢٤- النقد الأدبي حول أبي تمام والبحتري في القرن الرابع - الدكتور محمد علي أبو حدة .
- ٢٢٥- النقد التحليلي عند عبدالقاهر الجرجاني - الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي .

#### ٢٢٦- وصية

لهذا ما وقعت عليه اليد من دراسات بلاغية مطبوعة ، وهناك مشات الكتب التعليمية والرسائل الجامعية يصبغ الوقوف عليها ، ولعل ما جاء في

هذا الملحق من « بحوث بلاغية » يدفع النقاد الى الانتفاع بها وبمصادر  
البلاغة والنقد القديمة ليقوموا صرح نقد عربي أصيل .

www.KitaboSunnat.com

« قتل هذه سبيلي لأدعو الى الله على بصيرة »

ومن أثبتني ، و شحان الله ، وما أظن

المتشركين » . - صدق الله العظيم -



## بحوث الكتاب

٢ -	٥ -	القدمة
٦ -	٢٨ -	١ - مصادر البحث البلاغي
٦		الأهداف
٨		اعجاز القرآن
١١		المصريون والاصوليون
١٤		القويون والنحاة
١٦		الشعراء والكتاب
١٨		الفلاسفة والمتكلمون
١٩		الملخصون والشراح
٢٠		أمهات البديعيات
٢١		أهم مصادر البلاغة
٢٨		المصادر
٢٩ -	٧٢ -	٢ - النصاحة عند الجاحظ
٢٩		النصاحة
٣١		فصاحة التكلم
٣٥		الاصوات
٣٨		الاستان
٣٩		اللسان
٤١		عيوب اللسان
٤٦		العي
٤٦		الحصر
٤٧		اللعن

٥٠	فصاحة الكلام
٥٠	الحروف
٥١	الإقفاط
٥٣	الغريبة
٥٧	التحيد
٥٧	الدلالة
٦٢	المعاني
٦٤	الأثر
٧٢	المصادر
٧٤ - ١٠٢	٢ - الأساليب البلاغية
٧٤	المنهج
٨٤	التطبيق
١٠١	المصادر
١٠٢ - ١٣١	٣ - الفنون البلاغية
١٠٣	المنهج
١١٢	التطبيق
١٣١	المصادر
١٣٢ - ١٤٨	٤ - البلاغة بين النطق والتلويح
١٣٢	أهمية البلاغة
١٣٣	اجتماعان بلاغيان
١٣٤	موازاة
١٤٣	أهمية البديع
١٤٤	بين القاعدة والفن
١٤٧	المصادر

١٧١ - ١٤٩	٦ - أثر القرآن في البلاغة
١٤٩	كلمة
١٥١	الدافع
١٦٠	الشاهد
١٧٠	المصادر
١٨٨ - ١٧٢	٧ - بديع القرآن الكريم
١٧٢	البديع
١٧٨	الاعتماد بالبديع
١٧٩	هدف البديع
١٨٠	صور من بديع القرآن
١٨٦	البديع عربي أصيل
١٨٨	المصادر
١٨٩ - ٢١٠	٨ - أثر الحديث في البلاغة
١٨٩	الملاح
١٩٠	الحديث وتعلم الكتابة
٢٠٣	السان
٢٠٩	المصادر
٢١١ - ٢٥٦	٩ - أثر للدافع النبوية في البلاغة
٢١١	البديعيات
٢٢٢	بديعية الباعرية
٢٣٠	البديعية
٢٥٠	المرآة
٢٥٥	المصادر

٢٩٢ - ٢٩٧	١٠ - التر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية
٢٩٧	الشبهة
٢٩٩	التنقيص
٢٧٤	البرهان
٢٨٩	المصادر

٢٩٧ - ٣١٧	١١ - البلاغة عند السيوطي
٢٩٣	كتبه البلاغية
٣٠١	القضايا البلاغية
٣٠١	إعجاز القرآن
٣٠٥	آراء السيوطي
٣١٠	ابتداعاته
٣١٣	تحرير
٣١٦	المصادر

٣١٢ - ٣١٨	الخاتمة
٣٢٩ - ٣٢٢	المحقق
٣٤٢ - ٣٤٠	بحوث الكتاب





٤٦٤٠٠٧

٣٨٤١ أحمد مطلوب

بحوث بلاغية / تأليف أحمد مطلوب -

بغداد : مطبوعات

المجمع العلمي ، ١٩٩٦ م .

٣٢٠ ص : ٢٤ سم .

١ - البلاغة العربية - دراسات

١ - العنوان

م ٥٠

١٩٩٦ / ٢٣٨

المكتبة الوطنية ( القاهرة أثناء النشر )